مختصر فرق معاصرة

تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها

للشيخ الدكتورغالب عواجي (رحمه الله)

اختصره :
د/ عبد الرحمن بن غالب عواجي
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا مُحَمَّدا عبده ورسوله أشرف الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آلة الطيبين الطاهرين، وعلى أصحاب الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فهذا مختصر لكتاب "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" لمؤلفه الشيخ الدكتور غالب بن علي عواجي تغمده الله بواسع الرحمات وجعل ذلك في موازين الحسنات وجمعنا وإياه في دار الكرامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقد جمع فيه مؤلفه أبرز الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وبيّن موقف الإسلام منها، وذلك بقياسها عقائدها على مدى مخالفتها لفرقة أهل السنة والجماعة،ونهج السلف الصالح، القائم على الكتاب والسنة، ولهذا صدَّر المؤلف الكتاب ببيان فرقة أهل السنة والجماعة ، ثم بدأ بذكر الفرق المخالفة لهم ، وابتدأ بالخوارج ثم الشيعة ثم القاديانية ثم الباطنية ثم النصيرية ثم الدروز ثم البابية ثم البهائية ثم الصوفية ثم المرجئة ثم ذكر فرق أهلالكلام وهي الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ثم ختمها بدراسة أهم المسائل التي اتفق عليها أهل الكلام.

وهذا الكتاب من الكتب التي جعل لها الله لها القبول بين طلبة العلم، فقد قُرّرت دراسته في كثير من الجامعات الإسلامية والعربية في مختلف البلدان، لما حوى من معلومات كبيرة وفوائد عظيمة وتجرد في النقل والدراسة، مبني على منهج السلف الصالح، فقد نقل من أمهات كتب الفرق المذكورة وبين انحرافها بأدلة نقلية وعقلية واضحة.

وقد كنت ممن أنعم الله علي بتدريس كتاب والدي لطلاب الجامعة الإسلامية، في مختلف كلياتها في مادة الفرق، وطلب مني كثير من الطلاب اختصار كتاب الفرق المقرر، فترددت رهبة من اختصار كتاب الوالد بما يخل بمنهجه أو يقل عن هدفه، فاستخرت الله واستشرت ثم عقدت العزم على اختصاره وعلمت أن المختصر فرع عن الأصل ولا يغني الفرع عن الأصل بل لا يقوم إلا به – وهذا ما أوصي به طلاب العلم –.

وكان مما زاد شوقي لقراءته مرات عديدة واختصاره اختصارا موجزا ما أحسست به من أُنس بعد وحشة فراقه، فكان لقاء بيني وبينه في السطور والكلمات، فاختلطت العبرات بالعبارات.

ولئن رحلت فقد رحلت مطيبا بالعلم والتعليم والدعوات

لكن تركت جمار فقدك في الحشا وكسرت مجدافي ورأس عصاتي .

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وقد حرصت ألا أغير عباراته في معظم الاختصار، اللهم سوى حذف الاسترسال وربط الجمل ببعضها بعد ذلك، ولم أترك شيئا من المسائل المذكورة في أصل الكتاب، وقد قمست ما ارتأيت تقسيمه وحولت بعض الفصول إلى مباحث، وقسمت بعض المباحث إلى فقرات ليسهل على طلاب العلم حفظها وفهمها، وكنت في هذا مستعينا بالله وحده.

فرحم الله المؤلف رحمة واسعة وكتب ذلك في ميزان أجوره وحسناته، وجزاه الله عن حملة العلم وطلبته أطيب الجزاء وأجزله وأفضل الإحسان وأكمله، ورفع درجاته في عليين، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، والحمد لله رب العالمين.

خطة الكتاب:

اعتمدت تقسيم الكتاب الأصل في تقسيمه سوى جعل لعض الفصول مباحث وجعل بعض الأبواب فصولا وذلك كما يلي:

الفصل الأول: مقدمة في الفرق: وتشمل المباحث التالية:

المبحث الأول: الهدف من دراسة الفرق.

المبحث الثاني: أهمية دراسة الفرق.

المبحث الثالث: النهي عن التفرق.

المبحث الرابع: حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من هي الفرقة الناجية.

المطلب الثاني: معنى قوله ﷺ: كلها في النار إلا واحدة "

المبحث الخامس: كيف ظهر الخلاف والتفرق بين المسلمين.

المطلب الرابع: الإمامة العظمى.

المطلب الخامس: موقفهم من عامة المسلمين.

المطلب الثامن: حكم الخوارج في أطفال مخالفيهم.

المبحث التاسع: الحكم على الخوارج.

الفصل الثالث: الشيعة، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالشيعة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: متى ظهر التشيع.

المبحث الثالث: مراحل دعوى التشيع.

المبحث الرابع: أسماء الشيعة

المبحث الخامس: فرق الشيعة ، ويشمل المطال التالية :

تمهيد:

المطلب الأول: السبب في تفرقهم.

المطلب الثاني: عدد فرقهم.

المبحث السادس: دراسة أهم فرق الشيعة، وفي المطالب التالية:

المطلب الأول: السبئية.

المطلب الثاني: الكيسانية.

المطلب الثالث: المختارية.

المطلب الرابع: الزيدية

المطلب الخامس: الرافضة ، وتشمل دراستها المسائل التالية:

المسأولة الأولى: تعريفهم لغة واصطلاحا.

المسألة الثانية: سبب تسميتهم بالرفاضة.

المسألة الثالثة: وجودهم قبل اتصالهم بزيد.

المسألة الرابعة : أسماؤهم قبل اتصالهم بزيد.

المسألة الخامسة : فرقهم وهي

أ- المحمدية .

ب- الإثنا عشرية : وتشمل دراستها ما يلي:

1- أسماؤهم وسبب تلك التسميات

2- سبب انتشار مذهبهم وأماكن انتشارهم .

3- فرقهم وأهمها الشيخية والرشتية

المبحث السابع: إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للشيعة وفيه المطالب التالية :

المبلطلب الأول: قصر استحقاق الإمامة في علي وذريته.

المطلب الثاني: دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

المطلب الثالث: تدينهم بالتقية.

المطلب الرابع: دعواهم المهدية والرجعة .

المطلب الخامس: موقفهم من القرآن الكريم.

المطلب الساس: موقفهم من الصحابة.

المطلب السابع: القول بالبداء على الله تعالى .

المبحث الثامن : الشيعة في العصر الحاضر، وهل تغير خلفهم عن سلفهم .

المبحث التاسع: الحكم على الشيعة .

الفصل الرابع : الباطنية : وفيه الفصول التالية :

المبحث الأول: في بيان خطر هذه الطائفة .

المبحث التاسع: منزلة مذهب المرجئة عند السلف .

الفصل الحادي عشر: الجهمية : وفيه المباحث التالية :

تمهيد: هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر؟.

المبحث الأول: التعريف بالجهمية وبمؤسسها.

المبحث الثاني: نشأة الجهمية.

المبحث الثالث: بيان مصدر مقالة الجهمية.

المبحث الرابع: ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالا، وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول: إنكارهم جميع الأسماء والصفات .

المطلب الثاني: قولهم بالإرجاء والجبر.

المطلب الثالث: إنكارهم الصراط.

المطلب الرابع:إنكارهم الميزان.

المطلب الخامس: قولهم بفناء الجنة والنار.

المبحث الخامس: الحكم على الجهمية.

الفصل الثاني عشر: المعتزلة، وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأتهم .

المبحث الثاني: أسماؤهم وسبب تلك التسميات.

المبحث الثالث: مشاهير المعتزلة .

المبحث الرابع: ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالا.

المبحث الخامس: الأصول الخمسة للمعتزلة ، وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : التوحيد. المطلب الثاني: العدل. المطلب الثالث: الوعد والوعيد. المطلب الرابع : القول بالمنزلة بين المنزلتين. المطلب الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الفصل الثالث عشر: الأشاعرة أو السبعية ، وفيه المباحث االتالية :

المبحث الأول: ظهور الأشاعرة .

المبحث الثاني: أبو الحسن الأشعري.

المبحث الثالث: عقيدته .

المبحث الرابع : عقيدة الأشعري .

المبحث الخامس: أشهر زعماء الأشعرية .

المبحث السادس: موقف الأشاعرة من صفات الله

الفصل الرابع عشر: الماتريدية : وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول: التعريف بمؤسس الماتريدية .

المبحث الثاني: أهم آراء الماتريدي إجمالا.

الفصل الخامس عشر : دراسة أهم المسائل التي اتفق عليها اهل اكلام ، فيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تقديم العقل على النقل.

المبحث الثاني: جهل أولئك بمعنى توحيد الألوهية .

المبحث الثالث: معنى التأويل عندهم .

المبحث الرابع: تعطيل النصوص عن مدلولاتها.

مقدمة في الفرق

أولا:الهدف من دراسة الفرق:

الهدف الأسمى من دراسة هذه الفرق هو أن نحقق أهدافا طيبة في خدمة الإسلام وفي كسر حدة الخلافات التي مزقت المسلمين، والعمل على جمع كلمتهم، ومعرفتهم لمواقع الخلافليتجنبوها، مما يسهم بحول الله في العودة الصادقة إلى نهجهم القويم واتحاد كلمتهم.

ومن أهم الأهداف ما يلي:

1 – تذكير المسلمين بما كان عليه سلف هذه الأمة من العزة قبل تفرقهم.

2 – لفت أنظارهم إلى حالهم اليوموخساراتهم التي منوا بها، ووصل أمتهمبماضيها، وبيان منشأ جذور الخلافات التي أدت إلى تفرقهم.

3 – ذم التفرق وبين محاسن اتحادهم مما يرغبهم في وحدة الأمة.

4 –معرفة أسباب الخلافات ليتجنبوها.

5 – رصد الأفكار الدخيلة التي يروجها أعداء الأمة ليتعرف الناس على خطرهم، وما من بلا سابق إلا وهو موجود اليوم، ولكل قوم وارث[1].

6 – حتى تبقى الفرقة الناجية علما يهتدى به في العقيدة.

7 – دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدراسة تراث هذه الفرق وفحصه واستخراج الحق من ذلك.

ثانيا:أهمية دراسة الفرق ورد شبهة من يريد عدم دراستها:

يزعم بعض الناس أن دراسة هذه الفرق ليس مجديا، لانتهاء أمر تلك الفرق واندثارها، وللجواب علىذلك نقول:

1– أن العبرة بالأفكار وليست بالأشخاص، فمادامت أفكارهم باقية فدارستها ضرورة كالعقلانيين الجدد الذين ورثوا آراء المعتزلة.

[1] قال ولي الله الدهلوي: "إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الانموذج بحكم الحديث"لتتبعن سنن من كان قبلكم" الحديث أخرجه الترمذي4/475. انظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص39 نقلا عن الفوز الكبير ص26

2- أنه لازالت لتلك الفرق أتباع ينادون باسمها وتطبيق اعتقاداتها ويستحلون دماء المخالفين أو يكفرونهم، كالصوفيةمثلا، فقد جرف تيارهم أعداد كثيرة من المسلمين، فاعتقدوا الخرافات وغلوا في الأشخاص وتحضير الأرواح واتباع المنامات وغيرها.

3- أن في ذلك تكثير لعدد أتباع الفرقة الناجية، وذلك بعد دراسة الفرق دراسة فاحصة ودعوة أتباعها إلى الحق.

4- أن في عدم دراستها إبطال لما فرضه الشرع من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدعوةالناس إلى التمسك وبيان أضرار الفرق في مخالفتها للشرع تحقيق لذلك.

5- أن في عدم دراستها إفساح للمجال أمام أتباع الفرق المخالفة للحق لنشر باطلهم وتكثير سوادهم، ولذلك انتشرت آرائهم بين عامة المسلمين، ولا ادل على ذلك من ترديد كثير من المكسلمين لبعض العهبارات دون أن يعرفوا أن مصدرها من المعتزلة[2] أو من الصوفية[3] أو البهائية[4] أو القاديانية[5] أو الخوارج[6] أو الشيعة[7]، بسبب جلهلهم بتلك الجطوائف[8].

ثالثا:النهي عن التفرق في الكتاب والسنة:

جاء الكتاب والسنةبالنهي عن التفرق، وقد سار على نهجهما واهتدى بهديهما الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وإبراز ذلك فيما يلي:

أولا: الأدلة من القرآن: جاءت كثير من النصوص في القرآن الكريم تدعوة إلى الوحدة وتنهى عن التفرق ومن ذلك:

1 – قول الله تعالى:{وأن ها صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}[9]

---

[2] مثل تقديس العثل وتقديمه على النصوص.

[3] مثل إطلاق لغظ العشق على الله ورسوله كقولهم:"عاشق النبي يصلي عليه"

[4] مثل تقديس العدد19.

[5] مثل تأويل آيات القرآن بالهوى.

[6] مثل تكفير المجتمعات الإسلامية.

[7] مثل بغضهم الصحابة. وانتظار مُحَمَّد بن الحسن العسكري، المبالغة في حب الحسين. .

[8] انظر: مقدمة في أشسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحكيم، ص27-28 وكذا ص36-38

[9] سورة الأنعام آية 153

2 – قوله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا}[10]

3 – قوله تعالى: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيها لست منهم في شيء}[11]

والأيات كثير واضحة في معناها ودلالتها،ولا تحتاج إلا إلى تطبيق بجد وإخلاص ، فهي تحذر من التفرق وتدعوا إلى جمع كلمة المسلمين.

ثانيا: الأدلة من السنة:

وردت أحاديث كثير عم الرسول ﷺ تدعوا إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذر من تفرقهم، منها على سبيل المثال ما يلي:

1- ماروواه عبد الله يبن مسعود ﷺ قال: خط لنا رسول الله يوما خطا ثم قال هذاسبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله،وقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه"[12]

2- حديث العرباض بن سارية قال، قال الني صلى الله عليهوسلم: " فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشديم المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة"[13].

3- ما رواه حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال في بيان المخرج عند ظهور تفرق المسلمين واختلافهم: " تلزم جماعة المسلمين وإماهم " قال حذيفة:قلت:فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟قال: " فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك "[14]

4- حديث الافتراق وهم أهم حديث وأبينه في بيان افتراق الأمة، وقد تعددت طرق ورواته، فمنها ما رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهقال: قام فينا رسول الله ﷺ،فقال: " ألا

[10] سورة آل عمران آية103

[11] سورة الأنعام آية159

[12] أخرجه الدارمي في مسنده، وهذا ما ينطبق على الفرق الخارجة عن الحق.

[13] أخرجه الترمذي 209/4 وأبو داود 506/2 ، واللفظ له.

[14] متفق عليه، البخاري35/13 ومسلم 514/4

إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين،اثنتانوسبعون في النار وواحدة في الجنة ... وهي الجماعة "[15]

وفي رواية أنس عن النبي صلى الله عليه وسيلم أنه قال: " إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فثي النار إلا واحدة وهي الجماعة "[16]

رابعا:دراسة حديث الافتراق:

أ- **سند الحديث**: منهم من لم يصححه ولم يجوز الاستدلال به كابن حزم وغيره، ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه، ومنهم أخذ به وصححه وحاول حصر العدد المذكور في الحديث كالبغدادي[17]، وقد صححه ابن تيمية ورد على من ضعّفه[18].

ب- **حصر الفرق في حديث الافتراق**: إن حصر الفرق في العدد المذكور في الحديث ليشمل كل فرقة فيهإشكال، لأن أصول الفرق لا تصل إلى هذا العدد، وفروعها تصل إلى أكثر من هذا العدد، ثم إن الفرق ليس لظهورها زمن محدد،أي لم يرد في السنة تحديد لنهاية تفرق الأمة.

فالصواب أن يقال: إن هذا الحديث في إخبار عن افتراق الأمة، دون تحديدهم بزمن معين، فتُعدُّ الفرقةفرقة في أي زمان ظهرت فيه، فهو قد أخبر عن افتراق أمته، وأمته مستمرة إلى يوم القيامة، مع الاعتقاد أن يوجد هذا العدد على الوجه الذي أراده الرسول ﷺ في عصرنا وفي غيره[19].

ج- من هي الفرقة الناجية: ورد في الحديث أن هناك فرقة ناجية تنجو من النار ، وقد اختلف العلماء في المراد بهم على أقوال ، وهي كما يلي إجمالا :

قيل إنهم السواد الأعظم من أهل الإسلام، وقيل هم العلماء المجتهدون، وقيل إنهم خصوص الصحابة، وقيل إنهم الجماعة إذا اجتمعوا على أمير[20].

---

[15] أخرجه أبو داود503/2 والترمذي 25/5 وابن ماجه1321/2 وأحمد 322/2

[16] أخرجه أبو داود 503/2

[17] انظر: الفرق بين الفرق ،للبغدادي، تعليق: مُحَمَّد محيي الدين ص6

[18] انظر: منهاج السنة48/5 ومجموع الفتاوى 345/3.

[19] انظر: الاعتصام 222/2 وانظر: تعليق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد في أول كتاب الفرق بين الفرق ص7

[20] انظر: الاعتصام 260/2-264 وقد فصل القول فيهلا، وانظر: مجموع القفتاوى 345/3

والصواب، أنهم جماعة يسيرون على المنهج الحق، لا يعرف عددهم ولا تحديد بلدانهم، وهم يسيرون على الحق إلا أن يأتي أمر الله كما في الحديث.

د- معنى قوله ﷺ: "كلها في النار إلا واحدة ":

ذكر الشاطبي ما حاصله ثلاثة أقوال:

الأول: أن هذه الفرق لا بد أن ينفذ فيها الوعيد.

الثاني:أنهم تحت المشيئة كأهل الكبائر إن شاء عذبهم وإن شاء عفى عنهم[21] .

الثالث: أن الأولى عدم التعرض لتعيينهم لأن الحديث في تعيينهم إجماليا وليس تفصيليا[22].

والذي يظهر أن هذه الفرق تختلف في بعدها وقربها من الحق، فبعضها يوصف أتباعه بالبدعة وحكمهم كأهل الكبائر تحت المشيئة، وبعضهم يوصف بالكفر مثل السبئية والباطنية والميمونية من الخوارج.

خامسا:كيفية ظهور الخلاف والتفرق بين المسلمين:

لم يكن الخلاف في عصر النبوة الأولى كما هو الحال بعد ذلك، إذ مرّ بأطوار ومراحل أذكت مفهوم الخلاف بين المسلمين ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

أولا: كان الخلاف في عصر النبي ﷺ ينتهي فور وصول الرسول ﷺ حين يحكم فيه، كما هو الحال في قصة الخلاف بين المهاجرين والأنصار حينما اختلف رجلان، فاستغاث أحدهما بالمهاجرين واستغاث الآخر بالأنصار، فخرج رسول الله ﷺ مغضبا وهو يقول:"وأنا بين ظهرانيكم" فانتهى الخلاف، والأمثلة كثيرة على هذا.

ثانيا: بعد وفاة النبي ﷺ إلى أواخر عصر الخلفاء الراشدين حدثت بعض الأمور التي كانت محل خلاف، ولكنهم كانوا على منهج واحد في أصول الدين وفروعه، ولذلك قضى عليها الصحابة ﷺ بثباتهم ويقينهم، ومن تلك الاختلافات التي حدثت في عصرهم ما يلي:

1 – حين اختلفوا في موت النبي صل الله عليه وسلم هل مات أم لا؟ واختلفوا على رأيين حيث رأى أبو بكر ومن معه أنه قد مات ورأى عمر ومن معه أنه لم يمت.

---

[21] انظر: الاعتصام 2/247-248

[22] ذكره الشاطبي في الموافقات، انظر: أهم الفرق ص12

ولكن قضي أبو بكر الصديق على هذا الخلاف بعد قراءته لقول الله تعالى:{إنك ميت وإنهم ميتون} مع أن هذا لا يشكل خلافا حقيقيا وانما حالة طارئة مرت بالمسلمين.

2 – اختلفوا في موضع دفنه،فأهل المكة أردوا دفنه في مكة، وأهل المدينة أرادوه في المدينة، وقال آخرون بنقله إلى بيت المقدس، ولكل فريق حججه،ولكن أبو بكر الصديق ﷺ قضى على هذا الخلاف حينما روى لهم قول النبي ﷺ: "ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه" [23].

3 – اختلفوا في تسيير جيش أسامه ، هل يبقى في المدينة كما يرى عمر أم يمضي كما يرى أبو بكر ، ولكن سرعان ما اقتنع الناسي برأي أبي بكر ﷺ .

4 – اختلفوا في قتال ماني الزكاة، هل يُقاتلون بإنكارهم ركن من أركان الإسلام،كما يرى أبو بكر ، أم لا يقاتلون، كما يرى عمر، ثم انتهى الخلاف بقبول رأي أبي بكر ﷺ ، بعد قياسه للصلاة على الزكاة، وبين لهم وجوب عدم التفريق بينهما .

5 – اختلفوفي الإمامة بعد وفاة النبي ﷺ، هل هي في قريش أم في الأنصار، وذلك بعد اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة واختيارهم لخليفة منهم، ثم رجعوا جميعا إلى رأي أبي بكر حينما تبين لهم الحق في قوله.

سادسا: مدى سعة الخلاف الذي كان يحصل بين الصحابة وكيف تطور؟

أ- الخلاف في عهد الصحابة:

كان الخلاف في عهد الصحابة ينتهى بأسرع وقت ، وذلك لأنهم ما كانوا يريدون الخلاف لذاته أولأهوائهم ، وإنما كان الخلاف حول فهم نص من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ ، وهي أمور أكثرها اجتهادي يسوغ فيها الاجتهاد ، ومع ذلك كان إذا تبين لبعضهم صحة اجتهاد أخيه ترك الخلاف ووافقه ، بل وربما رجع كثير منهم عن اجتهاده كراهية للاختلاف وحرصا على جمع الكلمة ، فخلافهم كان المرادمنه هو الوصول إلى الحق ، ولم يختلفوا على أمر في العقيدة أو الشريعة وغاية ما حصل بينهم هو خلافهم في أمور دنيوية اجتهادية كما حصل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

ب- تطور الخلاف بعد عصر الصحابة:

---

[23] أخرجه الترمذي338/3 وصححه الألباني في صحيح الجامع 5649

تطور الخلاف بعد عهد الصحابة إلى خلاف مزق وحدة الأمة الإسلامية، حيث ظهر أشكال من الناس،كان بعضهم منافقا يظهر الإسلام، ثم عمل من داخل المسلمين على شق وحدة المسلمين وتضخيم اختلافاتهم وجاد بالتأويل والشبهات.

وقد تدرج هذا المنحى في الاختلاف ونخر في جسد الأمة حتى وصل الحال إلى واقعنا المؤسف الذي نعيشه اليوم حيث توالت على المسلمين الضربات والإهانات جراء تشتتهم وتفرق كلمتهم حتى وصل الحال إلى الواقع المؤسف الذي نعيشه اليوم من التباكي على الوحدة الإسلامية، فذلّ المسلمون ذلا شنيعا خصوصا في عصرنا الحاضر، والعرب بخصوصهم كانوقبل الإسلام أذلّ الناس إلى ان جاء الإسلام فأعزهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهناك عوامل كثيرة أسهمت في نكبات المسلمين –سنذكرها خلا هذه المقدمة–.

سادسا:مظاهر الخلاف بين المسلمين :

مر المسلمون بخلافات عديدة، ولكن كل تلك الاختلافات لا تخرج عن أحد هذه الأمور وذلك كما يلي:

1 – خلافات عملية، وقع فيها اقتتال، وجردت فيها السيوف، وهي نتيجةلاختلافاتعقدية، وإن كانت تبدو أنها سياسية، كما وقع بين علي والخوارج، أو بين الخوارجوالأمويين، وحديثا ما نراه من فتك الشيعة في لبنان وغيرها بأهل السنة.

2 – خلافاتعلمية، خاض غمارها العلماء، وتبعهم على ذلك أتباع، وأصبح كل فريق لا يصغي للآخر ولا ينصفه، ولا شك أنها هذه الخلافات أذكت نار العداوة والبغضاء بين المسلمين[24] .

سابعا:كيف تبدأ الفرق في الظهور:

لا يتيسر في الغالب معرفة ظهور كل فرقة من الفرق على وجه التحديد، وذلك لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة، حيث تبدأ بفكرة صغيرة فردية أو جماعية ثم تتكون،إلى أن تصبح فرقة لها منهج مميز، يقول الأستاذ أبو زهرة:"إن الأفكار التي تشيع وتنتشر، من الصعب الوصول إلى مبدئها على وجه الحزم واليقين من غير حدس وتخمين"[25]، فالتخطيط لقيام فرقة قد تطول مدته وقد

[24] انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة 16/1

[25] تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة 125/1

تقصر حسب ظروفها المهيأة، فيحسن التفريق بين ظهور الفرقة كفرقة ذات آراء اعتقادية وبين ظهورها كفرقة، والصعوبة تكمن في تحديد ظهورها كفكرة وليس كفرقة.

ثامنا:منهج العلماء في عد الفرق:

لا يوجد لعلماء الفرق قانون يسيرون عليه في عدهم للفرق الإسلامية، بل لهم طرق متعددة، بحسب اجتهاد كل واحد، منهم يقول الشهرستاني:"فما وجدتُّ مصنِّفَين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق "[26].

ومصداق كلام الشهرستاني يظهر عند عدّ العلماء لأمهات الفرق فمثلا عند الأشعري عشرة أصناف، وعند الشهرستاني أربع فرق، وعند غيرهم ثمان فرق، وعند آخرين ثلاثا، وعند بعضهم خمسون، ولعل بعضهم قد اختلط عليه عد الفرق التي يطلق عليها أنها من أهل الإسلام من غيرها.

ثامنا:ما المراد بأمة الإسلام:

اختلف المنتسبون إلى الإسلام فيمن يدخلون في الاسم العام لملة الإسلام، وحاصل الأقوال في ذلك كما يلي:

1- أن هذه التسمية تشمل كل مقرّ بنبوة مُحَّد ﷺ وتصديقه، وهذا قول أبو القاسم الكعبي زعيم الكعبية من المعتزلة.
2- أنها تشمل كل من يرى وجوب الصلاة نحو الكعبة.
3- أنها تشمل كل من أقر بالشهادتين ظاهرا ولو كان مضمرا النفاق، وهو قول مجسمة خراسان.

والواقع، أن جلّ تلك الأقوال لا تخلو من انتقاد، فالقول الأول والأخير، ينقضه ما وقع من يهود أصبهان، حيث أُقروا بنبوة مُحَّد ﷺ إلىالعرب، وكذلك الموشكانية من اليهود، أقرو بنبوة مُحَّد وشرائع الإسلام، ونفوا أن يكون مرسل إلى كافة البشر، ومع ذلك فهم ليسوا مسلمين[27].

والحق في هذا أنه لا يدخل في الإسلام إلا من أقر به ظاهرا وباطنا والتزم بشرائع الإسلام، ثم إذا كان له بعض البدع فإنه ينزل من الإسلام حسب قربه أو بعده عنها، ويحترز من تكفير شخص معين إلا إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده بعد إقامة الحجة عليه.

---

[26] الملل والنحل 14/1

[27] انظر: الفرق بين الفرق ص 12-14

تاسعا: أهم أسباب نشأة الفرق:

حدث كثيرمن التفرق في أمة الإسلام ولم يلتزموا بالأوامر والنواهي من الكتاب والسنة عن النهي عن التفرق، وقد ساعدهم في ذلك أعداء الإسلام المتربصين بهم بعد أن تأثر كثير من شباب الأمة بالدسائس التي تحاك لتفريقهم من قبل أعدائهم، حتى أصبح كثيرمنهم معول هدم على دينه وأمته، فتعمقت الفرقة ونشأت الأحزاب والجماعات.

وهناك أسباب عديدة عملت مجتمعة على ذلك التفرق بعضها معلن وبعضها خفي، من أبرزها مايلي:

أ – وجود علماء انحرفت عقائدهم: فقد ظهر علماء السوء الذين يُظهرن من النصوص ما يوافقهم، ويخفون منها مالا يتفق مع أهوائهم ، وهؤلاء قد أضلوا الناس بغير علم ولا هدى،فصاروا يحرِّمون ما شاءوا ويحللون ما شاءوا ويفتون بما يريدون ، وبغضوا لأتباعهمكل من لا يسير على طريقهم، ووصفوه بكل صفة سوء حتى ينفروهم عن معرفة الحق وأهله وقد قال ﷺ : "أخوف ما أخاف على امتي منافق عليم اللسان يجادل بالقرآن"[28]

ب – غلبة الجهل وفشوه بين أوساط المسلمين في مختلف العصور بصفة عامة: فقد مرت عصور مختلفة على المسلمين فشا فيها الجهل واستحكمت الخرافات على نفوسالمسلمين بدلا من العلم والاعتقاد الصحيح، وعُظّم بعض المخلوقين تعظيما خارجا عن هدي الإسلام.

ج – عدم فهم النصوص فهما سليما: حتى وإن كانت النية ربما تكون حسنة عند البعض ، حيث أخذت كل فرقة تؤوّل النصوص لصالحها وصارت كل فرقة تعيب على الأخرى عدم فهمها للمراد من النصوص دون علم أوهدى .

د – موافقة الخلاف والفرقة لهوى في النفوس: وهذا السبب أدى إلى إقصاء العقل وإهمال الشرائع وإخراج النصوص عن مدلولاتها، وإقامة البدع ونشر الخرافات وسفك الدماء في أحيان كثيرة، مع ذمّ الكتاب والسنة لاتّباع الهوى والتحذير منه.

هـ –تدخل سلطان العصبية البغيضة: حيث أدت العصبية البغيضة إلى نشر البدع والخرافات وتعظيم ماعليه الآباء وتقديم أفكارهم على النصوصالشرعية، فأخذت كل طائفة تمجد رموزها، وتتحزب حولها،

---

[28] مسند الإمام احمد 22/1.

فحجبت أبناءها عن محاولة تألف القلوب وجمع الكلمة ، وقديما قالت ربيعة عن كذاب مسيلمة " كذاب ربيعة خير من صادق مضر"

و – استحكام قوة الحسد في النفوس: وكانت أهم نتائج هذا الحسد هو استحكام الفرقة بين المسلمين وبغي بعضهم على بعض وظهور العداوة والبغضاء وغير ذلك من المفاسد، وقد قال النبي ﷺ " الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[29].

ز – الرغبة في إحياء البدع والخرافات: كان لعامل حب البدع والعمل بها والتصميم عليها، أكبر الأثر في قيام كثير من الحركات والفرق على امتداد تاريخ الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ. فشرعوا لأنفسهم ما شاءوا من الزيادة والنقصان على شريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، فاختلط على كثير من الناس الحق بالباطل وصعب عليهم التفريق بين الشرع المنزل والبدع المحدثة ، ولم يلتفت إلى النصوص التي تأمر بالسير على النهج الحق وعدم الابتداع فيه كقول الله تعالى : { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} وقول النبي ﷺ " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[30]

ح – تقديس العقل وتقديمة على النقل: واعتبارهم أن العقل هو الفيصل العدل مع أن العقل له حدود إذا تجاوزها الشخص خرج عن الحق، وقد أدى إلى ذلك ترجمة الكتب اليونانية في عهد المأمون إلى ظهور كثير من الفرق التي تقدم العقل على نصوص الشرع ، فاحتدم الخصام بين الطوائف الإسلامية ، فالمعتزلة مثلا ، ومن تبعهم ، قدموا العقل على القل واعتبروه المرجع الأول والأخير والحاكم في قضايا الدين ، ففتحوا بهذا باب فتنة وتفريق بين المسلمين ، فقيض الله من عباده من وقف في طريق هؤلاء ودحر شبههم[31] .

ط – بث الدعايات المنفرة من الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب والسنة: وغرضهم مكن ذلك هو التنفير عن أهل الحق ببث الدعايات الكاذبةعنهم ، فكالوا التهم وقذفوا الألقاب الظالمة عليهم جزافا .

فمن تلك الأوصاف التي أطلقها هؤلاء على أتباع العقيدة السلفية ، وصفوهم بالمشبهةوالحشوية والمجسمة والنابتة والنواصب وغير ذلك من الألقاب ، وكبار الفرق الذين بثوا الدعايةالسيئةوالألقاب الشنيعة على

---

[29] أبو دواد 574/2

[30] صحيح مسلم 312/4

[31] وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه البديع درء تعارض العقل والنقل وما كتبه تلميذه شمس الدين ابن القيم.

السلف هم الخوارج والمعتزلة والروافض والجهمية والقدرية والأشاعرة والماتريدية والصوفية ، وكل طائفة منهم أطلقت ما حلا لها من إطلاق ما يستبشع من الألفاظ على السلف بغرض التنفير منهم .

ي – وجود تأثيرات خارجية: فقد كان للتأثيرات الخارجية أثر مهم في نشأة الفرق واستحكامها بعد نشأتها بين المسلمين وهي تكمن في الأمور التالية:

1- اختلاط المسلمين بغيرهم: وذلك بعد أن دخل في الإسلام من غير المسلمين، ولكنهم دخلوا متمسكين ببعض الأفكار التي كانوا عليها قبل دخولهم الإسلام، متعمدين وغير متعمدين، فنتج عن ذلك جماعات وفرق شكلت فرق إسلامية فيما بعد.
2- وجود حركةثقافية: حيث ترجمت قديما في عهد المأمون كتب غريبة على المسلمين، وتترجم حديثا كتب للملاحدة والماديين تسهم في تنمية الخلاف بين المسلمينوتفرقهم.
3- تأثر بعض المسلمين بغيرهم من أهل الديانات السابقة: وذلك بعد أن عايشوهم، فنشأت اعتقادات كان أصلها فارسي أو هندي أو نصراني أو يهودي[32].
4- ما يواجهه المسلمون من ضغوط ينتج عنها جيل يعتقد أن ماعليه الآباء والأجداد كان هو الحق والصحيح.
5- دخول كثير من الناس في الإسلام ظاهرا ، وهم يبيتون النية لهدمه وأكثر هذا الصنف هم اليهود والنصارى ، وقد ظهرت آثارهم على آراء الرافضة الغلاة في تأثرهم باليهودية في جملة من الاعتقادات لا سيما آراء ابن سبأ اليهودي في قوله بالرجعة والوصية[33]وكذلك قولهم بالبداء والجهمية في تأثرهم باليهودية في قولهم بخلق القرآن كما هو اعتقاد اليهود بخلق التوراة والمعتزلة والنصيرية في تأثرهم بالهندوسية في قولهم بالتناسخ [34]والصوفية في تأثرهم بالنصرانية في النظر إلى الدنيا واحتقارهم الكامل لها ، وقولهم باللاهوت والناسوت والاتحاد بينهما[35] وغيرذلك كثير .

---

[32] انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص11 والفصل 115/2

[33] الفصل في الملل 115/2

[34] انظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص 125

[35] نفس المرجع ص 129

الفصل الأول:

فرقة السلف أهل السنة والجماعة

تمهيد: حول دراسة هذه الطائفة:

إن عقيدة السلف ما كانت ولم تكن مشتملة على غموض أو اضطراب يحتاج إلى توضيح ولكن الذي حصل لم يكن في الحسبان، فقد ظهر علماء سوء أحاطوا كثيرامن التعاليم الإسلامية بشبهاتهم التي ورثوها عن مختلف الفلسفات ثم أضرموا نار الخلاففيها، وقلبوا الأمور حتى احتاجت إلى بيان وإيضاح لإعادة المسلمين إلى نبع العقيدة الصافي.

المبحث الأول:

الأخطار التي تحيط بأهل السنة والجماعة

لا ريب أن هناك خطط تحاك، ومؤامرات تنفذ ضد المسلمين من قبل أعدائهم، ولا أظن أن القاريء في حاجة إلى ضرب الأمثلة على هذا الواقع المشدهد بدأ من الاستعمار الفعلي إلى الاستعمار الفكري إلى التفرق الحاصل بين المسلمين، وسنترك الكلام عن تفرق المسلمين وتحزباتهم وهوانهم على سائر الأمم وجميع الملل، وسنتحدث بنصح إلى الصفوة الباقية من المسلمين الذين بقوا قابضين على مفاهيم الكتاب والسنة ونبين لهم أبرز الأخطار المحدقة بهم.

فمن الأخطار التي توجه أهل السنة من قبل أعدائهم ما يلي:

1- محاربة المسلمين في تمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.
2- محاولة دق إسفين بين الكتاب والسنة، وبث دعوى الأخذ من القرآن دون السنة.
3- تشكيك المسلمين في صلاحية تعاليم دينهم في هذا العصر.
4- بث الدعايات ضد أهل السنة وتشويه معتقداتهم.
5- محاربة أهل السنة عن طريق تمجيد العقل وتقديسه.
6- محاربته عن طريق التأويلات الفاسدة للنصوص.
7- محاربتهم الحرب النفسية وإدخال الهوان واليأس على قلوبهم.

8- محاربتهم عن طريق تقوية بعضهم على بعض ليضعفوهم ماديا وبشريا ولتدوم حاجتهم إلى أعدائهم.
9- إحياء البدع والخرافات والترغيب فيها.
10- محاولة حصر مفهوم الإسلام وتعاليمه في القيام بالعبادات فقط دون المعاملات والسلوك.
11- إشغال أهل الحق بفتن مختلفة ونظريات باطلة لصرفهم عن دينهم.
12- إشغالهم بدعوى التجديد في الدين بإحداث البدع.
13- تأييد كل الدعوات الهدامة والمباديء المنحرفة التي تدعوا إلى نسخ الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني:

عقيدة فرقة أهل السنة والجماعة

لقد ألّف علماء الاسلام مؤلفات واسعة في بيان معتقد فرقة أهل السنة والجماعة إلا أنه ومع الأسف لا يزال كثير من الناس يجهل معتقدات هذه الفرقة ومسلماتها، وذلك لعدة أسباب أبرزها ما يلي:

1- بسبب انصراف الناس عن مدارستها بجد.
2- لعدم وجود من يقدمها للناس في أماكن تجمعاتهم بالصورة المرضية.
3- لقوة الدعايات ضدّ السلف وكتبهم.
4- لعدم تمكينهم وتمكين كتبهم من الانتشار بل ومحاربتها.

وفي الحقيقة مهما وصل إليه الشخص من علم وثقافة إلا أنه يحتاج إلى تجديد معلوماته وقراءتها من كتب أهل السنة ليكتسب علما جديدا وليزداد معرفة وبصيرة بها.

ففرقة السلف هم أهل السنة والجماعة وهم الطائفة المنصورة وهم خير الفرق وأزكاها ولا تقارن بهم أي فرقة أخرى بها مهما بالغت في انتسابها إلى الكتاب والسنة.

فقد اتضح منهاجهم القويم وشهد لهم النبي العظيم أنهم على الحق والهدى وأنه لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على الحق.

المبحث الثالث:

أسماء هذه الطائفة وألقابهم

1- الألقاب الصحيحة:

أُطلقت على هذه الطائفة ألقاب صحيحة تدل على حالهم وصحةمعتقداتهم، فكانت كالرحيق لكل مؤمن، وكالشجى في حلق كل مبتدع، وهي أسماء أُخذت من أوصافهم التي وردت على لسان المصطفى ﷺ.

ومن أسماء السلف الصحيحة التي أُطلقت عليهم ما يلي:

1- أهل السنة والجماعة.
2- السلف الصالح.
3- الفرقة الناجية.
4- أهل الحديث والسنة.
5- أهل الأثر.
6- الطائفة المنصورة.

وفيما يلي إلقاء الضوء على ذكر تلك الأسماء فيما يلي:

أولا: أهل السنة والجماعة:

أ- التعريف بأهل السنة:

معنى السنة في اللغة: هي الطريقة أو الطرق الواضحة والسلوك الطيب –كما قال الجوهري وابن الأثير[36]–.

معنى السنة في الاصطلاح: تطلق على كل ماجاء عن المصطفى ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، ومن كرامة الله لأهل السنة هدايته لهم إلى الانتساب لها دون غيرها كما هو حال أهل الطرق البدعية الذين يتسبون إلى رأي شخص معين أو إلى بلد أو قوم أو غير ذلك.

---

[36] انظر: الصحاح 2138/5 والنهاية في غريب الحديث 409/2

وقد وقع بعض التفاوت في مفاهيم علماء كل فن في تعريف السنة وذلكفعند المحدثين هيكل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أوفعل أوتقرير أو صفة خلقية أو خلقية قبل البعثة أو بعدها، أما الأصوليين فالسنة عندهم هي ما نقل عن النبي من قول أو فعل أو تقرير وعند الفقهاء هي خلاف الواجب يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

فيتحصل منم أقوال العماء أن المراد بالسنة عند الاطلاق ما يلي:

- يراد بهعا كل ما أثر عن النبي صلى له عليه.
- يراد بها الحديث النبوي.
- يراد بها العقيدة.
- يراد بها التمسك بالكتاب والسنة وهدي الصحتابةى في كل الأمور.
- يراد بها ما يقابل البدع، وأهل هذا القول وهم السلف يفرقون بين السنة والحديث ، لأن السنة ما يقابل البدعة والحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ ، فقد يكون الرجل محدثا وليس بسني، والعكس .

وقد أُطلق على السلف أهل السنة لتمسكهم بها منذ عصر النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان.

ب- معنى الجماعة:

تطلق على الطائفة أو الفرقة أو الأمة الذين يرتبطون بمنهج واحد وهدف واحد ولم يتفرقوا في الاعتقاد والسلوك، وتطلق تسمية أهل السنة والجماعة – وهو المراد – على السلف الصالح وأتباعهم إلى يوم القيامة ، وهم الذين رغّب الرسول ﷺ في الانضمام إليهم وأخبر أنهم على الحق.

الخلاف في المراد بالجماعة:

1- قيل الجماعة هم السواد الأعظم، واختلفوا في المقصود بالسواد الأعظم، فقيل هم هم كثرة الناس، وهذا مردود بقول الله: {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلو عن سبيل الله} فليس الحق منوطا بالكثرة.
2- قيل هم العلماء العاملون بالحق، وهذا قول كثيرمن العلماء.

3- قيل إن الجماعة هم العلماء المجتهدون في كل عصر إلا أن هذا التعريف ضيق واسعا باشتراط الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ثم إن لكل فن علماؤه المجتهدون فيه، وعلماء السلف أول من يدخل في ذلك.

4- أنهم خصوص أصحاب النبي ﷺ، وهو قول مرجوح، فمن المحال أن يحكم النبي على غير الصحابة بالهلاك ولقوله كذلك: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي".

5- أنهم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، إلا أنه يرد عليه أن الحديث لم يرد في باب الإمارة وإنما ورد في التحذير من الفرقة.

6- أنهم جماعة على الحق أخبر عنهم النبي ﷺ بتلك الصفات دون تعيين أسمائهمومبلدانهم[37] وهم الفرقة الناجية وهذا هو الراجح – والله أعلم –ولأهل السنة نصيب من كل تلك الأقوال.

ثانيا: السلف:

من الأسماء التي أُطلقت عليهم السلف، وتعريف السلف في اللغة: هو لفظ يشمل كل من سبق وتقدم على غيره[38].

تعريفل السلف اصطلاحا: اختلف العلماء في المفهوم من إطلاق السلف كما يلي:

أ- ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن مفهوم السلف عند الاطلاق يراد به الصحابة من أهل القرون الثلاثة والتابعون لهم بإحسان – وهو الرأي الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية[39]وقد وصفهم شيخ الإسلام بأن أقل أوصافهم أنهم أنه محبون للقرآن والحديث باحثون عن معانيهما والعمل بماعملوه من موجبها[40].

ب- ذهب بعض العلماء إلىأن المراد بالسلف هم خصوص الصحابة فقط.

ت- ومن من يرى أنهم الصحابة والتابعون وغيرهم.

---

[37] في بعض الروايات والآثار أن هذه الجماعة هم أهل الغرب" أي الدلو الكبير وهم العرب" وفي بعضها أنهم أهل الشام، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، والذي رجحه عامة العلماء أن هذه الطائفة لا يلزم أن تكون في مكان واحد من الأرض ويمكن ان يكون آخرهم بالشام عند انقضاء الأمر، والله أعلم.

[38] انظر: الصحاح للجوهري 1376/4 والمفردات للراغب ص 239

[39] انظر: مجموع الفتاوى 355/6

[40] انظر: مجموع الفتاوى 85/4-95

ث- ومنهم من خص السلف بالقرون الثلاثة الأولى.

ويتضح من هذه التعريفات أنه لا خلاف بين المسلمين على أن الصحابة هم السلف الصالح الأخيار وأفضل الأمة بعد نبيها وأفضل الأمة بعدهم هم التابعون لهم بإحسان ثم أتباع التابعين ومن سار على نهجهم دون تقييد بزمن[41].

السلف والسلفية والانتساب إليها:

لم يكن هذا الوصف مجرد لقب أو اسم أو ظهر صدفة على ألسنة الناس، بل نشأ عن سلوك عميق لما كان عليه الصحابة ومن بعدهم بإحسان فاستحقوا هذا الاسم نتيجة عمل واقتداء والتزام لهدي الكتاب والسنة.

ولا اعتبار لنبز أصحاب الأهواء والبدع وتزهيدهم عن فرقة السلف وما تحملوه في سبيل التمسك بمنهج السلف كالإمام أحمد ثم ابن تيمية وغيرهم.

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية[42] وكذلك الدكتور مصطفة الشكعة في كتابه إسلام بلا مذاهب، أن السلفيين أطلقوا على أنفسهم هذا اللقب في القرن الرابع، ثم تجدد على يد شيخ الإسلام ابن تيمية في القرن السابع ثم جدده الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر، وقد أخطئوا الحقيقة كما أخطأها الدكتور مُحَمَّد سعيد البوطي في كتابه السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي[43] بل هي اتباع للصحابة والسلف الصالح.

ثالثا: الفرقة الناجية:

الفرقة في اللغة: اسم يطلق على الطائفة أو الجماعة من الناس.

والناجية في اللغة: وصف لتلك الفرقة بالنجاة دون أن يكون له تعلق بزمن.

---

[41] الأسبقية لاتكون مزية إذا لم يصاحبها الالتزام بالكتاب والسنة، فقد وجد في زمن الرسول ﷺ وزمن الصحابة من لم يكن له ادنى فضل أو خير مثل المنافقين والمرتدين الذين سيقول لهم الرسول ﷺ يوم القيامة: سحقا سحقا كما ثبت بذلك النص، وعلى هذا فلا تظهر مزيتها إلا مع التحقيق والاتباع والانقياد.

[42] انظر: ص 211

[43] للدكتور صالح الفوزان جزاه الله خيرا تعقيبات قوية في الرد على أبي زهرة والدكتور سعيد البوطي فيما زعماه عن السلف في كتابه الجيد" البيان لأخطاء بعض الكتاب" انظر: ص 127و187 وانظر: وسطية أهل السنة بين الفرق ص 112وص 113

والمقصود بهم: هم أهل الحق ممن تمسكوا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على مدى الأزمان، وقد أخذ اسمهم من الحديث "لا تزال طائفة من أمتي.." لأنها نجت من الضلالة والفتن ونجت من عذاب الله وعقابه إذا ماتوا كما قال النبي ﷺ:"تركتكم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك"[44].

ولم يقصد السلف من وراء هذا التسمية الشهادة لأنفسهم بالجنة ولا التزكية وإنما المقصود بها إظهار ما هم عليه من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وهما مصدرا النجاة.

رابعا: أهل الحديث[45]والسنة:

لا يريد العلماء عندما يطلقون هذه التسمية كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهمن أهل العلم لا يريدون التقسيم، فالسنة والحديث بمعنى واحد، ولكن قد يطلق بعض علماء السلف أهل السنة احترازا عن غيرهم من أهل البدع، فتكون السنة عامة والحديث أخص، ويظهر هذا الافتراق في أبواب الاعتقاد عند هذا الاستعمال، فقد يكون المرأ من أهل السنة وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية، أي ليس بمحدث، وقد يكون من أهل الحديث صناعة وليس هو من أهل السنة[46].

خامسا: أهل الأثر:

المراد بهم كل من تسمك بنصوص الكتاب والسنة، ويريدون به ما أثر عن الله تعالى وعن نبيه صلى الله عليه وسلم من تلك النصوص.

ولا يريدون ما هو متعارف عليه عند العلماء من أقسام الحديث، ومنها المأثور وهو ما وقف على الصحابي ولم يرفع إلى النبي ﷺ، فالسلف لا ينطبق عليهم هذا الاصطلاح فهم أحرص الناس على التمسك بما صح عنه، وإنما يقصدون بالأثر هو الحديث، فأهل الأثر أي أهل الحديثوما ورد عن السلف من آثار صحيحة، لأن رد الآثار من سمات أهل البدع.

سادسا: الطائفة المنصورة:

---

[44] أخرجه ابن ماجة 1322/2 من كتاب الفتن.

[45] الحديث: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة –كما تقدم – .

[46] انظر: وسطية أهل السنة ص 118

أخذت هذه التسمية من قول النبي صبلى الله عليه وسلم: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يقوم أمر الله وهم ظاهرين" وفي بعض الروايايات: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون"[47]

وقد فسر العلماء هذه الطائفة: بأنهم كل من تمسك بالكتابةوالسنة وعمل الصحابة المجانبين للبدع وأهلها.

وقد أخبر النبي ﷺ أن النصر سيكون حليفهم إلى أن تقوم الساعة، فهم منصورون بلطف الله لهم وحفظه لهم من كيد أعدائهم وليس المقصود تملكهم على الممالك أو الحكومات.

2- الأسماء والألقاب التي يُنبز بها أهل الحق من قبل أهل الباطل:

أطلق أهل الباطل إطلاقات من مختلف الأسماء الذميمة والألقاب الباطلة لينفروا الناس عنهم وعن عقيدتهم الصافية، وهو نفس مسلك المشككين تجاه النبي ﷺ حيث أطلقوا عليه أنه ساحر ومجنون وكذاب وغير ذلك.

وفي الواقع إن ذمهم لايزيد السلف إلا فضلا، وإنما يدل على نقص صاحبه ورفعة له وزيادة في الأجر، وقد أصبح من علامات أهل البدع ذمهم وسبهم لأهل السنة والتشهير بهم والاختراع الألقابالباطلة التي ينبزونهم بها، بل نبز أهل الباطل رب العالمين حينما نفوا صفاته وشبهوه بالمعدومات.

ومن الأسماء والألقاب التي أطلقها أهل الباطل نبزا لأهل السنة ما يلي:

1- المشبهة – النقصانية – المخالفة –الشكاك، وتنبزهم بها الجهمية لإثباتهم صفات الله.
2- الحشوية – النباتة أو انوابت – المجبرة –المشبهة، وتنبزهم بها المعتزلة والزنادقة وسائر أهل الكلام والخوارج.
3- المجبرة أو الجبرة وتنبزهم بهما القدرية.
4- الناصبة أو النواصب – العامة – الجمهور – المشبهة – الحشوية، وتنبزهم بها الرافضة.
5- المشبهة – المجسمة – الحشوية – التوابت – الغثاء–الغثراء–وتنبزهم بها الأشاعرة والماتريدية.

وفيما يلي بيان إطلاقات أهل الباطل لهذه الأسماء بإيجاز:

[47] أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام 293/13

أ- أن اطلاقهم اسم مشبهة لأنهم تصوروا أن إثبات السلف للصفات يقتضي تشبيه الله بخلقه، لأنهم لم يدركوا من الصفات إلا ما أدركوه من تعلقها بالمخلوق، وفاتهم الفرق الذي لا يعمله إلا الله بين الخالق والمخلوق.

فأهل السنة لم يثبتوا فيها أي شبه بين الخالق والمخلوق إلا مجرد التسمية، مع معرفة معنى الصفة وإنما التفويض في الكيفية.

أما أولئك لم ينفوها عن الله إلا بعد أن شبهوه بخلقه، فأي الفريقين أولى بتسميتهم بالمشبهة، هل هم أهل السنة أم أولئك أهل الباطل من الجهمية؟ .

ب- زعمهم أن أهل السنة نقصانية لقولهم أن الإيمان يزيد وينقص، فلا ريب أنهم يكذّبون بهذا النبز قول الكتاب والسنة في إثبات زيادة الإيمان، ولردهم النصوص الواردة في هذا، حيث زعموا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في هذا تؤكد كلها زيادة الإيمان ونقصانه، منها قول النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[48] .

ت- أما تسميتهم لأهل السنة مخالفة، ويقصدون أنهم مخالفون للحق، والحق هو أن أهل السنة مخالفة لأهل الأهواء والبدع، بل ومعادية، ويكفي أنهم من أشد الناس اتباعاً لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه.

ث- أما تسميتهم لأهل السنة بالشكاك من قبل المرجئة فإنها تسمية ظالمة، لأن السلف لم يشكوا في دينهم ولا في أخبار ربهم ونبيهم، ولا في شيء ثبت بالكتاب والسنة، فالمرجئة أولى بهذا النبز لشكهم -بللردهم -ما أخبر الله به عن نفسه.

ج- أما بالنسبة لنبزهم لأهل السنة بأنهم حشوية ، ويقصدون به حشو الناس أي لا قيمة لهم، أو بمعنى أنهم لا يفرقون بين الأحاديث، أو بمعنى أنهم مجسمة لله تعالى بسبب إثباتهم صفات الله تعالى، وما الذي يضير أهل السنة من السلف احتقار هؤلاء لهم بعد أن أكرمهم الله وأثنى عليهم ووصفهم نبيه بالطائفة المنصورة، بخلاف ما حشوا به أذهانهم من

[48] أخرجه البخاري 51/1 ومسلم في باب شعب الإيمان 210/1

كلام الفلاسفة وأهل الكلام، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "فقد تبين أن الذين يسمون هؤلاء وأئمتهم حشوية هم أحق بكل وصف مذموم يذكرونه"[49] .

ح- وأما نبزهم لأهل السنة بأنهم نوابت، بمعنى أن أهل السنة يشبهون نوابت الأشجار الصغيرة، أي أنهم صغار في العلم والمعرفة كصغار النوابت من الأعشاب التي لم تكتمل قوتها ونضجها، أو أنهم نوابت شر نبتوا في الإسلام.

فإن هذا النبز من الافتراءات الكاذبة على أهل السنة الذين علموا بما جاء في الكتاب والسنة ولم يعملوا بغيرها مما جاءت به الفلسفات الإلحادية وعلم الكلام الباطل، وهذا من باب قلب الحقائق والمغالطات المكشوفة.

خ- أما نبزهم لأهل السنة بأنهم جبرية أو مجبرة أو قدرية، فإنه بالتأمل في مذهب القدرية والجبرية وأهل السنة يرى أن القدريةالمحتجون بالقدر هم الذين يزعمون رضى الله عن كل عمل يعملونه ويحتجون بالقدر. قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا} وفي مقابل هؤلاء جاءت فرقة أخرى تنفي أن يكون لله تعالى أي أثر في فعل الإنسان تركاً أو فعلاً، بل الإنسان هو الذي يخلق فعله كما يريد.

وهذا مذهب غلاة القدرية، وقد انقرضوا، إلا أن المتأخرين منهم يثبتون علم الله بالأشياء قبل وقوعها، ولكنه لا يتدخل في أعمال البشر بل هم الذين يخلقونها.

وأما الجبرية: يقولون كل عمل يعمله العبد فإنه مقدر عليه من الله ومجبور على فعله فإن الله هو الفاعل الحقيقي بقوته وليس للعبد إلا نسبة الفعل إليه عن طريق المجاز.

أما مذهب السلف بخلاف ذلك كله ومعنى هذا أنهم لا تصح تسميتهم لا قدرية ولا جبرية. فإن معتقد أهل الحق أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد تنسب إليهم حقيقة وأيضاً بمشيئته التي لا تخرج عن إطارها العام عن مشيئة الله تعالى لها وخلقه لها كوناً.

د- وأما نبزهم للسلف بأنهم ناصبة، فقد كذب الرافضة وافتروا أن يكون أي شخص من السلف قد نصب العداوة لأهل البيت أو للرسول ﷺ وأهل بيته، وهذا النبز دلالة قاطعة على جهل الرافضة بمذهب السلف في أهل البيت لأنهم لم يقرؤوا لهم ولم يطلعوا على

[49] مجموع الفتاوى 87/4

كلامهم ومعتقدهم فيهم، فأيهما أولى بهذا النبز؟ هل هم أهل السنة أم الرافضة الذين نصبوا العداوة لكل المسلمين ابتداءًا بالصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان وبأهل البيت الذين لاقوا المصائب المتتالية عليهم بسبب مؤامرات الرافضة وخذلانهم.

ذ- أما نبزهم لمن عداهم من السلف وسائر المسلمين بالعامة، فهو لقب تشنيع في مقابل تسميتهم لأنفسهم الخاصة، وهذه التزكية الكاذبة لأنفسهم شابهوا فيها اليهود الذين سموا أنفسهم شعب الله المختار، وسموا من عداهم بالجوييم، فهل هؤلاء الباطنية هم خاصة الله بينما أحباءه ومتبعي أمره ونهيه هم العامة؟

وهذه التسمية لمن عداهم بالعامة هي مثل تسميتهم لمن عداهم بالجمهور، ومن العجيب أن يحكموا على كل المسلمين بصفة واحدة، بينما يقابل تلك التسمية تسمية واحدة لهم "الخاصة" الدالة على تعاليهم وغرورهم.

د- وأما نبزهم لأهل السنة بأنهم مجسمة لإثباتهم صفات الله تعالى كما جاءت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة.

فهو نبز أبان عن جهلهم بحقيقة عقيدة السلف وأبان عن قصورهم في الفهم السليم لنصوص الوحيين، فإن لفظ التجسيم عند السلف هو من الألفاظ التي يجب التحرز منها عند إطلاقها على الله تعالى، ولا بد أن نسأل من أطلقها عن مراده بالجسم، فإن أراد بإطلاقه المعنى الذي يثبت الصفات لله فهو الصواب، وإن قصد غيره فيردونه على قائله، مع أنه لم يعهد عن السلف أن أطلقوا لفظ الجسم على الله لا نفياً ولا إثباتاً، فإن كان ولا بد من إطلاقها فلتكن بالألفاظ الشرعية التي تدل على تنزيه الله تعالى على الإطلاق، مثل ليس كمثله شيء، وقل هو الله أحد، وله المثل الأعلى، وغير ذلك.

د-أما نبزهم لهم بأنهم غثاء وغثراء، فهو بمعنى أن أهل السنة هم كالغثاء الذي يحمله السيل عند انحداره، والغثراء بمعنى سفلة الناس وأراذلهم، والمعنى بهذا النبز الباطل أن أهل السنة هم سفلة الناس الذين هم كزبد السيل أي لا خير فيهم ولا نفع.

وهذه مغالطة ظاهرة وظلم واضح، ويستطيع أي شخص أن يتبين صحة هذا حينما يتصور أن الناس بعد وفاة الرسول ﷺ ظلوا على الهدى الذي تركهم عليه المصطفى إلى أن نبتت الدعوات الهدامة والآراء الضالة بسبب ترجمة كتب اليونان واستعلاء الأهواء فأي الفريقين يستحق هذا اللقب؟

هـ –وقد نبزوهم أيضاً بتسميتهم "زوامل أسفار" تشبيهاً لهم بالجمال التي يحمل عليها وسموهم بـ "أصحاب أقاصيص وحكايات وأخبار" وكل هذه الأوصاف هم منها براء.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص *** فهي الشهادة لي بأني فاضل

والحقيقة أن اقتحام هؤلاء لما لا يحسنونه بما قرروه في عقائدهم من المتناقضات والجهل الشنيع من حيث ظنوا أنهم وصلوا إلى العلم الغزير، فكانوا مثل التي نقضت غزلها بعد إحكامه في كل مرة، أو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

المبحث الخامس:

ما هي عقيدة السلف وما هو منهجهم في مسائل الاعتقاد

العقيدة هي ما يعتقده الشخص في قرارة نفسه ويعقد العزم عليه ويراه صحيحاً سواء أكان صحيحاً في حقيقة الأمر أم باطلاً.

وعقيدة السلف هي: جملة ما أخذوه عن كتاب الله وسنة نبيه، وهو الاعتقاد الصحيح بخلاف عقائد غيرهم الذين خلطوا بعلم الكلام وآراء الفلاسفة، فجاءت نتاجاً مشوهاً خصوصاً في ما يتعلق بأسماء الله وصفاته، بل زلت ببعضهم قدمه إلى الخطأ فيما يتعلق بالنبوات وبالسمعيات بسبب تأثرهم بالأفكار المنحرفة، فأوّلوا نصوص القرآن وقبلوا ما عرفوا من الحديث دون تمحيص الصحيح من المكذوب، واعتمد بعضهم على المكاشفات والرؤى والمنامات بزعمهم .

وأحياناً يضرب هؤلاء بالنصوص جانباً بحجة أنها متعارضة، مع أنه في الواقع لا يوجد بين النصوص الصحيحة أي تعارض إذا تبين الناسخ والمنسوخ والمتقدم والمتأخر منها، فإن لم يتبين ذلك فإنه يمكن الجمع بينها ولا محالة، إلا إذا كانت أحاديث موضوعة وصحيحة فحينئذٍ طريقة أهل السنة أنه لا تعارض بين الصحيح والموضوع، إذ لا قيمة للموضوع وشبهه إزاء الصحيح.

إن منهج السلف في مسائل الاعتقاد والاستدلال لها يقوم على إيمانهم بكل ما ثبت دليله من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إيماناً راسخاً ظاهراً وباطناً من الأمور الغيبية التي وقعت والتي ستقع، وهي مزية عظيمة تدل على قوة إيمانهم وطمأنينة نفوسهم غير متأولين بعقولهم رد النصوص كما تفعل الفرق الباطلة ، ويردون ما أشكل عليهم إلى الكتاب والسنة عملا بقول الله تعالى : {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما}سورة النساء آية 65 وفيما يلي سوف نلقي الضوء على أبرز مناحي عقيدة أهل السنة :

أ- **منهج أهل السنة في تقريرالعقيدة**: وهو يتمثل في الأمور التالية:

1-التمسك بالكتاب والسنة وعدم التفريق بينهما وتحكيمهما والعمل بهما في كل ما يعرض لهم من قضايا العبادة وغيرها دون رد أو تأويل.

2-العمل بما ورد عن الصحابة في قضايا العقيدة والدين وغيرهما.

3- الوقوف عند مفاهيم النصوص وفهم دلالاتها وعدم الخوض فيما لامجال للعقل فيه مع الاستفادة من دلالة العقل في حدوده.

4- الإعراض عن البدع وعن أهلها فلا يجالسونهم ولا يسمعون كلامهم ولا شبههم بل يحذرون منهم أشد تحذير.

5- لزوم جماعة المسلمين ونبذ التفرق والتحذير منه.

ب- مميزات منهج أهل السنة ومزاياه :

1- أن هذا المنهج هو ما دل عليه الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح.

2- أن هذا المنهج من أقوى أسباب بقاء عقيدتهم صافية نقية لا تشوبها شوائب الضلال.

ج- أدلتهم على وجوب لزوم ذلك المنهج:

أولا: استدلالهم من القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التمسك بالكتاب والسنة ووجوب أخذ الدين منهما وعدم الزيغ عنهما، ومن ذلك ما يلي:

-قوله تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} سورة النساء آية 65.

-وقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} سورة آل عمران آية 103.

-وقوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} سورة الأنعام آية 153.

-وقوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} سورة السجدة آية 22.

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن الهدى كله في كتاب الله تعالى وفي هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن الواجب على كل مسلم الانقياد والإذعان والتسليم التام.

ثانيا: أدلتهم من السنة:

وردت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة يحث فيها على وجوب التمسك بكتاب الله تعالى، وأن من فارقه فلا حظ له من الإسلام.

قال ﷺ: " مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر"[50] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"[51] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: "إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب"[52]

ومن حديث يرويه العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: "وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة"[53]
والأحاديث في هذا كثيرة كلها تؤكد وجوب التمسك والعمل بكتاب الله تعالى وأنه هو الصراط المستقيم الذي أوله في الدنيا وآخره في الجنة.

المبحث السادس

أقوال السلف

في وجوب التمسك بالسنة والحذر من البدع

وردت عن السلف الكرام أقوال كثيرة في الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، وأن الهدى والخير والفلاح كله في ذلك، وأنه يجب على كل المسلمين الرجوع إلى كتاب الله والتمسك به في كل أحوالهم واختلافاتهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}.

وهذا هو منهج كل من جاء بعد السلف الكرام من التابعين ومن تبعهم من علماء المسلمين وعامتهم، وفي كتب شيخ الإسلام رحمه الله وتلميذه ابن القيم وغيرهما كالطبري وابن كثير وأهل الحديث كالشيخين وغيرهما ممن تزخر بأقوالهم المكتبات الإسلامية في كتبهم من الأقوال والشروحات

[50] البخاري مع الفتح 58/9-59 ومسلم رقم 797
[51] أخرجه مسلم برقم 817
[52] أخرجه الترمذي برقم 2914
[53] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 75/1

ما لا مزيد عليه في وجوب التمسك بكتاب الله والعمل به والرجوع إليه ، وفيما يلي نلقي الضوء على ذلك بإيجاز :

أولا: أقوال السلف في جوب الاتباع وترك الابتداع: وهي كثيرة جدا، ومن تلك الأقوال التي تدل على ذلك من أقوال السلف ما يلي :

-قال عبد الله بن مسعود "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[54].

-وعن معاذ بن جبل من كلام له ﷺ قال: "فإياكم وما ابتدع فإنما ابتدع ضلالة"[55]

-وقال حذيفة اتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من قبلكم فوالله لئن سبقتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن تركتموه يميناً وشمالاً فقد ضللتم ضلالاً بعيداً"[56].

-وعن عبد الله بن الديلمي قال: "إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة"[57].

-وعن حسان بن عطية قال: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة" [58].

-قال ابن مسعود ﷺ: "عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق"

-عن مجاهد قال قيل لابن عمر: "إن نجده يقول كذا وكذا فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء"[59]

وقد رويت عن السلف من النصوص الكثيرة ما لا يحتمل المقام ذكرها هنا، وكلها تهدف إلى أمر واحد، هو اجتناب أهل البدع والتحذير منهم، وعدم مجالستهم حماية للعقيدة وحماية لقلوبهم، مع قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيا:استدلالهم على وجوب العمل بما ورد عن الصحابة ﷺ:

يعمل السلف بما ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم امتثالاً لأمر النبي ﷺ فإن الصحابة أفقه وأعرف

[54] شرح أصول اعتقاد أهل السنة 86/1

[55] نفس المرجع 89/1

[56] نفس المرجع 90/1

[57] نفس المرجع 91/1

[58] نفس المرجع 92/1

[59] نفس المرجع 93/1

بما يقولون، وقد زكاهم الله ورسوله، ومما ورد في وجوب العمل بما صح عن الصحابةما يلي:

-جاء عن العرباض بن سارية ﷺ من حديث عن النبي ﷺ قوله: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ"

-وعن خصوص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما جاء قوله ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدين أبي بكر وعمر".

وعلى هذا أجمع السلف، وهو من أسس عقائدهم، وقد مدح الله السلف الكرام من الصحابة ومن سار على نهجهم بقوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}سورة التوبة آية 100.

ثالثا: وقوف السلف عند حدود النص:

وقوف السلف عند حدود النص وعدم الخوض فيما لا مجال للعقل فيه،هو دليل من أقوى الأدلة على عمق فهمهم وقوة ذكائهم وحرصهم على ما ينفعهم في دينهم،وهم يعلمون أن تكلُّف الأمور التي لا سبيل لمعرفتها إلا عن طريق النص يعتبر تعدياً وظلماً، وقد يجر إلى القول على الله بغير علم والكذب عليه.

رابعا: إعراض السلف عن أهل البدع:

أما إعراضهم عن أهل البدع وعن مخالطتهم فقد أصبح أمراً معلوماً بالضرورة عند أهل السنة، فقد حذروا من مجالسة أهل البدع والاستماع إليهم، لعلمهم أن أصحاب البدع يوردون شبهات يضللون بها العامة معتمدين على قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}سورة النساء آية140.

وقال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[60] وقال ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"[61].

-وعن بغض أهل الأهواء وحب الابتعاد عنهم قال أبو الجوزاء: "لئن يجاورني قردة وخنازير أحب إلي من أن يجاورني أحد منهم" يعني أهل الأهواء.[62]

---

[60] البخاري مع الفتح 301/5 ومسلم 343/3

[61] مسند احمد 158/2

[62] نشرح أصول اعتقاد أهل السنة 133/1

-وكان الحسن يقول: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم"[63]

وهذه الآيات والأحاديث والآثار كلها تدل على وجوب الإعراض عن المبتدعين وعن أقوالهم وما يحدثونه في دينهم بأهوائهم.

المبحث السابع

لزوم السلف جماعة المسلمين وتحذيرهم من التفرق وأدلتهم على ذلك

أما لزومهم جماعة المسلمين وتحذيرهم من التفرق، فهذا أحد الأسس التي قامت عليها عقيدتهم امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر نبيه ﷺ، فقد استفاضت الأدلة من كتاب الله عزّ وجل ومن سنة نبيه ﷺ على وجوب لزوم الجماعة والحذر من التفرق، وفيما يلي ذكر أبرز الأدلة التي وردت في الكتاب والسنة على ذلك:

أولا:الأدلة من كتاب الله تعالى:

-قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ}سورة آل عمران آية.103

-وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}سورة الأنعام آية 159.

-وقال الله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ}سورة آل عمران آية .105

-قال الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}سورة الأنعام آية 153.

وهذه الآيات وغيرها تهدف إلى منع التفرق في الآراء والمعتقدات، إلا أن المسلمين في عصرنا هذا لم يستفيدوا منها، أو لم يعملوا بها، بل كان بعضهم قريباً من حال الذين أخبر الله عنهم أنهم ازدادوا بمجيء البينات اختلافاً وفرقة وبعداً عن منهج الله تعالى، قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ} سورة البينة آية4.

ثانيا: الأدلة من السنة النبوية :

كما تعددت الأدلة من كتاب الله تعالى على النهي عن التفرق وعلى وجوب التمسك بالجماعة،فقد تعددت الأدلة كذلك من السنة النبوية على هذا الجانب الهام في العقيدة الإسلامية، ومما ورد في ذلك ما يلي:

[63] ابن سعد في الطبقات 224/7

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم"[64].
- عن حذيفة ﷺ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فكا آخر جواب الرسول له في المخرج من الفتن:" فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"[65].

-عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية.. "[66].

-وعن عرفجة بن شريح الأشجعي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"[67].

وهذه الأحاديث وغيرها مما وردت عن النبي ﷺ كلها تؤكد على وجوب لزوم الجماعة والتحذير من التفرق، ولو تمسك بها المسلمون وحققوها لكانوا على الخير الذي مضى عليه السلف الكرام من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

المبحث الثامن

الثناء على السلف رحمهم الله تعالى

أولا: الثناء على الصحابة الكرام من كتاب الله تعالى:

أثنى الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم وأثنى رسوله ﷺ على الصحابة الكرام، وأن لهم محاسن وفضائل لا يمكن أن يلحقهم فيها من جاء بعدهم،وأنهم كلهم عدول ثقات، فهم خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين، وزمنهم أفضل الأزمان، وقبل ذلك رضى الله عنهم فوق كل اعتبار، لا ينتقصهم إلا ضال منافق لا يعرف الإسلام.

ومن الأمثلة على ثناء الله سبحانه وتعالى عليهم في القرآن الكريم:

- قوله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}سورة التوبة

---

64 أخرجه مسلم1340/3

65 أخرجه البخاري 615/6

66 أخرجه مسلم1476/3

67 أخرجه مسلم 1479/3

آية100.

–وقوله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}سورة الفتح آية29.

–وقوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}سورة الفاتح آية18.

–وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} سورة الأنفال آية72.

وهذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمات كلها تدل على فضل الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار ومن السابقين إلى الإسلام قبل الفتح ومن جاء بعدهم على طريقتهم مع تفضيل السابقين بمزيد فضل – وكلهم على فضل –، وفيها بيان ما أعد الله لهم من ثواب ونعيم في الآخرة، وبيان ما امتازوا به من الشدة على الكفار والرحمة فيما بينهم، بل إن شدتهم هي في حقيقتها رحمةبالكفار لكي يدخلوا في الإسلام ويخرجوا من الظلمات إلى النور ، وقد ظهر حثالة البشر من الرافضة النواصب والخوارج وسائر من ألحد وخرج عن هدي السلف يسبُّون الصحابة ويفترون عليهم.

ثانيا:ثناء الرسول ﷺ عليهم:

أثنى الرسول ﷺ ثناءًا عاطراً على الصحابة الكرام ويكفيهم فخراً أنه كان راضياً عنهم محباً لأخلاقهم، إذ لولا فضل الله ثم قيامأولئك بنصرة الإسلام لما وصل إلى ما وصل إليه، ولهذا فكل منتسب إلى الإسلام مدين لهم بالشكر والتقدير، ومن ثناء الرسول ﷺ عليهم ما يلي:

- قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[68].
- وورد في الصحيحين عن عمران بن حصين وغيره أن رسول الله ﷺ قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة "[69].
- وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ قال لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها"[70].

[68] أخرجه البخاري21/7 ومسلم 1967/4

[69] أخرجه البخاري 258/5 ومسلم 1963/4

[70] أخرجه مسلم 1942/4

- كما أثنى الله تعالى وأثنى رسوله ﷺ على بعض الصحابة بخصوصهم مثل أبي بكر وعمر وعلي وعثمان وابن مسعود وأبو عبيدة وأبو ذر ومعاذ بن جبل وغيرهم ممن صحت فيه النصوص.

وأجمع علماء الإسلام على عدالتهم وفضلهم، والمفاضلة بينهم من دون انتقاص أحد منهم، وإنما هو تفضيل كتفضيل بعض الأعضاء على البعض الآخر منها، وتلك المفاضلة بين الصحابة تعود إلى الأسبقية في صحبة رسول الله ﷺ وتقدم الإيمان والبذل في سبيل الله.

ثالثا: ثناء السلف عليهم.

ورد في هذا المعنى أنه قيل لعائشة ﵂ أن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر فقالت:"وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر".

-وعن ابن عباس أنه قال لا تسبوا أصحاب مُحَّد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة"[71].

- وصفهم عبد الله بن مسعود ﵁ بقوله: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب مُحَّد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَّد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه.."[72].

-وفي رواية عنه أنه قال: " من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب مُحَّد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً..."[73] وغيرها من الآثار الكثيرة التي تدل على عظم منزلتهم في الأمة.

المبحث التاسع

جهودهم في خدمة الإسلام

تنوعت جهود السلف في خدمة الإسلام وأهمها:جهودهم الحربية وجهودهم في بيان العقيدة الإسلامية وذلك كما يلي:

أولا : جهودهم الحربية : فالتاريخ مليء بذكرها، غني بأحداثها، لا يجهل أي مسلم ذلك ابتداءاً بجهودهم الحربية بين يدي نبيهم ﷺ في معارك عديدة،كبدر وأحد والخندق وسائر الغزوات التي خاضوا

[71] أنظر : الطاحوية ص 530

[72] أنظر الطحاوية ص 432

[73] نفس المرجع.

غمارها، ولم تنقطع المعارك الحربية والفتوحات بوفاته ﷺ، بل اشتدت وتعددت على يد خلفائه الميامين ابتداءاً بأبي بكر ﷺ وما قام به من جهود عظيمة في محاربة المرتدين.

وبعد وفاته وانتقال الخلافة إلى عمر ﷺ ازدادت رقعة الدولة الإسلامية وأوصلها بجهوده بعد نصر الله إلى ما يسمى في عصرنا الحاضر بالامبراطورية.

وكذا في عهد الخليفة الثالث عثمان ﷺ ثم تتابعة الفتوحات على يد معاوية ﷺ، وبلغت الدولة الإسلامية قمة مجدهاوازدهارها.

ثم جاءت الدولة العباسية وسلكت نفس الاتجاه، إلى أن جاءت أيضاً الدولة العثمانية وكانت لها جهود رائعة في انتشار الإسلام ونشره.

وكان علماء السلف هم المحركون لتلك الأحداث بخطبهم الحماسية وإثارة روح التضحية في سبيل الله تعالى، بل والمشاركة الجادة في خوض المعارك، ولا يغيب عن ذهن القارئ ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في وقوفهم ضد التتار وانتصارهم عليهم، فحفظ الله بهم الدين لما ادخره لهم من جزيل الأجر والثواب.

ثانيا : جهودهم في خدمة العقيدة:

لا ريب أن العقيدة الإسلامية صافية نقية محجة بيضاء، ولهذا ما إن ظهرت البدع والفتن التي أراد أهلها – بسوء نية – التشويش على صفائها وطمس نورها، إلا ووقف السلف بكل حزم وشجاعة ويقين لردها والإنكار عليها وعلى أهلها، لا تأخذهم في الله لومة لائم، فحفظ الله بهم الدين وأتم بهم النعمة، ولولا فضل الله ثم تلك الجهود التي بذلوها لاختلط الحق بالباطل وقال من شاء في الدين بما شاء، ولانتشرت البدع والخرافات، ومما يبرز ذلك ما يلي:

أ- أن السلف من الرعيل الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلمكانوا أخلص الناس وأشدهم حفاظاً على شعائر الإسلام وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم يتناصحون.

ب- في زمن الخليفة الراشد أبي بكر رضيالله وما كان منمحاربته لأهل الردة وإرجاعهم إلى الدين وما كانت هجرته إلى المدينة مع النبي ﷺ وإنفاقه في سبيل الله وإعتاقه الرقاب إلا أحد الشواهد على ذلك.

ت- أن الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ اقض مضاجع أعداء الإسلام وأعلى الله به كلمة الحق وظهر المسلمون على أعدائهم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وكانت درته

سيفاً مسلطاً على رقاب أهل البدع،فقد دخل عليه شاب طويل الثوب وعمر يجود بنفسه فسلم عليه، فلما خرج ناداه عمر فرجع إليه الشاب، فقال له: "يا بني أقصر من ثوبك فإنه أنقى لثوبك واتقى لربك" أو كلاماً نحو هذا، ولم يشغله ما هو فيه من سكرات الموت حتى عن التنبيه على هذه المسألة فما الظن بغيرها؟

ث- أن الخليفة عثمان ﷺ أبلى في الإسلام وفي خدمته وفي الفتوحات ونشر الإسلام وخدمة العقيدة الحنيفية ما طفحت به المراجع التاريخية.

ج- أن الخليفة علي ﷺ سار على نفس الأهداف في خدمة الدين ورفع رايته ومحاربة أهل الكفر وأهل البدع بأقواله وأفعاله حتى لقي ربه.

ح- أن الدولة الأموية وكان لأول ملوكهم معاوية ﷺ خدماته الجليلة للإسلام والمسلمين، فقد فُتحت البلدان الكثيرة في عهده وعهد خلفائه،وانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً ونبغ في عهد الدولة الأموية ثم العباسية علماء أجلاء خدموا الدين وقدموا أنفسهم في سبيل الحفاظ على صفائه ونقائه.

خ- أنه لم يخل عهد من العهود إلا وفيه جهابذة من علماء السنة ومن المحافظين على بقاء ونقاء الإسلام إلى يومنا الحاضر ولله الحمد.

فلا ننسى تلك المواقف المشرفة لعلماء السلف في خدمة الدين الإسلامي، أمثال الإمامالمبجل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى أن جاء في العهد القريب الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب الذي جدد الله به كثيراً من السنن التي كادت أن تندثر وأذل به كثيراً من أهل البدع التي انتشرت

بيان مجمل اعتقادات السلف في سائر أبواب الاعتقاد

لقد تميزت عقيدة السلف بقيامها على الكتاب والسنة في كل جزئية منها، فكانت تلك العقيدة هي المحجة البيضاء التي تركنا عليها المصطفى ﷺ سهلة في تطبيقها واضحة في دلالاتها، لا يزيغ عنها إلا المبتدعون، أصحاب الأهواء الباطلة والاتجاهات الفاسدة.

ومما أود التنبيه عليه أن عقيدة السلف قد دونها العلماء بمؤلفات كثيرة،بل كتبوا في كل جزئية مجلدات ضخمة كما سبق بيانه، ولذلك فمن غير السهولة أن أذكرها هنا مفصلة. وممن ذكرها الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) بعد أن رجع إلى مذهب السلف ودان الله به كما عبر عنه أيضاً في كتابه (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين).

وقد ابتدأ الأشعري كتابه الإبانة بقوله في ذكر معتقد أهل السنة بقوله : "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عزّ وجلّ، وبسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن مُحَّد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته وأجزل مثوبته، قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون".

ثم بدأ بسرد معتقد أهل السنة بما يجب من الاعتقاد بالله وصفاته والاعتقاد بنبيه ﷺ والاعتقاد بالأمور الغيبية من الجنة والنار والقضاء والقدر والشفاعة والميزان والصراط والاعتقاد في الصحابة ونزول الله واستوائه على عرشه وما يجب من الاعتقاد في السنة وعدم الابتداع وعقيدة أهل السنة في العيدين والجهاد والدعاء لولاة الأمر وعدم الخروج عليهم وغير ذلك من عقائد أهل السنة التي بينها فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء[74].

وقد أورد اللالكائي رحمه الله فصلاً طويلاً عن اعتقاد علماء السلف وعدد أسمائهم وذكر مقالاتهم تحت عنوان "سياق ما روي عن المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة والتمسك بها والوصية بحفظها قرناً بعد قرن"

ثم شرع في بيان اعتقادهم (الصحابة فمن بعدهم) في مسائل العقيدة[75] وقد سار على هذا المنهج عدة من المؤلفين السلف رحمهم الله جميعاً.

المبحث العاشر

بيان وسطية أهل السنةفي مسائل الاعتقاد وسلامتهم من ضلالتي الإفراط والتفريط[76]

المتتبع لمنهج السلف يجد أن الله تعالى قد هداهم إلى الوسط في عقيدتهم فلا إفراط ولا تفريط قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} سورة البقرة آية 143أي خياراً عدولاً وقال النبي ﷺ:"خير الأمور

---

[74] انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين345/2

[75] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 151/1 وما بعدها.

[76] ارجع لمزيد الفائدة لكتاب وسطية أهل السنة بين الفرق د/ مُحَّد باكريم.

أوسطها"

وقد ميز الله أمة مُحَّد ﷺ بهذه المزية العظيمة وشرفهم بها وهداهم إلى الحق فلا تجد عند المتمسكين بهدي الكتاب والسنة إفراطاً ولا تفريطاً[77].

وتظهر وسطية أهل السنة في جميع مسائل الاعتقاد سواء ما يتعلق منها بذات الله عزّ وجلّ أو بصفاته وتتبين فيما يلي:

أولا:وسطيتهم بين الأمم الكافرة من أصحاب الديانات المحرفة:

ويظهر ذلك بجلاء في عقد المقارنات التالية:

أ- **وسطيتهم بالنسبة للإيمان بذات الله:** عقيدة أهل السنة في الله بأن له ذاتا لا تشبه ذوات المخلوقين وصفات لا تشبه صفاتهم وأسماء تليق بجلاله، هي وسط بين اليهود المشبهة، الذين وصفوا ذاته العلية بذوات المخلوقين، وبين النصارى الذين وصفوا المخلوقين بذات الله تعالى حينما ادعوا أن المسيح ابن الله.

ب- **وسيطتهم بالنسبة للإيمان بالأنبياء:** يعتقد أهل السنة باعتقادهم أن أنبياء الله بشر، وأن الله اصطفاهم بوحيه ورسالته، وأنهم اطهر الناس وأعقل الناس، وأنهم لا يعلمون الغيب إلا بما علمهم الله، وهذا الموقف وسط بين اليهود الذين ملئوا توراتهم بالإفك على أنبيائهم، كما كذبوا على نبي االله إبرهيم ولوط ويعقوب ودواد وسليمان وغيرهم.

أما النصارى فقد ادعوا الألوهية لبعض الأنبياء والصالحين وغيرهم، كقولهم في عيسى وأمه وروح القدس، وكذلك ما غلو في علمائهم فأنزلوهم منزلة الخالق وهمالمشرعون والمحرمون والمحللون، فأهل السنة وسط بين تفريط اليهودوبين إفراط النصارى.

ت- **وسطيتهم في عبادة الله:** وقف أهل السنة مسلكا صحيحا في أداء عبادتهم، وهو موقف لا يتجاوز ما أمروا به في الكتاب والسنة، لا يزيدون في عبادتهم ولا ينقصون عما شرع ربهم.

أما اليهود فقد حرفوا عبادتهم وتكاسلوا عن أدائها، فعندما أمرهم الله أن يدخلوا الباب دخلوه زحفا على أعقابهم، وعندما قال لهم قولوا حطة قالوا حنطة، وقولهم لموسى: {اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} وأمرهم الله أن يعبدوه فعبدوا العجل وآلهة أخرى،وأما النصارى فقد غلوا في عبادتهم

[77] الإفراط هو مجاوزة الحد في الشيء ، والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه.

وحرموا على أنفسهم ما أحل الله، وابتدعوا رهبانية لم يقوموا بها{ فما رعوها حق رعايتها}سورة الحديد آية27 .

ث- **وسطيتهم في صفات الله:** وقفف أهل السنة موقفا صحيحا عادل وسطا بين أصحاب الديانات الأخرى، فقد آمنوا بأن الله لا يوصف إلا بما ورد في الشرع ولا يخترون له أسماء وصفات أخرى، وقطعوا الطمع عن إدراك كيفية صفاته معمعرفتهم أن الكلام في الصفات فرع عن معرفة الذات، وأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهذا بخلاف اليهود الذين وصفوا الله بصفات النقص والذم والبخل والفقر والندم والبكاء والتعب والنسيان كما هو في توراتهم وتلمودهم، وقد أخبر الله عن بعض أقوالهم كقولهم:{إن الله فقير ونحن اغنياء} سورة آل عمران آية181.

أما النصرانية فقد غلوا في بعض البشر حتى أوصلوهم إلى صفات الألوهية، فادعوا أن المسيح ولد الله، وأنه يجلس إلى جوار الله، وغلوا في قديسيهم وكبرائهم.

ثانيا: وسطيتهم بين الفرق التي تنتسب إلى الإسلام:

تعددت الفرق الإسلامية وتباينت مفاهيمها وادعت كل طائفة أنها على الحق، ولكن العبرة هي بمدى موافقتها للكتاب والسنة، وفيما يلي بيان وسطية أهل السنة بين كل تلك الفرق:

أ- وسطيتهم بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته بين الفرق:

تظهر وسطية أهل السنة في باب الأسماء والصفات بمقارنة عقيدتهم بعقائد المخالفين من الفرق.

فأهلالسنة يؤمنون بأن لله أسماء حسنى وصفات عليا، وصف بها نفسه في كتابه وسنة نبيه، آمن بها السلف من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل.

فموقف أهل السنة وسطا بين أهل التعطيل وأهل التشبية، فأهل التعطيل نفوا عن الله اتصافهبالصفات ونفوا الأسماء بحجة التنزيه كما هو مذهب الجهمية، وأما المعتزلة فأثبتوا الأسماء فقط ولكنها لاتدل على مدلولاتها فوافقوا الجهمية، وأما الاشاعرة فقد أثبتوا الأسماء وبعض الصفات ولم يقولوا فيما نفوه كما قالوا فيما أثبتوه وليس لهم برهان أو دليل.

وفي المقابل وقف أهل التشبيه موقفا مناقضا لأهل التعطيل فأثبتوا لله صفاتا كصفات الإنسان تماما، كهشام بن الحكم الرافضي وهشام بن الحكم الجواليقي ومقاتل بن سليمان وداود الجواربي وغيرهم.

أما أهل السنة فقد أثبتوا الأسماء والصفات دون أن ينساقوا إلى التشبيه، بل لم يخطر في أذهانهم، لمعرفتهم أن اتفاق المسميات لا يلزم منه الاتفاق في الذات، فلم يعطلوا دلائل أسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه بل أثبتوها على ما يليق بجلاله، وعرفوا معانيها، وقطعوا الطمع عن معرفة كيفياتها فكانوا وسطا في هذا الباب.

ب- وسطيتهم في الحكم على أصحاب المعاصي:

يتبين وسطية أهل السنة في ذلك من خلال معرفة حكمهم على أصحاب المعاصي في الدنيا والآخرة وحكم المخالفين عليهم في الدنيا والآخرة أيضا.

فأهل السنة يحكمون أن العاصي لا يخرج من الإسلام، ويقال له مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فحكمه إلى الله تعالى، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، ولا يخلد في النار مثل الكفار.

أما الخوارج أهل الافراط فقد حكمو بأنه كافر في الدنيا مخلد في النار، أو هو في منزلة بين المنزلتين في الدينا مخلد في النار، كما هو مذهب المعتزلة، وقابلتهم المرجئة الذين قالوا بأنه مؤمن كامل الإيمان وهو في الآخرة مع النبيين، وسبب اختلافهم أنهم رأو أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

ت- وسطيتهم في الإيمان بالقدر:

وقف أهل السنة موقفا يعضده النقل والعقل في باب القدر، بعد أن رأوا أن القدر سرُّ الله بتقديره لكل الكائنات، وأن الله خالق كل شي بما فيها أفعال العباد، ولكنها تسمى فعل العبد، وأن الله هو الذي أقدرهعليها، وهي تحت مشيئة الله الكونية.

أما الجبرية فتقول: إن العبد لا قدرة له على الفعل، وأن الخالق والفاعل هو الله، وفي المقابل تقول القدرية: إن العبد هو الخالق لفعل نفسه وقدرته وإرداته دون أي تدخل من الله، ومن هنا أثبتو خالقين مع الله، وسبب اختلافهم هو عدم تفريقهم بين الإرادة الكونية والإرداة الشرعية، فتوهموا أن لله إرادة شرعية فقط، وأن المعاصي خارجة عن إرادته.

ث- وسطيتهم في موقفهم من الصحابة ﷺ:

توسط أهل السنة في باب الاعتقاد في الصحابة ﷺ بين غلو الغالين وتقصير المخالفين، فعرفوا لهم فضلهم ووقروهم واعترفوا بجميلهم بما قدموه للأمة وتميز موقفهم بأمور منها:

1- أن الصحابة هم خير الأمة بعد نبيهم.
2- الاعتراف بكل ما ذكر عنهم من الفضائل في الكتاب والسنة.
3- السكوت عما شجر بينهم من خلافات.
4- الشهادة بالجنة لمن شهد لهم النبي بالجنة.
5- الاعتراف بأنهم كلهم على فضل، ويتفاضلون فيما بينهم.
6- الإقتداء بهم والتحلي بفضائلهم.
7- لانرفع أحدامنهم فوق منزلته ولا ندعي له فضائل لم تثبت.
8- الإيمان بأن زوجات النبي ﷺ طاهرات مطهرات وأنهم أمهات المؤمنين.
9- لا يدعون العصمة لأي شخص كائنا من كان.
10- لا يكفرون أحدا من الصحابة.
11- يتولون الصحابة كلهم ويترضون عنهم.

هذه أبرز عقائد أهل السنة في الصحابة ﷺ بخلاف أهل البدع والعقائد الباطلة.

فالخوارج كفروا الصحابي عليا وكفروا من شارك في قضية التحكيم وأوجبوا النار على الحسن والحسين وعثمان وكفروا عائشة وطلحة والزبير، وتبعهم على ذلك المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وقالوا بفسق أصحاب الجمل وعلي ومعاوية وخطأ إحدى الطائفتين لا على التعيين، وتناسوا فضائلهم.

وأما الرافضة فشتموا الصحابة بل تقربوا إلى الله بسبهم، ووقفوا من أهل البيت موقفا معاديا غلفوه بالغلو فيهم، وأنزلوهم منازل لا يرضاها أهل البيت لأنفسهم، وما وقع بلاء لآل البيت إلا وكان وراءه دسائس الشيعة وخذلانهم لهم[78].

المبحث الحادي عشر:

علامات وسمات الفرقة الناجية وعلامات وسمات الفرق الهالكة

[78] ارجع لمزيد من التفصي كتاب وسطية أهل السنة بين الفرق د/ محمد باكريم وإلى دراستنا للرافضة ضمن هذا الكتاب فرق معاصرة.

أولا: علامات وسمات الفرقق الفرقة الناجية:

امتاز أتباع العقيدة الصحيحة بمزايا عظيمة ميزتهم عن جميع العقائد التي قامت على الهوى وما أفرزته العقول البشرية.

ومما يبرز ذلك ما يلي:

أ- أن العقيدة السلفية قامت على الكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولم تدنس بعلم الكلام والمنطق وسائر علوم اليونان وغيرهم.

ب- أن معتنقيها أثبت الناس على الحق بخلاف أهل الأهواء الذين تتجارى بهم أهوائهم ليقينهم بصحتها واقتناعهم بها.

ت- سيرهم على ما سار عليه السلف الصالح وأنهم بذلوا جهدهم في نشر وتعليم الناس العقيدة الصالحة وإخراج التناس من عبادة العباد لعبادة رب العباد ومعرفة فضلهم.

ث- اعتقادهم أن السلف كانوا أحرص الناس على اجتماع الكلمة وعدم الفرقة بين المسلمين ومن أميز صفاتهم التي يعتقدونها فيهم:

1- أنهم أعرف الأمة بالحق.
2- أنهم أرحم الأمة بالخلق.
3- أنهم أرحم الناس بخصومهم.
4- أنهم من أشد الناس رجوعا إلى الحق وانقيادا له.
5- أنهم من أشد رحابة صدر ودماثة خلق وتسامح وإنصاف.
6- أنهم أكثر التناس تواضعا وأبعدهم عن السباب والفحش وسوء الأخلاق.
7- لا يشتمون أحدا ولا يظهرون الاستهزاء إلا بالقدر الذي يبين غرضهم من الرد على المخالف في حال الضرورة.

أمثلة تدل على ذلك:

مواقفهم في ذلك كثيرة مشهورة سجلها تاريخهم المشرق ومن أمثلتها: مواقفهم من سقيفة بني ساعدة ومواقفهم تحجاه أهل الذمة، وموقفهمفي الحرب من المخالفين.

ومن أمثلة ذلك موقف الصديق أبو بكر من عمر رضي الله عنهما حينماشكى أبو بكر عمر إلى النبي ﷺ فغضب النبي على عمر فأشفق عليه أبو بكر، وأخذ يهديء من النبي ويقول: يارسول الله أنا كنت أظلم.

وكذلك ما كان من عمر رغم شدته في الحق، يتفقد الفقراء ويعين المعوزين، ولا ينام حتى يطمئن على المسلمين، ويوقد للفقراء نارهم، ويطبخ طعامهم وهو الخليفة.

وكذلك ما كان من عثمان، الذي كان يتصف بالرقة والحياء والكرم المشهور، وكان سريع العفو، لا ينتقم لنفسه، محبا للعافية تجاه رعيته.

وكذلك ما كان من علي ﷺ، معه ما ميزه الله به من أخلاق طيبة، ورحمة بالمساكين وتفقدهم، وبذله لنفسه في المعارك حماية للمسلمين.

وكذلك ماكان ممن كان بعدهم ممن سار على نهجهم من الأئمة والعلماء، فهذا الإمام أحمد بن حنبل وتاريخه معروف من القائلين بخلق القرآن، وتحمله المشاق نصرة للدين وحماية للمسلمين، وكذلك ماكان من ابن تيمية الذي كان من أحرص الناس على بيان الحق، ومن أشدهم عفوا عمنظلمه، ولم يبال بالسجن والاتهامات التي وجهت له في سبيل نشر الحق.

وكذلك ماكان من علماء العصور المتأخرة كالشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب الذي بذل كل البذل في سبيل نشر التوحيد وطمس معالم الشرك، والشيخ عبد الله القرعاوي الذي أخرج الله به أقواما من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد في منطقة جيزان، ففتح الله به القلوب وأنار به البصائر.

ثانيا: علامات وسمات فرق أهل البدع:

وهي كثيرة جدا نذكر منها ما يلي:

1- بغي بعضهم على بعض والتطاول في السباب.
2- اختلافهم لأتفه الأسباب وكثرة تفرقهم.
3- اتباعهم لما يهوون حسب رغباتهم وتكفير بعضهم لبعض.
4- تتبعهم للمتشابه وإثارة الخلافات.
5- بغضهم لأهل السنة واختراعهم ألقاب باطلة عليهم.
6- بغضهم للسلف وتسميتهم لهم بأسماء باطلة.

7- قبلوهم الروايات الكاذبة ولا يتحرون النصوص الصحيحة.

8- قبولهم للأخبار التي لا يصدقها العقل ولا تعضدها الحجة.

9- عدم اهتمامهم بالسنة النبوية وتسلطهم عليها بالتأويل الباطل.

أمثلة تدل على ذلك:

الأمثلة على ذلك مشهور في تاريخ الفرق المخالفة لأهل السنة، فالخوارج هم أول الفرق الهالكة، ويتصفون بالجفاء والخروج عن الدين وتكفير المخالفين واستحلال دمائهم حتى من الصحابة،كتكفيرهم لعلي وعثمان وأبوموسى ومعاوية وعمرو بن العاص والحسن والحسين وغيرهم.

ومن أمثلة الفرق الهالكة نجد الروافض الذين وقفوا موقف السوء من الصحابة وسائر أهل السنة.

ثم نبعت المعتزلة الذين ملئوا كتبهم سبابا لأهل السنة والمتمسكبن بها وأطلقوا عليهم ألفاظ لينفروا الناس عنهم، ثم توالت العصور فظهرت المرجئة والقدرية والأشعرية وغيرها من الطوائف التي تتصف بضيق الأفق والشدة على المخالفين.

فالمعتزلة لا يرجعون إلى الكتاب ولا إلى السنة في الصفات، ولا في الحكم على المخالفين، وإنما يأخذون ما تمليه عليهم عقولهم، فهم يقدمون العقل على النقل ويؤولون النصوص مع أنه لا تعارض في الحقيقة بين العقل والنقل.

ولا زال أهل الباطل يصفون أهل السنة بأقبح الصفات، ويسبونهم بأبشع السباب، كالكوثري مثلا الذي ملأكتبه في النيل من ابن تيمية وعقيدة أهل السنة الصافية، وأطلق عليهم عدة ألقاب باطلة لينفر الناس عنهم.

ولكن علماء المسلمين ردوا على كل أفّاك بردود كالصواعق المزلزلة تبين خطأ كل مفتر وتوضح ضلال كل مبتدع، وبينوا أن الأمور ترجع إلى الكتاب والسنة لا إلى الخصومات، فقد سأل عمرو بن قيس الحكم بن عتبة:"ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟" قال: " الخصومات"[79]،وقال الفضيل: " لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله"[80].

المبحث الثاني عشر:

[79] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 82/1

[80] سنن الدارمي ؤقم 406

ذكر أشهر أئمة أهلى السنة ومؤلفاتهم في العقيدة

أولا: ذكر أشهر أئمة أهل السنة:

يسر الله لحفظ الدين رجالا وهبوا أنفسهم لخدمة هذه العقيدة المباركة، ويسر لهم الأمور ورزقهم الذكاء والإخلاص، فكانوا جنودا أوفياء لدينهم وبذلوا كل علمهم وجهادهم لدفن كل بدعة محدثة، وحذروا من كل صاحب هوى، ونحن نذكر هنا ما تيسر منهم كمثال على الثراء الفكري عند علماء السلف على سبيل المثال لا الحصر، ومن هؤلاء ما يلي:

- أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري.
- سفيان بن عيينة.
- مسلم بن الحجاج.
- ابن عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي.
- احجمد بن حنبل.
- علي بن المديني.
- أبو ثور إبارهيم بن خالد.
- أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري.
- أو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم.
- أو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري.
- الأئمة الأربعة
- ابن كثير.
- ابن خزيمة.
- ابن تيمية،[81] غيرهم كثير ممن أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم فلهم أيادي مشكورة وجهودج مذكورة فجزاهم الله خيرا وجمعنا بهم في دار كرامته.

ثانيا: أهم مؤلفات علماء السنة في بيان العقيدة والرد على المخالفين:

[81] للدكتور صلاح الدين المنجد كتيب باسم أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية صدر عن دار الكتاب الجديد، بيروت –لبنان.

ألَّف علماء السلف في بيان عقيدتهم وإيضاحها والرد على المخالفين مؤلفات كثيرة مدعومة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ما لا يكاد يحصى كثرة، ومن هؤلاء ما يلي:

أ- الإمام أحمد بن حنبل: ومن كتبه: السنة،والإيمان، والرد على الزنادقة، وفضائل الصحابة.

ب- الإمام البخاري، أدوع في صحيحة كثيرا من بيان عقيدة السلف،وكذلك في كتابه خلق أفعال العباد، وكذلك في كتابه الأدب المفرد.

ت- الإمام مسلم: أودع في صحيحه كثيرا من أبواب العقيدة.

ث- ابن ماجه في سسننه.

ج- عثمان بن سعيد الدارمي: في كتبه الرد على الجهمية، الرد على بشر المريسي.

ح- ابن عاصم: في كتابه السنة.

خ- مُحَمَّد بن نصر المروزي: في كتابه السنة.

د- الإمام الطبري: في كتابه صريح السنة.

ذ- الخلال:في كتابه السنة.

ر- ابن خزيمة:في كتابه التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.

ز- الطحاوي: في كتابه العقيدة الطحاوية.

س- الأشعري: في كتابه الإبانة عن أصول الديانة.

ش- ابن أبي حاتم: في كتابه الرد على الجهمية.

ص- الحسن بن علي البربهاري: في كتابهالسنة.

ض- الآجري:في كتابه الشريعة، والتصديق بالنظر إلى الله تعالى.

ط- الدارقطني: في كتابه أحاديث النزول كتاب الصفات.

ظ- ابن بطة:في كتابه الإبانة الصغرى والكبرى.

ع- اللالكائي: في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

غ- شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتبه مشهور في ذلك[82].

ف- ابن قيم: كذلك له مؤلفات مشهورة

ق- الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب: وأهم مؤلفاته:التوحيد، وكشف الشبهات، وغيرها من الرسائل.

---

[82] للدكتور صلاح الدين الممنجد كتيب باسم "أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية" صدر عن دار الكتاب الجديد، بيروت.

ك- الشيخ حافظ الحكمي: في كتابه معارج القبول وغيرها من الكتب.

ل- في عصرنا الحاضر كثير من أهل العلم الأجلاء كتبوا في بيان السنة ووضحوها وردوا على المخالفين، مثل الشيخ ابن باز والألباني وغيرهم.

وكل ما سبق هو من باب التمثيل لا الحصر، فيكاد يكون مستحيل جمع كتاب السلف المؤلفة في هذا الباب، رحم الله الجميع ونفع بمؤلفاتهم إنه على كل شيء قدير.

الفصل الثاني:

الخوارج

وهي أول الفرق في الإسلام من حيث الظهور،وفيما يلي الكلام عنها:

تمهيد: وجود الخوارج في الماضي والحاضر:

الخوارج فرقة من الفرق الاعتقادية، بسطت نفوذها السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب العربي، وفي عمان وحضرموت وزنجبار وما جاورها من المناطق الإفريقية في المغرب العربي، ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضيهناك.

ولا زالت بعض أفكار الخوارج، ولا سيما الأزارقة متواجدة إلى عصرنا الحاضر، وبالأخص تلك الأفكار المتعلقة بتكفير العصاة.

ويجدر التنبيه إلى أن كتب الخوارج تكادتكون مفقودة تماما باستثناءالإباضية، ولذلك نرجع إلى مؤلفاتما كتبه علماء السنة عنهم مع اعتقادنا بصحة ما نقلوه عنهم لمعايشتهم لهم، ولاحتمال أنهم عثروا على كتب للخوارج لم تصل إلينا ،و ما وصل إلينا من كتب الاباضية يدل على مصداقهم[83] .

المبحث الأول:

التعريف بالخوارج لغة واصطلاحا

الخوارج في اللغة جمع خارجي، وهو اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة في آخر تعريفاهم لمادة خرج على جماعة من الناس معللين ذلك بخروجهم من الدين أو على الإمام علي أو لخروجهم على الناس[84] .

في الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريفهم للخوارج وحاصل ذلك فيما يلي:

1 – منهم من عرفه بأنه هو الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية في أي زمان ومكان، وهذا رأي الشهرستاني وابن حزم[85] .

---

[83] انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص .ب، للمؤلف رحمه الله تعالى.

[84] انظر: تهذيب اللغة 50/7وتاج العروس30/2

[85] انظر: الملل والنحل 114/1 والفصل 113/2

2 – منهم من خصه بالطائفة الذين خرجوا على علي ﷺ، وهذا رأي الأشعري[86].

3 – عرفه بعض علماء الاباضية بأنهم طوائف من الناس في زمن التابعين وتابعي التابعين أولهم نافع بن الأزرق عام 64هـ[87] ، وقال به إسحاق أطيفش ، وهذا التعريف يستثني المحكمة الأول الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ، وهذا غير مقبول حتى عند بعض علماء الإباضية.

ويترجح التعريف الثاني لكثرة من سار عليه من علماءالفرق، وهو ما يتفق أيضا مع مفهوم الخوارج كطائفة وفرقة ذات أفكار وآراء اعتقادية.

المبحث الثاني:

أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات

للخوارج أسماء كثير منها ما يقبلونه ومنها ما يرفضونه منها ما يلي:

1 – الخوارج:وهو أشهر أسمائهم،ويقبلونه على أساس أنه مأخوذ من قول الله تعالى {ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}سورة النساء آية100.وهم ينفونه إذا أريد به أنهم خارجون عن الدين أو عن الجماعة،أو عن علي بن أبي طالب، لأنهم يعتقدون أن عليا هو الخارج عليهم.

2 – الحرورية: وهي نسبة إلى المكان الذي خرج فيه أسلافهم على علي بن أبي طالب،وهو قرب الكوفة.

3 – الشراة: وهم يفتخرون بهذه التسمية، ويأخذونه من قول الله تعالى: {إنالله اشترى منا المؤمنين أنفسهم أموالهم بأن لهم الجنة} سورة التوبة آية111.

4 – المارقة: وأطلقه عليهم خصومالخوارج، لتنطبق عليه أحاديت المروق الواردة في الصحيحين.

5 – المحكمة: وهو أوّل الأسماء التي أطلقت عليهم، وقيل إن سبب تسميتهم بهذا هو لرفضهم تحكيم الحكمين، وإما لترداهم كلمة " لا حكم الا لله" وهو الراجح.

6 –النواصب: سموا بهذا لمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب ﷺ.

---

[86] انظر: مقالات الاسلاميين207/1

[87] انظر: عمان تاريخ يتكلم ص 103

المبحث الثالث:

متى خرج الخوارج

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك مايلي:

1 – أنهم خرجوا في عهد النبي صلى الله عليهوسلم، وقال بهذا الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي والآجرّي وغيرهم.

ويقصد أصحاب أصحاب هذا الرأي ما حدث من قيام ذي الخويصرة وهو عبد الله بن ذي الخويصرةالتميمي في وجه الرسول ﷺ، معترضا على القسمة الفيء[88]، ولكن هذا الرأي يجانبه الصواب، إذ أن ذو الخويصرة لا يعتبر زعيما للخوارج، بل هي حادثة فردية تحدث للحاكم أو صاحب السلطة في مختلف الأزمان، خصوصا وأن دافع ذو الخويصرة هو الطمع وسوء الأدب مع النبي ﷺ.

2 – أنهم نشأؤوا في عهد عثمان ﷺ، وهذا رأي ابن كثير وابن أبي العز وغيرهم[89]، لكن يَرد على هذا الرأي أن دافع الثوار هو قتل عثمان والاستيلاء على المال، ولم يكن لديهم فرقة ذات طابع اعتقادي كما هو الخوارج بعد ذلك.

3 – أنهم نشأوا في عهد علي ﷺ، حين خرج عليه طلحة والزبير وهذا رأي الورجلاني من الأباضية وبعض علماء الإباضية[90]، ولا يصح وصف طلحة والزبير بأنهم من الخوارج ومعهم عائشة، وقد شهد الله لهم بالإيمان وشهد الرسول لطلحة والزبير بالجنة[91].

4 – أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق سنة 64هـ، ولم يقل بهذا سوى الإباضية، وهو رأي غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة الأولى إلى ظهور نافع بن الأزرق.

5 – أنهم ظهروا حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيش علي بن أبي طالب، حيث كان لهم آنذاك اتجاه سياسي وآراء اعتقادية انفردوا بها عن عموم أهل السنة وهذا هو الراجح.[92]

---

[88] انظر: الحديث الوارد في صحيح البخاري52/8-53 ومسلم 110/3

[89] انظر: البداية والنهاية 189/7 وشرح الطحاوية ص 472

[90] كأبي إسحاق أطيفش ، وتبعه على ذلك يحي معمر أحد علماء الاباضية المتأخرين ، وقد اعتبروا احداث الكحكمة الأولى فتنة داخلية بين الصحابة، وليس هم أساس الخوارج في نظرهم، انظر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ص 377 والاباية في موكب التاريخ ص33

[91] انظر: الدليل لأهل العقول ص 15

المبحث الرابع:

محاورات الإمام علي للخوارج في النهروان[93]

وقعت بين الإمام علي ﷺ وبين الخوراج عدة محاورات قبل نشوب المعركة بين جيشه وبين الخوارج حينما انفصلوا عنه وأظهروا له العداء عقب أحداث التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، وذلك حينما طلب منهم علي بيان أسباب خروجهم عليه فأجابوه بأشياء منها:

1 – لماذا لم يبح لهم في معركة الجمل أخذ النساء والذرية كما أباح لهم أخذ المال، وقد وقعت هذه المعركة بين جيش علي وبين جيش علي وطلحة والزبير في أحداث – ليس هنا مجال ذكرها –.

2 – لماذا محى لفظ أمير المرنين في التحكيم بينه وبين معاوية.

3 – لماذا شكّ فيخلافته حينما قال للحكمين:إن كنت أهلا للخلافة فأثبتاني ولماذا رضي بالتحكيم؟

فأجابهم علي ﷺ بما يدحض شبههم هذه بأجوبة منها مايلي:

1 – أنه أباح لهم المال لأنه من بيت مال المسلمين، وأما النساء والذرية فلم يشتركوا في القتال وهم مسلمون أيضا، ولم تكن منهم ردة فلا يسبون، ثم إنه قال لهم " لو أبحت لكم استرقاق النساء والذرية فأيكم يأخذ عائشة " فخجل القوم من هذا، ورجع معه كثير منهم.

2 –أما شبهتهم الثانية، فاستدل بفعل الرسول ﷺ يوم الحديبية، مع أن النزاع أصلا كان في أمر غير الخلافة وهو مطالبة بدم عثمان، مع معرفة معاوية بأفضلية علي ، والله أعلم بصحة هذه الرواية .

3 – أما مسألة الشكّ في خلافته، فقد أجابهم عن شبهتهم هذه بأنه أراد العدل بينه وبين معاوية ولو قال: أحكما لي لم يكن هذا تحكيما، وأجابهم بأن الرسول ﷺ حكّم سعد بن معاذ في حق كان له مع

[92] انظر لتلك الأقوال: تلبيس إبليس ص 90 والفصل لابن حزم 157/4 والملل والنحل للشهرستاني 21/1 وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص 472 والبداية والنهاية 189/7 والدليل أهل العقول للورجلاني ص 15 وعمان تاريخ يتكلم للسالمي ص 103

[93] انظر: الفرق بين الفرق ص 79وشرح نهج البلاغة 275/2 والكامل للمبرد 117/2

بني قريضة، فرجع مع علي بعد هذا من رجع، وحدث قتال بين جيشه وبين من بقي من الخوارج فقتلوا ولم ينج منهم إلا تسعة كما قيل[94].

المبحث الرابع:

أسباب خروج الخوارج

هناك أسباب متعددة أدت إلى خروج الخوارج نوجز أهمها فيما يلي:

1 –النزاع حول الخلافة:

وهذا أقوى الأسباب في خروجهم، إذ أن الحكام في نظرهم لا يستحقون الخلافة لعدم توفر شروطالخوارجالقاسيةعليهم، وساهم في ذلك عدم الاستقرار السياسيآنذاك، وظنوا أيضا أن القتال بين المسلمين كان لأجل الخلافة، مع أنه لم يكن كذلك.

2 –قضيةالتحكيم:

وهذا عامل مهم لخروجهم، وذلك حينما أصروا علي علي بن أبي طالب أن يقبل التحيكم ثم طلبوا منه أن يرجع ويعلن إسلامه فرد عليهم ردا عنيفا، فأظهروا الخروج عليه ونفض أيديهم من طاعته ومحاربته.

3 – جور الحكام وظهور المنكرات في نظرهم، حيث كان كثير من الخوراج يردد أن الحكام ظلمة وأن المنكرات فاشية، ولكنهم حينما خرجوا فعلوا أضعاف ماكان من المنكرات واستحلالهم دماء المسلمين.

4 – العصبية القبلية: وذلك حينما قامت بعد أن أماتها الإسلام، ولكن بقيت بواق في النفوس أدت إلى قيام الحسد مرة أخرى في النفوس، مما أذكى نار العداوة والفرقة بين المسلمين، ومما يذكر عن المأمون أنه كان يرى أن أكثر الخوراج من قبيلة ربيعة حسدا لمضر فكان يقول " والله ما خرج اثنان أحدهما شاريا

[94] انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري 89/5 والبداية والنهاية 218/6 والكامل لابن الأثير 345/3 ومروج الذهب 417/2 وانظر: اعتراض علي يحي معمر على نتيجة المعركة في كتابه الاباضية بين الفرق ص 68، وتحديدي العدد برقم تسعة فيه بعد متكلَّف، والروايات في ذلك فيها اضطراب.

إلا كان من ربيعة " ويقول: " والله ما زالت ربيعة ساخطة على الله منذ أن جعل نبيه من مضر "،وهناك عوامل أخرى اقتصادية ودينية أدت إلى خروجهم تنمُّ عن جهل مطبق منهم [95].

المبحث الخامس:

حركات الخوارج الثورية وفرقهم وعددهم

أولا: **حركات الخوارج الثورية**: ابتدأت حركاتهم الثورية منذ خروجهم بعد قضيةالتحكيم على علي بن أبي طالب، ومن جاء بعده من الحكام الأمويين، حيث خرجوا في شكل عصابات وجماعات متفرقة هنا وهناك، إلى أن جاء نافع بن الأزرق سنة 64هـ فابتدأ الخوارجيظهرون كفرقة كبيرة امتدت إلى عصر الدولةالعباسية، تمثل موضع معارضة لكل خليفة للمسلمين.

ثانيا: **فرق الخوارج**:من رحمة الله بالمسلمين أن الخوارج كانوا يتفرقون لأتفه الأسباب، فلو اتحدوا لكانت كارثة على بلاد المسلمين، فمثلا تفرقوا حينما رأى نافع بن الأزرق عدم جواز التقية والقعدة بين المخالفين[96] ، فتفرقوا فرقا كثيرة باعتبار رأي كل فرقة منهم، وبعض تلك الفرق انتهى في وقته وبعضها اندمج مع فرق أخرى وبعضها رجع عن مقالته.

ثالثا: **عدد فرق الخوارج**: من الصعوبة عدّ فرق الخوارج الأصلية والفرعية، فقد اختلف علماء الفرق في عددهم، فعند الأشعري يعدها أربعا، وعند غيرهخمسا، وبعضهم ثمانية، وبضعهم خمسا وعشرين، وبعضهم أكثر من ثلاثين، والسبب في هذا الاختلاف يعود إلى أن الخوارج فرقة حربية متقلبة، فلم يتمكن العلماء من حصرهم، ثم إنهم كانوا يتفرقون ويختلفون في آراءهم لأتفه الأسباب، ولم تكن أيضا

---

[95] انظر: تاريخ الطبري 84/5 والكامل لابن الأثير 344/3 وانظر: العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد زيهر ص 192 وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة 69/10 وفجر الإسلام لأحمد امين ص 262وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص 573

[96] أي هل يحل لهم المقام بين المخالفين أم لا يحل؟ ويكون المقيم بينهم كافرا حلال الدموالمال، كما يرى ذلك نافع حتى وإن كان منهم، وحينما وصا نافع إلى إحداث تلك الأموربينهم انفصلت عنه النجدات بقيادة نجدة بن عامر فقالوا لنافع: أحدثت ما لم يكن عمله السلف من أهل النهروان والقبلة ، فأجابهم : بأن هذه حجة عرفها وقامت عليه وينبغي الأخذ بها ، ففارقوه.

كتبهم معروفة بل أخفوها خوفا عليها من الناس،إلا أن أشهر فرقهم هي فرقة الإباضية كما يُذكر ذلك في كتب الفرق[97] .

المبحث السادس:

دراسة أهم فرق الخوارج، وهم الإباضية

لا بد من وقفة يسيرة عند هذه الطائفة، لكون هذه الطائفة لا يزال لها أتباع وأنصار في أماكن كثير في العالم، ولكثر ماجاء من أخبارهم السياسية والعقدية والاجتماعية، حيث يوجد أتباعها حاليا في الجزائر وتونس وليبيا وعمان وزنجبار[98] ، ودراسة الخوارج تأخذ حيزا كبيرت نحيل القارئ فيها إلى الاطلاع على ماكتب عنهم[99] .

أ- **زعيم الإباضية** : ينسب الإباضية مذهبهم إلى جابر بن زيد الأزدي ، وهو من تلاميذ ابن عباس[100] ، وقد نسبوا أيضا إلى عبد الله بن يحي بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام ، وهو أحد التابعين عاصر معاوية وابن الزبير .

هذا هو اسمه الحقيقي خلافا لما ذكره بعض علماء الفرقكالملطي وصاحب كتاب إبانة المناهج، حيث التبس عليهم اسمه بإباض بن عمرو المسمى بطالب الحق واسمه يحي بن عبد الله[101]، وبعضهم نفى نسبتهم إلى ابن إباض كابن حزم[102]، وهذا خطأ منه ووهم، فهم لا يعرفونه ولا يتبرؤون منه[103] .

[97] انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري 1983/1 والفرق بين الفرق ص 24 وص 72 وإبانة المناهج لجعفر بن أحمد ص 155 والتنبيه والرد للملطي ص 167 وتاريخ الفرق الإسلامية ص 266-268 والاعتصام للشاطبي 219/2.

[98] انظر: دراسات إسلامية في أصول الاباضية، بكير سعيد، ص 136

[99] مثل ما كتبه علي يحي معمر في كتبه الكثيرة عنهم: الاباذية بين الفرق الإسلامية، والاباضية في موكب التاريخ، والاباضية مذهب إسلامي معتدل، وكذا كتاب السالمي عمان تاريخ يتكلم، وما طتبه د/صابر طعيمة: الاباضية عقيدة ومذهبا، إلأى غير ذلك من الكتب المتيسر وجودها عن هذه الفرقة.

[100] انظر: الاباضية بين الفرق الاسلامية ص 353

[101] وطالب الحق ظهر عام 128هـ وأصله من حضرموت قتل سنة 130هـ بعد معركة مع جيش الخليفة مروان بن محمد.انظر: التنبيه والرد للملطي ص55 وإبانة المناهج لجعفر بن محمد ص155

[102] انظر: الفصل 191/4

[103] انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص48

وقد أرخ بعض علماء الإباضية تاريخ الوقت الذي استعمل فيه اسم الاباضية ، حيث ذكروا أنه كان في القرن الثالث الهجري ، وكانو يسمون قبلها جماعة المسلمين، أو أهل الدعوة ، أو أهل الاستقامة ، كما يذكر ذلك ابن خلفون من علمائهم – في أجوبته[104] – .

ب- هل الاباضية من الخوارج:

اتفقت كلمة علماء الفرق على عدّ الاباضية من الخوارج، ووافقهم على ذلك بعض زعماء الإباضية المتقدمين، خلافا لبعض المتأخرين كأبي اسحاق أطفيش وعلي يحي معمر حيث نفوا أن يكون الاباضية من فرق الخوارج، وزعما أن تاريخ الخوارج يبدأ من نافع بن الازرق سنة 64هـ، ونفى وجود صلة مابين المحكمة وبين نافع بن الأزرق ونجدة بن عهامر وغيرهما[105].

وهذا القول فيه مغالطة خاطئة، حيث إن أحداث الخوارج متسلسلة منذ خروج المحكمة الأولى إلى ظهور نافع بن الأرزق.

ثم إنه قد وردت تسميتهم بالخوارج حتى قبل ظهور نا فع بن الأزرق، كما جاء في كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة لمؤلفه العيزابي الإباضي [106].

ت- فرق الإباضية:

افترقت الإباضية إلى عدة فرق، منها ما يعترف به الاباضية ومنها ما ينكرونه ويشنعون على من ينسبها إليهم ومن تلك الفرق ما يلي:

1 – الحفصية: أتباع حفص بن أبي المقدام.

2 – اليزيدية أتباع يزيد بن أنيسة.

3 – الحارثية: أتباع حارث بن يزيد الإباضي.

4 – أصحاب طاعة لا يراد بها الله[107] .

---

[104] انظر: أجوبة بن خلفون ص9

[105] انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص 377-383 والإباضية في موكب التاريخ ص22 كلاهما لعلي يحي معمر.

[106] انظر: وفاء الضمانة بأداء الأمانة للعيزابي 22/3 وعمان تاريخ يتكلم ص 117

[107] انظر: ماقلات الإسلاميين183/1 والفرق بين الفرق ص 105وص 279.

ولبعض هذه الفرق أقوال ومقالات تخرجهم من ملة الإسلام، وهذه الفرق تنسب إلى الإباضية خلافا لما ذهب إليه الإباضي علي معمر بنفيه أن تكون من فرق الإباضية.

بالإضافة إلى هذه، فإن هناك ست فرق أخرى للإباضية في المغرب وهي:

1 – فرقة النكار: ينتسبون إلى رجل يسمى أبا قدامة يزيد بن فندين، الذي أنكر إمامة زعيم الإباضية بالمغرب عبد الوهاب رستم، ولذلك سموا بهذا الاسم.

2 – النفاثية: نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي،ونفوسة قرية تقع في ليبيا.

3 – الخلفية: نسبة إلى خلف بن السمح المعافري.

4 – الحسينية: نسبة إلى زعيمها أبازياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.

5 – السكاكية: نسبة إلى زعيمها عبد الله بن السكاك اللواتي، تميز هذا بأقواله الكفرية وقد تبرأت منه الإباضية.

6 – الفرثية: نسبة إلى زعيمها سليمان بن يعقوب بن أفلح.

وقد شكك علي يحي معمر في وجود بعض هذه الفرق[108] فضلا عن نسبتها إلى الإباضية إلا أن كثيرا من العلماء يذكرون هذه الفرق ضمن الإباضية بالمغرب.

ث– دولة الإباضية:

قامت للإباضية دولتان ، إحداهما في المغرب، والأخرى في المشرق في عمان . وذلك كما يلي:

أولا : دولة المشرق : وقد قامت في عمان ، وساعدها في ذلك بعدها عن دار الخلافة الإسلامية ثم مسالكها الوعرة .

وقد ابتدأت منذ أن هرب إليها بعض الخوارج إثر هزيمتهم في معركة النهروان، وبدأت تقوي غراسها في عمان إلى أن اشتدت قوتها وقوي عودها،حتى قرروا الانصال عن الخلافة الإسلامية وانتخبوا لهم خليفه اسمه الجلندي بن مسعود الأزدي.

[108] انظر: الإباضية بين الفرق الإسلاميةص 258وص278

إلا أن جيوش الخلافة قضت على حلم الإباضية وبقيت خاضعة لها إلى سنة 177هـ، حيث قرروا أن يستقلوا مرة أخرى، وفي سنة 179هـ ولُّوا عليهم خليفة منهم واسمه مُحَّد بن أبي عفان الأزدي، ثم توالى عليهم الخلفاء منهم عليهم[109] إلى أن حدثت الانشقاقات والتفرق بينهم، فتدخلت الدول الاستعمارية وقضت على خلافتهم[110] .

ثانيا: دولة المغرب:فقد قامت نتيجة لانتشار المذهب الإباضي بين قبائل البربر وذلك عن طريق دعاته الذين خرجو من البصرى التي كانت تعد مقرهم الرئيسي.

وكان أول زعيم لهم هو أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، واستولوا على طرابلس إلا أن جيش الخلافة دحر جيوشهم.

ثم قام بعده عبد الرحمن الرستمي وأسس دولة الإباضية الرستمية بالمغرب سنة 160 هـ واستولى على أماكن كثيرة.

ثم توالى الخلفاء من بعده من عقبه إلى أن بدأ التشتت بين الأسرة الرستمية نتيجة خلافهم حول الخلافة، ثم انتهى أمرهم بهجوم الشيعة عليهم بقيادة أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ والاستيلاء على دولتهم.

ج- موقف الإباضية من المخالفين لهم:ويبرز موقفهم من المخالفين فيما يلي:

1- موقفهم من سائر المخالفين:

تتسم معاملة الإباضية لمخالفيهم باللين والتسامح وجوزوا تزويج المسلمات من مخالفيهم، وتعتبر المخالفين لهم من أهل القبلة كفار نعمة وليسوا كفار ملة إلا معسكر السلطان،هذا ما يذكره بعض علماء الفرق، كالأشعري وكأبي زكريا الجناوي من الإباضية.

بينما نجد بعضهم يذكر عنهم بأنه يرون بأن مخالفيهمكفار ملة،ويذكر البعض عنهم أنهم يرون معاملة القسوة والشدة مع المخالف ويستحلون دماء مخالفيهم، وممن قال بذلك البغدادي والشهرستاني، وقال به من الإباضية العيزابي والوارجلاني.

---

[109] انظر: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية 148/2 و152 ومخطوطو المارغيني عن افتراق الإباضية الست بالمغرب ص1-7.

[110] انظر: عمان تاريخ يتكلم للسالمي ص131 والأزهار الرياضية للباروني 2/2 والكامل لابن الأثير 192/5

ويرجع ذلك لاضطراب كتب علماء الاباضية في ذلك، فبينما نرى نقل بعضهم مسامحة المخالف لهم إلا أننا نجد أن بعض كتبهم ترى أن كل من لم يعتقد مذهب الاباضية فهو على الكفر، وأن الله لا يقبل دينا غير الاباضية، وذلك مثل كتاب العقود الفضية وكشف الغمة والنيل وشفاء العليل والحجة للعيزابي وغيرها من كتبهم، ويتضح هذا من خلال التالي:

أولا: اللين والتسامح: ونسلط الضوء في ذلك على ما قاله عنهم كتّاب الفرق وما قالوه عن أنفسهم في كتبهم.

أما ما قاله عنهم علماء الفرق: يرى الأشعري أن الإباضية لا ترى السف مع المخالفين، وأن دارهم دار توحيد إلا دار السلطان ولا يقتلون النساء والأطفال[111].

أما البغدادي والشهرستاني فيذكرون عن الإباضية أنهم يرون أن مخالفيهم كفار[112].

أما ماقالوه عن أنفسهم : فيذكر صاحب كتاب الأديان الإباضي وكذلك الإباضي أبو زكريا الجناوي أنه يجوز معاملة المخالفين معاملة حسنة ولكن على الإمام أن يناصبهم العداء حتى يذعنوا وأنه في حال الحرب لا تجوز غير دمائهم[113]. بينما يرى الإباضي علي يحي معمر أنه لا يجوز دماء مخالفيهم[114]

2- موقف الاباضية من الصحابة :

اتفق الخوارج على الولاء التام والترضي عن الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم تخرج فرقة منهم عن ذلك.

أما الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما، فقد هلك الخوارج فيهما وذموهما، ويهمنا هنا هو أن نشير إلى موقف الاباضية وذلك فيما يلي:

- **موقف الاباضية من عثمان ﷺ**:

لا شك أن عثمان ﷺ صحابي جليل مشهود له بالجنة، أما الإباضية فقد كفروه وطعنوا فيه وفي خلافته كما جاء في كتاب كشف الغمة وكتاب الأديان للوارجلاني من كتبهم[115].

---

[111] انظزر: مقالات الإسلاميين 204/1 و184

[112] انظر: الفرق بين الفرق ص103 والملل والنحل 134/1

[113] انظر: كتاب الأديان ص99 وكتاب الوضع للجناوي.

[114] انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص335

- **موقفهم من علي ﷺ**:

يعتقد الإباضية وجوب البراءة من علي ﷺ كما جاء في كتاب كشف الغمة، وتأول بعضهم كحفص بن أبي المقدام بعض نصوص القرءان أنها نزلت في علي[116] .

وقد شتم الاباضية أيضا معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وشتموا ولعنوا الحسن والحسين لقتلهما ابن ملجم وتسليمهما الخلافة لمعاوية، وكذلك ووقفوا نفس الموقف أيضا من طلحة والزبير وأوجبوا لهما النار[117] ، كما ورد كل ذلك في كتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني وكشف الغمة من كتبهم .

وهذا خلافا لما ذهب إليه بعض المعاصرين من الاباضية من عدم تكفير الصحابة ومدحهم كعلي بن يحي معمر في كتابه الاباضية بين الفرق[118] وهذا خلاف ما ذهب إليه علماء الإباضية أنفسهم[119] .

د- عقائدالاباضية:

لفرقة الإباضية أقوال فقهية وعقائدية تخالف فيها الحق، وسوف نقتصر هنا على أقوالهم في العقيدة وذلك فيما يلي:

1- صفات الله: انقسموا إلى قسمين: منهم من نفى الصفات نفيا تاما خوفا من التشبيه بزعمهم، وقسم منهم يرجع الصفات إلى الذات،فقالوا:إن الله عالم بذاته وسميع بذاته إلى آخر الصفات.

فالصفات عين الذات عندهم كما نص على ذلك العيزابي في كتابه الحجة في بيان المحجة، وأولوا النصوص إلى معان ليست هي المرادة، كاليد بالنعمة والوجه بالذات ومجيء الله مجيء أمره،وهكذا، كما ذكر ذلك الورجلاني في كتابه الدليل لأهل العقول[120] .

---

[115] انظر: كشف الغمة ص 268 وكتاب الأديان ص 26-27

[116] انظر: مقالات الإسلاميين 183/1

[117] انظر: الإباضية بين الفرق ص287

[118] وفاء الضمانة 22/3

[119] انظر: كشف الغمة ص 304 والدليل لأهل العقول ص 28

[120] انظر: الحجة في بيان المحجة ص 6وص18 والدليل لأهل العقول ص 32

وهذا الاعتقاد في حقيقته هو نفي للصفات، ولكنه نفي مغطى بحيلة إرجاعها إلى الذات، فأهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله من دلالة النصوص على ذلك.

فأهل السنة يثبتون الصفة ويقولون إنها معلومة، وينفون معرفة الكيفية ويقولون: الكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وأنه الله {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} سورة الشورى آية11 وهذه الآية أساس واضح في إثبات الصفات[121].

2- استواء الله على عرشه:

ينفي الاباضية صفة الاستواء ويعتقدون أن الله في كل مكان، وهذا الحلول قول غلاة الجهمية، ويفسرون الاستواء باستواء قدرته ولطفه فوق خلقه.

3- رؤية الله تعالى: ينكر الإباضية رؤية الله تعالى، لاستحالته في العقل، وكل ما استدلوا به في تعضيد ما ذهبوا إليه من النصوص إما ان نكون غير صحيحة الثبوت، أو صحيحة الثبوت ولكن أولوا معانيها إلى معان باطلة، كاستدلالهم بقوله تعالى {لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار} سورة الأنعام آية103 وهذا في فيه نفي الإحاطة والشمول وليس فيه نفي الرؤية.

وقوله تعالى {لن تراني ولكن انظر إلى الجبل}[122] والمراد به في الدنيا، وقد علق إمكان رؤيته تعالى بممكن وهو استقرار الجبل.

4- قولهم بخلق القرآن: كما نص على ذلك ابن جميح الورجلاني في كتابه مقدمة التوحيد والدليل لأهل العقول[123]، وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة من أن القران كلام الله بلَّغه إلى جبريل،ومنه إلى النبي صلى الله عليهوسلم، والكلام صفة لله تعالى، وقد خرج بعض الإباضية عن القول بخلق القرآن وردوا على من قال بخلقه كصاحب كتاب الأديان وأبو النظر العماني[124].

---

[121] انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص 16-29

[122] سورة الأعراف آية 143

[123] انظر: مقدمة التوحيد لابن جميح ص 19 والجليل لأهل العقول للورجلاني ص 50

[124] انظر: كتاب الأديان ص 104 وكتاب الدعائم ص 31-35

5- وافق الاباضية أهل السنة في مسألة القدر، فأثبتوا القدر خيره وشره، وأن الله خالق كل شيء، وأن الإنسان فاعل لأفعاله الاختيارية مكتسب لها محاسب عليها، كما نص على ذلك علماؤهم كالعيزابي في الحجة في بيان المحجة والسمالي في الإباضية بين الفرق وعلي يحي معمر[125].

6- اختلف الاباضية في مسألة عذاب القبر، فمنهم من أنكره كسائر فرق الخوارج، ومنهم من أثبته كأهل السنة[126]، كما دلت على ذلك النصوص ، ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ، ومجرد الاستبعاد ليس بدليل.

7- يؤمن الاباضية بوجود الجنة والنار والحوض والملائكة والكتب المنزلة.

8- يثبت الإباضية الشفاعة ولكنها لغير العصاة، بل تكون للمتقين فقط[127]، خلافا لمذهب أهل السنة من أن الرسول يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه ، وأن الله يقبل شفاعته وشفاعة الصلحين من عباده.

9- يؤوّل الاباضية الميزان بأن المقصود منه تمييز الله بين الحسن والسيء من الأعمال، خلافا لما دلت عليه النصوص من أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه[128].

10- أنكر الإباضية الصراط [129]، وذهب قلة منهم إلى إثباته[130] ، ومعتقد أهل السنة هو اعتقاد أن الصراط جسر على متن جهنم وأن العباد يمرون عليه حسب أعمالهم.

11- يثبت الاباضية أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان[131] ، ووافقوا في ذلك أهل السنة ، وذهب بعضهم إلى أن الايمان لا يزيد ولا ينقص[132].

---

[125] انظر: متن النونية للنفوسي ص 12 والحجة في بيان المحجة ص 23 وغاية المراد ص9 والإباضية بين الفرق ص 248

[126] انظر: متن النونية للنفوسي ص 27

[127] انظر: كتاب الأديان ص 53

[128] انظر: متن نونية للنفوسي ص25

[129] انظر: غاية المراد ص9

[130] انظر: قناطر الخيرات 318/1 نقلا عن الإباضية عقيدة ومذهبا ص126

[131] انظر: كتاب الأديان ص 53 وغاية المراد ص 7

[132] انظر: الإباضية عقيدة ومذهبا د/ صابر طعيمة ص116-117

12- يرى الإباضية أن الايمان يزيد وينقص خلافا لسائر فرق الخوارج،لكنهم يسمّون المذنب كافراكفر نعمة ومنافقا، ويرون أنه في الاخرة مخلد في النار إذا مات من غير توبة، وهنا وافقوا فرق الخوارج في الحكم على العصاة في الآخرة[133].

13- يرى الإباضية وجوب تنصيب الإمام[134]، ويرون صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ووافقوا في هذا مذهب أهل السنة[135]، خلافا لرأي بعض فرق الخوارج كالمحكمة والنجدات من أنه قد يستغنى عن نصب الخليفة إذا تناصف الناس فيما بينهم .

14- يرى الاباضية جواز التقية[136]، خلافا لأكثر فرق الخوارج،وبهذاتكتفي بما تقدم ذكره عن فرقة الاباضية.

المبحث السابع:

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للخوارج

للخوارج مسائل اعتقادية كثيرة خالفوا فيها أهل السنة والجماعة من أبرزها ما يلي:

1 – هل الخوارج يقولون بالتأويل أم بظاهر النص فقط؟

التأويل في اللغة يطلق على عدة معاني، منها التفسير،والمرجع،والمصير،والعاقبة، وتلك المعاني موجودة في القرآن الكريم كقوله تعالى: {هل ينظرون إلا تأويله} سورة الأعراف آية 53

في الاصطلاح: له معنيان عند السلف:

أ – يطلق بمعنى التفسير والبيان.

ب – يطلق بمعنى المآل والمرجع والعاقبة.

ولا يلزم من معرفة التأويل بمعنى التفسير معرفة التأويل بمعنى المصير والعاقبة، فقد يعرف معنى النص ولكن لا تعرف حقيقته كأسماء الله وصفاته.

---

[133] انظر: الإباضية بين الفرق ، علي معمر ص 289 وغاية المراد للسالمي ص 18

[134] انظر: الإباضية بين الفرق ، علي معمر ص 289 وغاية المراد للسالمي ص 18

[135] انظر: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص 462

[136] انظر: مسند الربيع بن حبيب 12/3

ج –هناك معنى ثالث للتأويل في الاصطلاح لدى المتأخرين، من علماء علم الكلام وأصول الفقه، وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح.

وهذا النوع الثالث مرفوض عند السلف، واعتبروه تحريفا باطلا[137]، فلم يعرفه سلف الأمة ولم يقولوا به ، ولما يحمله من معان خطيرة على نصوص الشرع.

رأي الخوارج في التأويل: اختلف علماء الفرق في الحكم على الخوارج، هل يأخذون بظواهر النصوص أم بالتأويل، أم أنهم ليسوا على رأي واحد، فذهب بعضهم إلى أن الخوارج نصيون جامدون على المعنى الظاهر من النص، وهذا رأي أحمد أمين وأبي زهرة[138].

ومنهم من ذهب إلى أن الخوارج يؤوّلون النصوص بما يوافق أهوائهم، وهو رأي ابن هباس وابنيتيمة وابن القيم[139] ، ومنهم من ذهب إلى أنهم ليسوا على رأي واحد فمنهم نصيون ومنهم مؤولة وهو رأي الأشعري[140] ، وهو الراجح .

2 – موقف الخوارج من صفات الله:

رغم قلة المصادر التي تذكر رأي الخوارج في موقفهم الحقيقي من صفات الله، إلا أنه وردت بعض الآثار عن بعض فرقهم والتي تدل على حدوث صفات الله، كفرقة الشيبانية حيث يقولون إن الله لم يكن يعلم حتى خلق لنفسه علم[141]، وهذا فيه تناقض ظاهر إذ كيف علم أنه دون علم وهو بغير علم.

أما الاباضية فقد تقدم أنهم يقفون موقف النفي والتأويل من الصفات بحجة الابتعاد عن اعتقاد المشبهة.

3- حكم مرتكبي الذنوب عند الخوارج:

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاقهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة، وحاصل الخلاف فيما يلي:

---

137 انظر: ضحى الإسلام 334/3

138 انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية 66/1

139 انظر: النبوات ص 89 ونونية ابن القيم ص 85

140 انظر: مقالات الإسلاميين 183/1

141 انظر: الملل والنحل 133/1

أ – الحكم بتكفير العصارة كفر ملة، وعليه أكثر الخوارج، واختلفوا في سبب كفره، فعند المكرمية لجهله بحق الله، وأما النجدات فربطوا كفره بالإصرار على الذنوب.

ب – أنهم كفار كفر نعمة وليس كفر ملة، وعليه الاباضية، حيث يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها ويحكمون في الدنيا بأنه منافق، وأن النفاق لا يكون إلا في الأفعال لا في الاعتقاد[142].

أدلتهم:

1 –استدل الخوارج بمجمل النصوص التي تنص على تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر ، ثم قالوا : ليس وراء ذلك الحصر شيء .

كقول الله تعالى: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} سورة التغابن آية2وقالوا: الفساق ليسو مؤمنين فإذاً هم كفار.

وهذا الاستدلال لا يخفى أنه استدلال باطل، فهناك قسم ثالث وهم العصاة، وذكر الفريقين لا يدل على نفي ماعداهما.

2 –استدلوا بقوله تعالى: {ومن لكم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} سورة المائدة آية44 وقالوا الاية تشمل كل من عمل ذنب، لأنه حكم بغير ما أنزل الله.

وهذا الاستدلال باطل، لأن الآية قد تكون واردة على من استحل ذلك.

3 – استدلوا بالسنة بقولالنبي صلى الله عليهوسلم:"لا يزي الزني حين يزني وهو مؤمن ولا يشربالخمر حين يشربها وهو مؤمن ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن "[143] حيث فهموا من الحديث نفي الإيمان عنه بالكلية .

وهذا الاستدلال باطل، حيث ينصرف ذلك إلى مناستحل ذلك الفعل ، أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم ، أو نفي الإيمان عنهم مقيد بحال مواقعتهم ذنوب ، ولو كانت الكبائر تخرج الشخص

[142] نقلا عن الابا ية بين الفرق الإسلامية عن كتاب المقالات في القجيم والحديثص 315 وانظر: دراسات إسلامية في أصول الإباضية ،الأصل التاسع ص60

[143] أخرجه البخاري 13/8 ومسلم 54/1

بالكلية من الإيمان لما أقيم الحد عليهم، وقد قال الزهري في مثل هذه الاحاديث:"أمروها كما أمرها من قبلكم"[144].

4- الإمامة العظمى:

الإمامة العظمى هي مشكلة الخوارج العظمى طوال العصرالأموي والعباسي، فجردوا السيوف عمليا ناقمين على سياسات الخلفاء في الناس، وانشغلوا فكريا في تحديد مهام الإمام المنوطة به وصفاته وخصائصه، ويتبين ذلك فيما يلي:

أ- حكم الإمامة عند الخوارج:

ينقسم الخوارج إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم عامة الخوارج يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت لوائه مادام على منهجهم.

الفريق الثاني: يرون أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم، وهذا رأي المحكمة والنجدات والإباضية[145]، واستدلوا على ذلك بعدة مبررات منها ما يلي:

- استندوا إلى المبدأ القائل "لاحكم إلا لله حرفيا"، وأن الحكم ليس من اختصاص البشر بل هو لله.
- أن الغرض هو تطبيق الشريعة فإذا أقامها الناس وتناصفوا فلا حاجة للإمام.
- أن الكتاب والسنة لم تشر إلى حتمية تنصيب إمام[146].

والحقيقة أن أول من خالف تلك المبررات هم أنفسهم، فالمحكمة ولوا عليهم عبدالله بن وهب الراسبي والنجدات ولوا عليهم نجدة بن عامر ، وكل تلك المبررات واهية، فمن الساذجة القول بتناصف الناس، فوجود الإمام ضرورة عقلا وشرعا.

وأما ما قيل عن الاباضية من أنهم يقولون بذلك[147]فهو من نسج خصومهم لبث الاشاعة الباطلة عنهم[148] والله أعلم.

---

[144] شرح النووي لصحيح مسلم41/2

[145] انظر: مقالات الإسلاميين 205/1 ومروج الذهب 236/3

[146] انظر: آراء الخوارج للطالبي ص 125 وعمان تاريخ يتكلم ص 123

[147]كما يذكر ذلك لوريمر في كتابه دليل الخليج 3303/6

ب- شروط الإمام:

وضع الخوارج شروطا قاسية لمن يتولى الإمامة منها ما يلي:

أ – أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الاسلامية.

ب – قويا في نفسه شجاعا ذا عزم.

ج – ألا يكون قد حد في كبيرة.

د – أن يتم انتخابه برضى الجميع.

وهم لا يرون اعتبار النسب أو الجنس فيما يروجون لمذهبهم ، لكنهمفي باطنهم أهلكتهم العصبية ، ثم إن الشرع لا يوجب على الإمام نهاره صيام وليله قيام ، أو يكون انتخابه برضى كل أفراد المسلمين بل ينصب إذا اجتمع عليه أهل الحل والعقد[149] .

ح- محاسبة الإمام والخروج عليه :

يعيش الإمام عند الخوارج بين فكي الأسد عكس الشيعة ، فيرون أنه المثل الأعلى ويجب أن يتصف بذلك قولا وفعلا .

وبمجرد أقل خطأ يوجب عيهم محاسبته فإما أن يعتدل أو يعزل.

وترى فرقة البيهسية والعوفية من الخوارج أن كفر الإمام يوجب كفر رعيته، إذا لم يخرجوا عليه وينكرروا عليه.

ولا شك أن هذا خلاف مقاصد الشريعة من طاعة الإمام لتستقيم شؤون الحياة ويأمن الناس، وأنه لا يجوز الخروج عليه إلا أن يرو كفرا بواحا.

خ- إمامة المفضول:

اختلف الخوارج في صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وذلك إلى فريقين:

---

[148] انظر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ص 290

[149] انظر: مدارج الكمال للسالمي ص 171 وتاريخ المذاهب الإسلامية 71/1 والتفكير الفلسفي د/ عبد الحليم محمود 191/1 وآراء الخوارج ص 121 وعمان تاريخ يتكلم ص 126

الفريق الأول: يرون عدم الجواز، ولا تصح إمامة المفضول

الفريق الثاني: يرون صحة ذلك وهذا هو الصحيح[150] .

ج- إمامة المرأة:

ترى فرقة الشبيبية من الخوارج جواز إمامة المرأة مستدلين بغزالة أم شبيب أو زوجته حينما تولت بعدهاالامامة، ودخلت مسجد الكوفة في مائتي امرأة في زمن الحجاج، وهذاالرأي مخالف لسائر فرق الخوارج وأهل السنة[151].

5- موقف الخوارج من عامة المسلمين:

القسم الأول:الغلاة، وهم عامة الخوارج حيث أجمعوا على أن السيف يعمل في مخالفيهم واستحلالدمائهم وأموالهم، وهذا رأي المحكمة والأزارقة والنجدات وغيرهم كما ذكر ذلك الأشعري[152] .

القسم الثاني: المائلون إلى الاعتدال: وأكثر من برز منهم هو أبو بلال مرداس بن أدية حيث كان يقول: " إنا لا نخيف آمنا ولا نجرد سيفا "

ومنهم كذلك الاخنسية من الخوارج حيث يحرمون الغدر بالمخالفين أو قتلهم قبل الدعوة وجوزوا تزيج الأخنسيات من المخالفين، وتبعهم على ذلك البيهسية.

6- حكم الخوارج على أطفال المخالفين:

اختلف الخوارج في حكمهم على أطفال مخالفيهم ولم يميزوا بين صغير لم يكلف وكبير مكلف وذلك فيما يلي:

الفريق الأول: استباح قتلأطفال مخالفيهم معتبرا أنهم مثل آبائهم وهم الأزارقة والعجاردة والحمزية والخلفية.

الفريق الثاني: يرى أنهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم وهم النجدات والصفرية والميمونية

الفريق الثالث: يرى أنهم خدما لأهل الجنة

الفريق الرابع: توقف فيهم إلى أن يبلغواسن التكليف ويتبين حالهم.

---

[150] انظر: الفصل لابن حزم 163/4 والاباضية بين الفرق الإسلامية ص 462 وآراء الخوارج لعمار الطالبي ص 128

[151] انظر: الفرق بين الفرق ص 110

[152] انظر: مقالات الاسلاميين204/1

الفريق الخامس: تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا في أطفال المشركين وهم الإباضية.

أما عند أهل السنة فهو أيضا موضع اختلاف حيث يرى بعض العلماء أن أطفال المؤمنين إذا ماتوا على الإيمان فإن الله يدخلهم الجنة تبعا لآبائهم كما قال تعالى {والذينآمنوا وتتبععتهم ذريتهم الحقنا بهم ذريتهم} سورة الطور آية21 وقد ذكر ابن القيم أنهم في الجنة دون خلاف، ويرى بعض أهل العلم أنهم تحت المشيئة.

أما أطفال المشركين عند أهل السنة فقد اختلف فيهم أهل العلم اختلافا كثيرا، فمنهم من يرى التوقف في أمرهم فلا يحكم لهم.

ومنهم من يرى أنهمفي الجنة، ومنهم من يرى أنهم في النار، ومنهم من يرى أنهم في منزلة بين المنزلتين أي بين الجنة والنار، ومنهم من برى أن حكمهم كحكم آبائهم في الدنيا والآخرة، ومنهم من يرى أنهم يمتحنون في عرصات يوم القيامة بطاعة رسول يرسله الله إليهم.

وقد استعرض ابن القيم أدلة القائلين بكل قول، ثم رجح القول الاخير حيثقال: " وبهذا يتألف شمل الادلة كلها وتتوافق الأحاديث".

واما ابن حزم والنووي فيريا أن أطفال المشركين في الجنة، وتوقف شيخ الاسلام في الحكم عليهم، وقد جاءت الأحاديث بالمنع من قتل نساء وذرية المشركين خلافا لرأي الخوارج[153].

الحكم على الخوارج:

اختلفت وجهات النظر في الحكمعلى الخوارج حسب ما يظهر، وذلك على قولين:

القول الأول: الحكم بتكفيرهم، وهؤلاء استندوا إلى حديث المروق المشهور حينما قال النبي صلى الله عليه وصلم " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"

وإذا كان بعض العلماء يتحرج من تكفيرهم عموما، فإنه لا يتحرج من تكفير بعض فرقهم كالبدعية الذين قصروا الصلاة على ركعة في الصباح وركعة في المساء والميمونية الذين أجازوا نكاح المحارم وأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن[154].

---

[153] انظر: التفسير القيم ص451 وفتح القدير 98/5 وجامع البيان 25/27 وطريق الهجرتين ص387 والفصل لابن حزم74/4

القول الثاني: الحكم عليهم بالفسق والابتداع والبغي، وهؤاء تحرجوا من إخراجهم من الملة،واكتفوا بتفسيقهم والحكم ببغيهم.

ثم إن كثيرا من السلف لم يعاملهم معاملة الكفار كما جرى لهم مع علي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز فلم تسبى ذراريهم وتغنم أموالهم.

والصواب أن يقال في حق كل فرقة ما تستحقه منالحكم،وذلك حسب قربها أو بعدها عن الدين، وإطلاق ما أطلقته النصوص في الحكم العام، ويتوقف عن إطلاق التكفير المخرج من الملة على المعين إلا بعد إقامة الحجة عليه، أو إذا ظهر كفره من قوله أو فعله أو اعتقاده.

المراجع

أولاً: مراجع فرقة الخوارج ومنها:

1- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن الأشعري.
2- الملل والنحل: للشهرستاني.
3- الفرق بين الفرق: للبغدادي.
4- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لابن حزم.
5- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: للملطي.
6- التبصير في أمور الدين: للإسفراييني.
7- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، رسالة ماجستير لكاتب هذا البحث.
8- آراء الخوارج: للدكتور عمار الطالبي.
9- فرق المسلمين والمشركين: للرازي .المواقف: للإيجي.

ثانياً: مراجع فرقة الإباضية بخصوصهم:

1- الإباضية بين الفرق الإسلامية: لعلي يحي معمر.
2- الإباضية في موكب التاريخ: لعلي يحي معمر.
3- العقود الفضية: للحارثي.

---

[154] انظر: الملل والنحل129/1 وقصة يوسف فيها الدروس من تقديم مخافة الله على خوف غيره وكبح جماح النفس ومخالفة الهوى ولم يكن فيها فحش أو مواعيد فاجرة.

4- الدليل لأهل العقول: للورجلاني.

5- متن النونية: للنفوسي.

6- كتاب الأديان: لمؤلف إباضي مجهول الاسم.

7- أجوبة ابن خلفون.

8- تلقين الصبيان ما يجب على الإنسان: للسالمي.

9- كتاب الدعائم: لأحمد بن النضر.

10- مسند الربيع بن حبيب أو الجامع الصحيح

11- مدارج الكمال نظم مختصر الخصال: للسالمي.

12- الإباضية عقيدة ومذهباً: د. صابر طعيمة.

الفصل الثالث:

الشيعة[155]

تمهيد:

تتركز الدراسة عن الشيعة في بيان ضلالهم وإيضاح موقفهم من النصوص والشعائر الإسلامية وموقفهم منأهل البيت وبيان اعتقادهم في القران الكريم والصحابة ﷺ،وغير ذلك من تعاليمهم.

والشيعة كطائفة ذات أفكار غلب عليهم هذا الاسم وهم من أكذب الفرق علىأئمتهم ومن أخطرها على المسلمين وذلك بسبب:

1- استعمال التقية المرادفة للكذب.

2- تظاهرهم بنصرة آل البيت، فانخدع بهم بعض الجهلة من الناس بحقيقة عقائدهم.

3- بغضهم لأهل السنة بسبب تعاليم خاطئة توارثوها ضد أهل السنة.

4- أن التشيع هو البابالواسع لكل طامع في تحقيق أغراضه من أهل الأهواء واختلفت مقاصدهم في التظاهر بالتشيع على النحو التالي:

أ- تشيع أقوام إيمانا بأحقية أولاد علي بالخلافة حسب ما سمعوا من النصوصالملفقة، أو تشيعوا كرها للحكم الأموي ثم العباسي، أو تشيعوا للانتقام من الإسلام كالباطنية.

ب- لأن الشيعة لا يتحرون النصوص الصحيحة ولا يهتمون بايصال السند إلى النبي ﷺ وإنما يروون عن الأئمة.

ت- لأنهم أهل عاطفة يظهرونها للناس نحو أهل البيت، فيكتفى بتوثيق الشخص عندهم أن يكون ظاهره الغلو في آل البيت.

المبحث الأول:

التعريف بالشيعة لغة واصطلاحا

[155] قد يعترض البعض على تسمية هؤلاءالروافض بالشيعة بحجة عدم صدقهم في تشيهم لآل البيت، لأنهم أعداء آل البيت وليسوا شيعتهم، وهذا المعترض محق في ذلك، ولكن أثبت تسميتهم شيعة كاسم علم يعم جميع اللفرق التي تظاهرت بالتشيع، ولئلا يعترض أحد بإخراج بعض الطوائف التي تظاهرت بنصرة آل البيت حينما تطلق على الجميع تسميتهم بالروافض كالذين يرون رأي الزيدية مثلا، ولأن تسميتعهم بالروافض عرفت حينما أطلقها عليهم زيد.

أولا: تعريف الشيعة في اللغة:

يراد بكلمة شيعة في اللغة العربية الأنصار والأعوان والأتباع خاصة[156].

واستعملت مادة "شيعة" ومشتقاتها في القرآن الكريم مرادا بها معانيها اللغوية الموضوعة لها في عدة معاني، وذلك كما يلي:

1- وردت وأريد بها الفرقة والجماعة كما قال تعالى: {ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا} سورة مريم آية69 أي من كل فرقة وجماعة وأمة[157]
2- الفرق والأحزاب كما قال تعالى: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم} سورة الأنعام آية 159
3- الأمثال والنظائر كما قال تعالى: {ولقد أهلكنا أشياعكم} سورة القمر آية 51
4- المتابع والموالي والمناصر، كما قال تعالى: {هذا من شيعته وهذا من عدوه} سورة القصص آية15[158].

ثانيا: تعريف الشيعة في الاصطلاح:

تعددت تعريفات العلماء في التعريف بحقيقة الشيعة، نوجزها فيما يلي:

1 – أنه علم على كل من يتولى عليا واهل بيته[159]، وهذا غير سديد لأن أهل السنة يتولون عليا.

2 – هم الذين نصروا عليا واعتقدوا إمامته نصا، وأن خلافة من سبقه ظلما له ، وينقض هذا ما اعتقدته بعض فرق الشيعة من صحة إمامة من سبقه كالزيدية كما يذكر ابن حزم[160].

3 – هم الذين فضلوا عليا على عثمان ، وينقض هذا ما يعتقده بعض الشيعة من البراءة من عثمان .

4 – هو اسم لكل من فضل عليا على الخلفاء الراشدين قبله ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة وأن خلافة غيرهم باطلة. وهذا هو الراجح[161].

---

156 انظر: تهذيب اللغة 61/3

157 انظر: تفسير ابن كثير 131/3

158 انظر: تهذيب اللغة 63/3

159 انظر: القاموس المحيط 49/3 ونحوه عند لالازهري في تهذيب اللغة 61/3

160 انظر: الفصل 92/4

المبحث الثاني:

ظهور التشيع ومراحله وأسماء الشيعة

أولا:متى ظهر التشيع:

اختلفت أقوال علماء الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع، وحاصل الأقوال في ذلك كما يلي:

1- أنه ظهر مبكرا في زمن النبي ﷺ، وعلى يديه، حيث كان يدعوا إلى التوحيد ومشايعة علي، وقد قال بهذا مُحَمَّد حسين الزين من الشيعة والنوبختي في فرقه والخميني وحسن الشيرازي[162] .

2– أن التشيع ظهر في معركة الجمل، حين تواجه علي وطلحة والزبير، وقال بهذا ابن النديم [163].

3 – أنه كان بعد مقتل الحسين، وقال به من الشيعة مصطفى الشيبي[164].

4 – أنه ظهر في أواخر أيام عثمان وفي عهد علي[165].

5 – أنه ظهر يوم معركةصفين، وقال بهذا من الشيعة الخونساري وأبو حاتم، ومن السنة ابن حزم وغيرهم[166]. وهذا هو الراجح والله أعلم، حيث ظهر في مقابل الخوارج في النهروان من تشيع لعلي وتابعه وناصره، ومن هنا بدأت فكرة التشيع شيئا فشيئا.

ثانيا:المراحل التي مر بها مفهوم التشيع:

كان مدلول التشيع إبّان الفتن التي حدثت بين علي معاوية تعني مناصرة ومتابعة علي بن أبي طالب ﵁.

وعلى هذا الرأي كثير من الصحابة، حيث رأوا أن عليا أحق بالخلافة من معاوية بعد اجتماع كلمة الناس عليه، وهذا لا يعني أن يفهم أنهم شيعة بالمعنى المعروف، إذ تطور المفهوم إلى مفهوم مغاير لهذا بعد ذلك تماما.

---

[161] انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص 145

[162] انظر:الشيعة والتشيع ص 19 وفرق الشيعة للنوبختي ص 39 والحكومة الإسلامية ص 136 والشعائر الحسينية ص11.

[163] انظر: الفهرسيت لابن النديم ص 249

[164] انظر: الصلة بين التصوف والتشيع ص 23

[165] انظر: رسالة في الرد على الرافضة ص 42 وقضية الشيعة ص3

[166] انظر: الشيعة والتشيع ص25

ثم تطور المفهوم بعد ذلك إلى تفضيل علي على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك توعد من قال بذلك أن يقيم عليه حد الفرية عليه[167].

ومع ذلك، فقد كان المتشيعون معتدلون في هذه الفترة، إذ لم يروا تكفير مخالفيهم، ولم يسبّواالصحابة، وقد اشتهر بهذا جماعة من أصحاب علي كأبي الاسود الدؤلي، وأبو سعيد يحي بن يعمر، وغيرهم[168].

ثم تطور بعد ذلك تطورا عنيفا حيث بدأ التشيع ينحى منحى الطعن في الصحابة وتكفيرهم ولم يستثنوا أحدا سوى عدد قليل منهم،كسلمان الفارسي وأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر وحذيفة، وكان ذلك بتأثير ابن سبأ اليهودي وأفكاره.

ثم تطور مفهوم التشيع إلى مرحلته الخطيرة ، وهو القول بألوهية علي أو أئمة آل البيت، وأول من تزعم هذا القول صراحة هو ابن سبأ باليهودي، وقد أحرق علي ﷺ كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر[169].

ثالثا: أسماء الشيعة : يطلق عليهم اسم الشيعة والرافضة والزيدية[170] وذلك كما يلي:

1. الشيعة : وهو أشهر أسمائهم ، ويشمل جميع فرقهم .
2. الرافضة : وقد أطلقه عليهم بعض العلماء، وتصح هذه التسمية على فرقة الرافضة فقط ، وهذا الاطلاق على عموم فرق الشيعة غير سديد ، إذ لا ينطبق هذا الاسم على الزيدية التي نشأت في نهاية القرن الأول حينما قال زيد للرافضة ''رفضتموني" بعد أن رفضوه حينما طلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر ، فأبي عليهم ونهرهم.
3. الزيدية : ويطلقها بعض الناس على جميع الشيعة ، وهذا أيضا غير سديد إذ أن الزيدية لا تقول بكل مقالات الشيعة فبينهما اختلافات كثيرة .

المبحث الثالث :

---

[167] انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص5-6

[168] انظر: مختصر التحفة الاثني عشريةص5 وهم ثقاة كما في تقريب التهذيب إلا سالم بن أبي حفضة فقد قال عنه : صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال، انظر: 279/1 وقال عن عبد الرزاق بن همام ثقة حافظ ... وكان يتشيع 505/1

[169] على القول بأنه احرقهم ، ولكنه لم يحرقهم مباشرة وإنما حفر ثلاث حفر كبار ثم أضرم النار في حفرتين وجعلهم في الثالثة، وجعل الدخان يتسرب إليها من الحفرتين فاختنقوا بالدخان وماتوا به، وحينما رأوا بأنه يريد أن يحرقهم ازدادوا عنادا واستكبارا متخذين من عزمه على ذلك دليلا على ألوهيته.

[170] انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص 146

فرق الشيعة

تمهيد: انقسمت الشيعة إلى فرق عديدة أوصلها بعضهم إلى ما يقارب سبعين فرقة[171].

وقد تفاوتت عقائدهم من حيث الغلو المخرج من الملة وما دون ذلك، وفي دراستنا هنا سوف نقتصر على أربع فرق كان لها دور بارز في العالم الاسلامي وهي:

- السبئية
- الكيسانية
- الزيدية
- الرافضة، وهي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع.

أ- **السبب في تفرق الشيعة:** كشأن سائر الفرق المنتسبة إلى الإسلام تفرق الشيعة إلى عدة فرق ومن أسباب ذلك مايلي:

1 – اختلافهم في نظرتهم للتشيع: فمنهم الغالي الذي يقدس الأئمة ويكفر مخالفيه،ومنهم من اتصف بنوع من الاعتدال.

2 – اختلافهم في تعيين أئمتهم من ذرية علي وذلك بتنوع فرقهم حسب اختلافهم في تعيين أئمتهم من آل البيت.

3 –كون التشيع مدخلا لكل طامع في مأرب ، فمنهم الطامع في السلطة ومنهم من يطمع في الانتقام من الآخرين ومنهم من أحب الظهور ، ولكنهم اجتمعوا على إحداث انشقاقات كبيرة بين صفوف الشيعة.

ب- عدد فرق الشيعة:

اختلف العلماء في عدد فرق الشيعة، فالاشعري يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية وماعداها فروع[172] ، والبغدادي يجعل أصولهم أربع[173] ، والشهرستاني يجعله أصولهم خمس[174] ، وبعضهم يجعلها أقل وبعضهم أكثر .

---

[171] انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، القسم الأول من الكتاب.

[172] انظر: مقالات الاسلاميين65/1

[173] انظر: الفرق بين الفرق ص 21

وتعدّفرقتا الرافضة والزيدية أكثر فرقهم نفوذا ووجودا في العالم الاسلامي إلى اليوم.

د- السبب في عدم اتفاق العلماء على عدد فرق الشيعة:

اختلف العلماء في عدّ فرق الشيعة وذلك لكثرة ظهور الفرق المتتابعة للشيعة، بسبب كثرة أهل الأهواء الداخلين في التشيع،والذين أدخلوا في التشيع عقائد لا تتفق مع روح الإسلام ، وهذا التفرق السريع والكثير جعل العلماء لا يتفقون في عدهم ، بل سجلوا ما أمكنهم رصده ثم إن لتباعد العلماء عن أماكن نشأة كثير من فرقهم كان له دور بارز في عدم رصد كل فرقة تظهر للشيعة ، بالإضافة الى جهود الشيعة في اخفاء فرقهم ومخططاتهم العقدية عن مخالفيهم.

ذ- دراسة أهم فرق الشيعة:

1 –السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي،قيل إنه من الحيرة بالعراق[175] ، وقيل إن أصله رومي[176] ، وقيل إنه من أهل صنعاء من اليمن[177] ، وهو الراجح .

وقد أظهر هذا الرجل الإسلام نفاقا في زمن عثمان وألب الناس على عثمان وساهم في قتله، ثم أظهر الغلو في علي وآل البيت، ثم زعم بعد مقتل علي أنه لم يقتل بل المقتول هو شيطان تمثل بصورة علي[178] ، ثم دعا إلى القول بالرجعة[179] أي برجعة علي إلى الدنيا ، ثم أظهر القول بألوهية علي.

موقف علي ﷺ من ابن سبأ:

اختلفت الروايات في فعل علي بن أبي طالب ﷺ تجاه ابن سبأ،فبعض الروايات تذكر أن علي استتابه ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه في جملة سبعين رجلا[180].

وبعض الرويات تذكر أن ابن سبألم يظهر القول بألوهية علي إلا بعد وفاته[181].

---

[174] انظر: الملل والنحل 147/1

[175] انظر: الفرق بين الفرق ص 235

[176] انظر: البداية والنهاية173/7

[177] انظر: تاريخ الطبري 340/4

[178] انظر: الفرق بين الفرق ص 234

[179] انظر: مقالات الاسلاميين 86/1

[180] انظر: منهج المقال للاستراباديي ص 203

[181] انظر: شرح نهج البلاغة309/2

وبعضها ترى أن عليا نفاه إلى المدائن خوفا من الفتنةوخوفا من اختلاف أصحابه عليه وكان ذلك بمشورة ابن عباس[182] .

وفي الحقيقة، فإن القول بأن عليا تركه أو نفاه قول في نظر، إذ يستحيل أن يتركه عليا يعيث فسادا في الأرض ويدعوا إلى الوهيته.

وأما القول بنفيه فقد يقال – إذا صح نفيه- أنه تركه لعدم ثبوت تلك الأقوال عليه، أو أن ابن سبأ قد يكون نفاها أمام علي ، وهذا ليس بمستغرب على من يضمر شرا بالمسلمين ، أو أن يقال أنه نفاه لعدم وصول دعواه إلى القول بالوهيته في ذلك الوقت ، وعندما مات أظهر القول بألوهيته ، وهذا الأخير فيه جمع بين الروايات .، ولا يتلفت لمن حاول التشكيك في وجود ابن سبأ من المؤرخين من بعض علماء الشيعة ومن المستشرقين[183] .

وعلى كل حال فقد أظهر ابن سبأ القول بألوهية علي وأنه لم يمت ، بل المقتول شيطان ، وأن الرعد صوت علي وأن البرق سوطه وأن الائمة ينبت لهم السمن والعسل من الأرض.

وقد رد عليه العلماء كالبغدادي في الفرق بين الفرق وابن حزم في الفصل في الملل والنحل بعدة ردود عقلية منها ما يلي :

- أن قول ابن سبأ أن المقتول شيطان، فلماذا يلعن هو وأتباعه ابن ملجم وقد قتل شيطانا.
- أن القول بأن الرعد صوته والبرق سوطه، يردّ عليه أن البرق والرعد موجودان منذ القدم، ولم يقل أحد بحدوثهما بعد مقتل علي.
- أما القول بأن السمن والعسل ينبت للأئمة[184] فيكذبه أن الحسين وأصحابه قتلوا عطشا ، ولم ينبت لهم السمن ولا العسل .

ورغم تفاهات مزاعم ابن سبأ وشيعته إلا أن العلماء قد ذكروا الزامات وردود كثيرة يمكن أن نكتفي منها بما سبق .

---

[182] انظر: الفرق بين الفرق ص 235

[183] انظر: ابن سبأ حقيقة لا خيال ص 7-24

[184] انظر: الفرق بين الفرق ص 236والفصل في الملل 180/4

2- **الكيسانية** : ظهر هذه الفرقة بعد مقتل علي ﷺ ، وتنسب إلى كيسان وهو مولى لعلي ، وقيل بل هو تلميذ لابن الحنفية[185] و وقيل بل هو المختاره نفسه ويلقب بكيسان[186] .

اشتهر الكيسانية بموالاتهم لابن الحنفية وهو مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب ، لما نقموا على الحسن لتنازله بالخلافة لمعاوية ، وقالوا بأنه وصي علي وأولى بالخلافة من بعده ، ثم قالوا بأن الخلافة بعد علي للحسن ثم للحسين ثم لابن الحنفية .

3- **المختارية** :يبدو أن هناك خلط بين علماء الفرق بين الكيسانية والمختارية فمنهم من يعدها فرقة مستقلة كالشهرستاني ، ومنهم من يعدها هي نفسها كالكيسانية كما فعل القمي في مقالاته[187]

.

والذي يظهر أن الكيسانية كانت فرقة قائمة يتزعمها كيسان ، فلما ظهر المختار الثقفي انضموا اليه .

وتنسب هذه الفرقة إلى المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، ولد في الطائف ، في السنة الأولى للهجرة ، وهو ابن لصحابي جليل[188] .

وقد نشأ المختار ذكيا فطنا مراوغا يضمر النفاق في تشيعه ، وإنما كان يريد مطامح سياسية ،كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية والشهرستاني في الملل والنحل .

وقد خاض المختار معارك طاحنة في العراق خارج منها منتصرا وقتل كثير من قتلة علي ﷺ ، فأعجبته نفسه ، فأخذ يسجه كسجع الكهان ، حتى انفض عنه كثير من أصحابه ، إلى قتل سنة 67 هـ في حربه مع مصعب بن الزبير.

وقد تمسك المختار بموالاة مُحَمَّد بن الحنفية وأظهر ذلك نفاقا ليستدر عواطف الناس فمن هو مُحَمَّد بن الحنفية :

مُحَمَّد بن الحنفية :

---

[185] انظر: الملل والنحل 147/1

[186] انظر: مقالات القمي ص 21

[187] انظر: مقالات القمي ص 21

[188] انظر: ترجمته في البداية والنهاة 289/8 والملل والنحل 147/1

هو محمد بن علي بن أبي طالب، وأمه خوله بنت جعفر وقيل بنت إياس ، ولد سنة 16هـ في خلافة عمر بن الخطاب ، نشأ شجاعا فاضلا عالما ، شارك والده في حروبه وعمره 21 عاما ، ثم تنقل بعد وفاة والده إلى المدينة ثم إلى مكة ثم إلى الطائف ثم إلى الشام إلى أن توفي.

وبعد وفاته اختلفت الشيعة ، فمنهم من قال إنه مات وسيرجع ، ومنهم من قال إنه لازال حيا بجبل رضوى قرب المدينة،وعنده عينان تفيضان عسلا وماء ، وعن يمينه أسد يحرسه وعن يساره نمر يحرسه والملائكة تراجعه الكلام وأنه المهدي المنتظر وأنه سوف يرجع ليملأ الأرض عدلا .

وقد اختلفت الكيسانية في سبب حبس ابن الحنفية ،فمنهم من قال بأن سبب حبسه سر لا يعلمه إلا الله ، ومنهم من قال إنه عقاب من الله ، بسبب خروجه إلى يزيد بعد مقتل الحسين ، وطلبه الأمان ، وقيل عقاب بسبب خروجه من مكه في عهد ابن الزبير وقصد عبد الملك بن مروان[189] .

ولا تدري كيف تبلدت عقول هؤلاء إلى حد أنهم يعتقدون أن الله عاقبه لمجرد زياته للخلفاء والذين كانت لهم أياد مشكورة على بلاد المسلمين .

4- **الزيدية** : بعد مقتل الحسين[190]، ظهرت معظم الفرق التي تزعم التشيع، والتي ازدادات معها اتجاهات الغلو في آل البيت.

وقد اتجهت أنظار الشيعة إلى علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، لكنه كان على ولاء تام لبني أمية، وكان لا يثق بمن يظهر تشيعه وكان يكرمه يزيد بن معاوية ويأكل معه وهو خليفة[191]، وكان أولاده هم زيد بن علي ومحمد بن علي المكنى بأبي جعفر الباقر وعمر بن علي[192].

واختلف الشيعة في زيد ومحمد أيهم أولى بالامامة ، فذهب طائفة منهم إلى إمامة زيد وسموا بالزيدية ومن ثمّ في عقبه ، ويشترطون خروج الإمام بسيفه سواء أكان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، أي اشترطوا أن تكون في أولاد فاطمة كما ترى الجارودية[193].

---

[189] انظر: أخباره في مروج الذهب 3/
85-123 والفرق بين الفرق ص 39-53 وفي مقالات القمي ص 30-31

[190] لمعرفة موقف يزيد من مقتل الحسين، انظر: البداية والنهاية8/191-194

[191] انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص 154 والشيعة والتشيع ص 204 والإمام زيد ص 23.

[192] وتسمية علي بن الحسين ابنه باسم عمر إفحام لكذب الشيعة فيما يدعون من كراهة علي لأبي بكر ولعمر، حيث إنهم يجنبون أولادهم التسمية باسم خيار الصحابة مثل أبي بكر وعمر وعائشة، بل ومثله سمى علي ﷺ أولاده بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ.

وأما الطائفة الأخرى التي ذهبت إلى إمامة أبي جعفر الباقر وهم الاثني عشرية ويحصرون الأئمة في أولاد الحسين[194] .

وقد وصف الزيدية بالاعتدال، غير أن الحق هو أن الزيدية يختلف المتقدمون منهم عن المتأخرين ، فالمتقدمون يؤمنون بخلافة الشيخين ومتبعون لأقوال زيد ، وأما المتأخرين فيعدون رافضة ، ويرفضون إمامة الشيخين ويكفّرون الصحابة[195] ، ويمكن تسليط الضوء على صاحب مذهب الزيدية وهو زيد بن علي بن الحسين فيما يلي :

أ- من هو زيد:

هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة 80 هـ تقريبا ، وتوفي سنة 122هـ .

وقد كان زيد شخصية فذة وذا علم وفقه وتقوى،وقد أخذ عن واصل بن عطاء وأبي حنيفة[196]، وقد كان أبو حنيفة يميل إلى زيد ويتعصب له[197] .

ب- موقفه من بني أمية:

خرج زيد على الأمويين وأشهر السلاح في وجوههم ، منكرا للظلم والجور في نظر بعض المؤرخين ، بينما يرى البعض أن خروجه كان رد فعل لما تصرف معه الخليفة هشام بن عبد الملك بقسوة وعنف في قصة مفادها أنه لم يؤذن له بالدخول على هشام لثلاثة أيام حينما جاء إليه من المدينة ، ولما دخل اتهمه الخليفة بأنه بأيريد الخلافة ، ثم أمره بالخروج ، فقال زيد: أخرج ولا أكون إلا حيث تكره .

فأجمع على الخروج على هشام ، واجتمع له جيش كبير من الرافضة ، ولما تراءت الجيوش جيوش الخلافة وجيش زيد الذي كان معظمه من الرافضة ، رأى الرافضة في جيش زيد أن يلولوا هاربين من ميدان المعركة

---

193 انظر: المقالات والفرق ص18 وفرق الشيعة للنوبختي ص43

194 انظر: الشيعة والتشيع ص204

195 انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية52/1

196 وبعض العلماء كالشهرستاني يصرح بتلمذة زيد لواصل بن عطاء ولأبي حنيفة، ولكن الأستاذ أبو زهرة يرى أنها ليست تلمذة بمعنى الكلمة ، وإنما كان اتصاله بزيد على بيل المذاكرة لتساويهما في العمر، فقد ولدوا سنة 80هـ ، ولكن هذاا لا يمنع أن يتأثر بزيد وأبو حنيفة على سبيل التلمذة ولذا قد قيل"الزيدية معتولة في الأصول حنفية في الفروع"

197 انظر: الإمام زيد ص 72

، ولذلك امتحنوه في ساحة القتال ، إن كان يتبرأ من أبي بكر وعمر أم لا ، فأخبرهما بأنه لا يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرا ، فولوا عنه هاربين ، فقال لهم : رفضتموني ، فسموا بعد ذلك رافضة . ثم حدثت معركة قتل فيها زيد ومن بقي معه ، وأحرقت جثة زيد بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك [198] .

ت- آراء زيد والزيدية :

لزيد آراء انفرد بها عن عموم أقوال الشيعة المتضاربة ومن أبرزها ما يلي:

1 – في السياسة : برى زيد جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وهي ليست وراثة ، وكان يرى تفضيل علي على الصحابة ويرى صحة خلافة أبي بكر وعمر لمصلحة رأوها[199] .

2 – القول بعدم عصمة الأئمة ، أو وصايتهم ، من النبي ﷺ ، كما تقول الإمامية[200].

3 – لم يقل بالمهدي المنتظر ولا الغائب المكتوم[201]، خلافا لكل فرق الشيعة التي ترى كل طائفة منهم أن لها مهديا منتظرا يخرج في نصرتها[202]، وأهل السنة يؤمنون بمجيء مهدي في آخر الزمان على ما بينته الأحاديث[203]– كما يذكر ذلك أبو زهرة ، أما الأشعري فقد نقل أن الزيدية يقولون بتخليد مرتكب الكبيرة في النار[204]، وأهل الحق يقولون أنه تحت المشيئة.

---

[198] انظر: الكامل لابن الأثير 229/5و ص 235 وص 242-247وانظر: مروج الذهب217/3-220 والبداية والنهاية 329/9-330 ومقاتل الطالبيين ص 86-102، ويجب ان ندرك أن المبالغات التي ذكرها المسعودي والأصفهاني صاحب مروج الذهب كانت بناء على تشيعهما.

[199] انظر: الملل والنحل 155/1 والإمام زيد ص 188

[200] انظر: الإمام زيد ص 191، ولكن الزيدية في عصرنا الحاضر يقولون بعصمتهم. انظر: نصيحة الإخوان ص 4

[201] وقد زعمت الجارودية من الزيدية أن مُحَّد بن عبد الله بن الحسن لم يمت، وانه يخرج ويغلب ، وفرقة أخرىززعمت أن مُحَّد بن القاسم صاحب الطالقان حي لم يمت، وأنه يخرج ويغلب، وفرقة قالت مثل ذلك في يحي بن مُحَّد صاحب الكوفة. انظر: مقالات الاسلاميين141/1

[202] انظر: الإمام زيد ص 195

[203] توجد فروق بين أهل السنة والرافضة في المهدي كثيرة ، هذا أحدها ، ومنها تمسة المهدي عند اهل السنة بمحمد بن عبد الله، وعند الرافضة مُحَّد بن الحسن العسكري، ومهدي السنة يحكم بالشريعة الإسلامية ومهدي الرافضة يحكم بشريعة آل داود، ومهدي السنة نعمة عليهم ، ومهدي الرافضة نقمة وبلاء ، ومهدي السنة يتميز بالعدل، ومهدي الرافضة لإعلاء أمرهم فقط، ومهدي السنة يفر إلى البيت الحرام ويتبعه الناس فيبايعونون دون حرص منه عليها، ومهدي

4 – أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين ولكنه لا يخلد في النار، خلافا لرأي المعزلة الذين يقول بالمنزلة بين المنزلتين مع تخليده في النار كما يرى أبو زهره بينما يرى الاشعري أن الزيدية يقولون بالتخليد في النار[205] .

5 - اتفق الزيدية مع أهل السنة في الإيمان بالقضاء والقدر وأنها من الله وأن العبدل له مشيئة واختيار بتمكين من الله وأنه يحاسب على فعله[206] .

6 – لم يقل بالبداء على الله ، وافق أهل السنة في علم الله الأزلي[207] .

7 لم يقل بالرجعة المزعومة عند الشيعة ، التي مرداهم منها أن يرجع من ظلم آل البيت فينتصف آل البيت منهم بعد قيام الجميع من قبورهم قبل يوم القيامة[208] .

هذه أهم آراء زيد إلا أنه مع الأسف لم تستمر الزيدية على تلك الاصول، فانحرفوا إلى مذهب الاثني عشرية في كثير من فرقهم، فقالوا بالرجعة[209]ورفضوا خلافة الشيخين[210] وأبطلوا إمامة الشيخين ، وقالوا بعصمة الأئمة كالجارودية والسليمانية والجريرية والبترية أو الصالحية واليعقوبية ، وكلها من فرق الزيدية ، وأشهرها الجارودية .

5– الرافضة :

أ– معنى الرفض فياللغة والاصطلاح:

الرافضة يخرج بمشيئته على اختلاف بينهم في مكان خرةوجهو ومهجي السنة له مدة محدودة ومهجي الرافضة ليس لحكمه تحديد.إلى أخرالفروق بين أهل السنة والرافضة في قضية المهدي.

[204] انظر: مقالات الاسلاميين149/1 وتاريخ الفرق الإسلامية ص 294

[205] انظر: الإمام زيد ص 204

[206] انظر: الإمام زيد ص 208

[207] انظر: الإمام زيد ص 211 وانظر: مواقف الرافضة منه ، مقالات الإسلاميين 113/1

[208] انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري 144/1 عن فرقة البترية منهم ، وص 145 عن فرقة اليعقوبية حيث ظلوا على رأي زيد في إنكار الرجعة.

[209]كالفرقة الخامسة منهم فإنهم لا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة. انظر: مقالات الاسلاميين145/1

[210]كما هو مذهب الجارودية فيها ومذهب السليمانية في تكفيرهم عثمان ﷺ عند الاحداث التي نقمت عليه، أو البراءة منه كما هو مذهب البترية أصحاب الحسن بن صالح بن حي، والنعيمية أصحاب نعيم بن اليمان حيث تبرأوا من عثمان ومن محارب علي ،وشهدوا عليه بالكفر ، وذكر الأشعري بعد ذكره ما تقدم أن الفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر وعمر.

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك ، كما ذكر ذلك صاحب الصحاح والقاموس المحيط[211].

وفي الاصطلاح : يطلق على طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية رفضت خلافة الشيخين وأكثر الصحابة ، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ وأن خلافة غيرهم باطلة .

ب- سبب تسميتهم الرافضة :

سموا لرفضهم الإمام زيد بن علي بن الحسين[212] ، وقيل سموا لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة الشيخين[213]وقيل لرفضهم الدين، والراجح هو القول الثاني ولامنافاة بين بينه وبين الأول ، فهم قد رفضوا الصحابة وكفروهم ورفضوا كذلك زيد بن علي بن أبي طالب .

ث- **وجود الرافضة قبل اتصالهم بزيد** : وجدت الرافضة قبل اتصالهم بزيد ، متشبعين بأفكار اليهودي ابن سبأ، ولهذا طلبو من زيد موافقتهم ولما لم يجب رفضوه .

ج- أسماؤهم قبلاتصالهم بزيد:

من أسمائهم في تلكالفترة:

الخشبية، وذلك لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون السيوف إلا تحت إمام معصوم.

ومن أسمائهم الإمامية لزعمهم أن الإمامةكانت بالنص لعلي وأولاده من بعده.[214]

ر- فرق الرافضة :

للرافضة فرق كثيرة اختلفت في بعض مسائل الاعتقاد كالمهدي [215]والرجعة[216] وغيرها واتفقت كلها على حول إمامة علي وأحقيته بها وأولاده من بعده .

وأشهر فرقهم المحمدية والاثنا عشرية ، وهذا بعض التفصيل حولها :

---

[211] انظر: الصحاح للجوهري1078/3 والقاموس المحيط ص 344

[212] انظر: البداية والنهاية 330/9

[213] انظر: مقالات الإسلاميين 89/1

[214] انظر: الفصل لابن حزم 185/4 والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص176

[215] لأن مهدي الاثني عشرية غير مهدي المحمدية.

[216] لأن المحمدية تؤمن برجعة كل الأموات قبل يوم القيامة، قال شاعرهم : إلى يوم يثوب الناس فيه ،، إلى دنياهم قبل الحساب.

أولا: المحمدية : يعتقد أتباع هذه الفرقة أن الإمام والمهدي المتنظر هو مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، ويعرف بالنفس الزكية .

ولد مُحَمَّد سنة 93هـ [217]، وقدكان صاحب علم وورع ، خرج من المدينة على الخليفة المنصور ، وكان ذلك بتأثير دعوة المغيرة بن سعيد العجلي الذي أخذ يدعوا الناس إلى الاعتقاد بأن مُحَمَّدج بن الحسن هو المهدي المتظر ، ونشر في الناس أن سيكون له ملكا سيمتد طويلا وسيملأ الأرض عدلا ، فأرسل إليه المنصور جيشا بقيادة عيسى بن موسى فقتل مُحَمَّد بن الحسن في تلك المعركة [218] فلما قتل اكتشف أصحابه زيف دعوى المهدية فيه فرجعوا عن هذا الاعتقاد، وبقيت طائفة على اعتقادهم فيه وزعموا أنه لم يمت وأن المقتول شيطان، وزعموا أن مُحَمَّد بن الحسن لا يزال حيا في جبل حاجر بنجد[219] .

ثانيا : الإثنا عشرية :

تعتبر الاثني عشرية الواجهة الرئيسية للتشيع في عصرنا الحاضر ، وأشهر فرقهم ، وأكثرها انتشارا، ينتمي إليها أكثر الشيعة في العراق وإيران وباكستان وغيرها من البلدان ، حتى زعم الخنميني أن أتباعه يبلغون 200 مليون، وزعم أن نواة التشيع في الإسلام هو الرسول وعلي وخديجة وأن الرسول كان يدعوا إلى التشيع من نقطة الصفر كما تبجح بذلك في كتابه ولاية الفقية[220] .

أ– أسماء الاثني عشرية :

للاثنا عشرية أسماء أطلقت عليهم بعضها من قبل مخالفيم وبعضها من قبلهم هم ، وأبرزها ما يلي :

1- الاثنا عشرية [221] : وذلك لانهم يعتقدون بإمامة اثنا عشر رجلا من آل البيت أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم مُحَمَّد بن الحسن العسكري وهو المهدي المنتظر عندهم[222] ، وهؤلا الاثني عشر هم :

---

[217] انظر: حركة النفس الزكية ص 55

[218] انظر: مقاتل الطالبيين، ص185

[219] انظر: أخبار هذه الفرقة في الفرق بين الفرق ص 240–242 ومقالات الإسلاميين 98/1 والملل والنحل للشهرستاني 177/1

[220] انظر: ولاية الفقيه للخميني ص 136–137

[221] انظر: الفرق الإسلامية ص 80 والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص 181

[222222] انظر: قضية الشيعة ص 4

علي بن أبي طالب ، ثم ابنه الحسن ، ثم ابنه الحسين ، ثم ابنه علي بن الحسين ، ثم ابنه مُحَّد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه علي الرضي ، ثم ابنه مُحَّد الجواد ، ثم ابنه علي الهادي ، ثم ابنه مُحَّد بن الحسن العسكري وهو الغائب المهدي المنتظر عندهم .

ومن الملاحظ أنهم حصروا الإمامة في أولاد الحسين دون أولاد الحسن .

2 – الجعفرية : نسبة إلى جعفر الصادق ، الذي زعموا أنهم بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه ولذلك يحبون هذا الإسم أن يطلق عليهم .–كما ذكر ذلك الخميني في الوصية الإلهية والشيررازي في قضية الشيعة – وهو في الحقيقة بريء منه ، ومانسبوه إليه تخرصات وأكاذيب نسوبها إليه[223] .

3 0 الرافضة : وهذا الإسم غير محبوب لديهم ، وقد سمّو به إما لرفضهم مناصرة علي بن أبي طالب ، وإما لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم ، وإما لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين ، وإما لرفضهم الدين .

ولكن يوجد في بعض روايات الشيعة أن الله سماهم بالرافضة كما أورد ذلك الكليني في كتاب الروضة من كتاب الكافي[224] ، ولعل هذا من قبيل محاولتهم تحسين الإسم بعد اشتهاره عليهم .

4 – الإمامية : وسمّوا بذلك إما نسبة إلى الإمام أي الخليفة، لأنه آكد أصول الدين عندهم ، أو سموا بذلك لانتظارهم إمام آخر، سيظهر في آخر الزمان وهو الغائب المنتظر ، وقيل سموا بذلك لزعمهم أن الرسول ﷺ نصّ على إمامة علي وأولاده من بعده، واختار الشهرستاني هذاالتعريف ونص عليه الشيرازي من علمائهم[225] أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المتظر[226] .

5 – الخاصة : وهذه التسمية هم الذين أطلقوها على أنفسهم ، ويسمون غيرهم من المسلمين العامة وهذا فيه شبه من اليهود[227] .

---

[223] انظر: مؤتمر النجف ص 1-1 من الخطوط العريضة والوصية الإلهية للخميني ص5 وقضية الشيعة ص 3

[224] انظر: الشيعة والتشيع نقلا عن الكافي –كتاب الروضة ص 34

[225] انظر: الملل والنحل 62/1 وقضية الشيعة ص 3

[226] انظر: قضية الشيعة ص 271

[227] انظر: أوجه الشيبه بين اليهود والرافضة في العقيدة ، رسالة ماجستير للجميلي، وانظر كتاب رسالة في الرد على الرافضة.

ب- سبب انتشار مذهب الرافضة وأماكن انتشارهم :

انتشر هذا المذهب انتشارا واسعا وذلك يعود إلى أمرين :

أحدهما : هو جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم الإسلامي.

والثاني : جهل المسلمين بحقيق مذهب الرافضة ، مع انتشار وسائل الرافضة للدعوة إلى مذهبهم .

ح- أهم الأماكن التي انتشر فيها المذهب الاثنا عشري :

انتشر في عدة أماكن أبرزها ما يلي :

1 – ايران : وهو المذهب الرسمي للدولة بعد أن اعلن ذلك الخميني ونكّل بالسنة لردهم عن دينهم.

2 – العراق.

3 – الهند .

4 – باكستان .

5 – في عدة بقاع من العالم ، حيث لهم انتشار متفرق في بعض الدول كسوريا ولبنان ودول الخليج وكثير من البلدان الإسلامية .

خ- فرق الاثني عشرية وانقسامها:

انقسمت الإثني عشريةإلى فرق كثيرة[228]، من أشدها خطرا وتأثيرا ونفوذا في العالم الاسبلامي فرقتان وهما :

1 – الشيخية : وقد يقال لهم الأحمدية[229] ، وتنسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي البحراني ولد بنة 1166هـ وتوفي سنة 1243هـ .

وهو ضال ملحد له كثير من الآراء الكفرية ، عاش في مدن الشيعة الهامة مثبل كربلاء وطوس وغيرها ناشرا أفكاره ومعتقداته .

أهم معتقداته :

---

[228] عند الأشعري 30 فرقة ، وفي مختصر التحفة الاثني عشرية أنهم 39 فرقة .ص21

[229] انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص22

– يزعم أن الله تجلى في علي وأولاده الأحد عشر ، وأنهم مظاهر الله تعالى .

– أرجع وجود الكون إلى وجود الأئمة وأنهم هم العلة الموثرة في الكون.

– يزعم أن المهدي يظهر في كل مكان بصورة رجل مؤمن ثم ادعى نفيه هذا الاعتقاد.

2 – الرشتية : وهي الفرقة الثانية في الإثني عشرية ، وظهرت بعد هلاك الإحسائي،حين قام بالأمر من بعده أحد تلامذته ويسمى كاضم الرشتي[230] سنة 1242هـ ، وقد خالف شيخه في بعض المسائل حيث أنه ادعى أن المهدي روح الأبواب حل فيه، ولكنه زعم أنه آخر إنسان يحلّ فيه حتى يظهر المهدي .

وقد نشر مذهبه في كثير من بلدان المسلمين كإيران وعربستان وأذربيجان والكويت والهند وباكستان. وغيرها، وهناك فرقة أخرى هي محل نظر هل تلحق بالشيعة، او الصوفية وهي النور بخشية نسبة إلى رجل يسمى مُحَمَّد نور بخش القوهستاني المولود سنة795هـ[231].

المبحث السابع:

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للرافضة

للرافضة اعتقادت كثيرة إلا أننا سنقتصر على أهم المسائل الاعتقادية عندهم ، ويمكن إيجازها فيما يلي

1- أن الخلافة مقتصرة في ال البيت ، ومحصورة في علي وذريته .
2- دعواهم عصمة الائمة.
3- تدينهم بالتقية .
4- دعواهم المهدية .
5- دعواهم الرجعة .
6- موقفهم من القرآن الكريم .
7- موقفهم م ن الصحابة .
8- القول بالبداء على الله .

[230] نفس المرجع ص 22

[231] انظر: الشيعة والتشيع ص 307-314

ولفرق الرافضة القديمة آراء اعتقادية ظاهر بطلانهم كالقول بالتناسخ والحلول وغير ذلك ، أما الآراء الاعتقادية عند الرافضة فتفصيلها فيما يلي:

أولا : موقفهم من الخلافة والإمامة :

هذه القضية هي أهم القضايا في الاعتقاد الشيعي، ويدور عليها أكبر الخلاف بين السنة والشيعة الرافضة، والرافضة يعتبرون الإمامة متسلسلة في آل البيت، ويعتقدون أنها ركن من أركان الإسلام، ويعتقدون أنها منصب ثابت من عند الله ، وفيما يلي نستعرض أهم آرائهم فيها :

1 – أن الإمام له صلة بالله كصلة الأنبياء والرسل[232]،كما أورد الكليني في الكافي عن أبي عبد الله أنه قال : " أُشرك بين الأوصياء والرسل في الطاعة "[233] ووردأيضا أن الإمام يوحى إليه كما أورد ذلك الكليني في كتاب الحجة من كتاب الكافي[234]، وأن رتبته لا يصل إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما ذكر ذلك الخميني في ولاية الفقيه[235] .

2 – أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن معرفة الله لا تكفي بدون معرفة الإمام حيث ورد في الكافي عن جعفر الصادق أن معرفة الله هي " تصديق الله وتصديق الرسول وموالاة علي"[236]

3 – حرفوا معاني القرآن الكريم إلى أهوائهم، حيث صرفوا معاني النصوص إلى ما يوافق اعتقاداتهم وأهوائهم زاعمين أنها هي المقصودة،والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

أ – فسروا قول الله تعالى:{وجعلنا له نورا يمشي به في الناس}وأولوا النور هنا أنه هو علي والأئمة من بعده كما جاء في الكافي[237].

---

[232] انظر: باب الاضطرار إلى الحجة ص 128 وباب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة ص 133 وباب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث ص 134 في الكافي ، الجزء الأول.

[233] الكافي 143/1

[234] انظر: الكافي ، كتاب الحجة،134/1 وذكر روايات كثيرة.

[235] انظر: ولاية الفقيه، ص61

[236] الكافي 138/1

[237] الكافي 150/1

ب – فسروا قول الله تعالى : {من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار }سورة النمل آية 89وفسروا الحسنة بأنها معرفة الولاية وحب آل البيت والسيئة إنكار الولاية وبغض آل البيت كما في الكافي[238].

ج – فسروا قول الله تعالى : { ولك قوم هاد }سورة الرعد آية7 أي إمام يهديهم ابتداء من علي وانتهاء بالمهدي ،كما جاء في الكافي، إلى غير ذلك من النصوص التي أولت عن معانيها [239] .

4 –يعتقدون أن الأئمة هم من جمع القرآن كله كما أُنزل[240]، وهذا خلاف قول أهل السنة الذين يعتقدون أن أول من جمع القرآن هو أول خليفة في الإسلام وهو أبو بكر الصديق ﷺ .

5 – أن الأئمة عندهم اسم الله الأعظم[241]، وعندهم مصحف فاطمة والجفر.

والجفر هو وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء من بني إسرائيل ، وتنص روايات أخرى على أن الجفر هو العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، وما كان وما سيكون من الحوادث إلى قيام الساعة.

ومصحف فاطمة هو مثل قرآننا ثلاث مرات مافيه حرف واحد من قراننا ، كما جاء ذلك في كتاب الحجة من كتاب الكافي[242].

6 – أن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم[243]، وأن الإمام إذا مات يغسله الابن الأكبر الذي يليه في الإمامة[244]، ولهم روايات وأساطير في قضية خلق الإمام ، كما جاء ذلك في كتاب الكافي وغيره من أمهات كتبهم [245].

---

238 الكافي 142/1

239 الكافي 148/1

240 انظر: باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام، وأنهم يعلمون علمه كله، الكافي178/1 ، وأورد روايات وأحاديث كثيرة نسبها إلأى أبي عبد الله وأبي جعفر.

241 انظر: الكافي 178/1 باب ما أعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم.

242 انظر: كتاب الحجة من الكافي 185/1 باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ع والأحاديث كما يسمونها ، وهي تحوي كثيرا من الغلو الفاحش.

243 الكافي201/1

244 الكافي 315/1

245 انظر: الكافي318/1

أدلتهم على معتقدهم في الامامة :

استدلوا بكثير من الآيات التي أوّلوها حسب معتقدهم[246] ، واستدلوا بكثير من الاحاديث والروايات المكذوبة المنسبوة إلى الأئمة وغيرهم ، غير أننا نريد أن نذكر أبرز الروايات التي استدلوا بها.

وهي في مجملها روايات واردة في فضائل علي،والواقع أن أهل السنة هم من يذكر فضائل علي ويتباهون بها إلا أنهم يخالفون الرافضة في استدلالهم بها ومن ذلك ما يلي :

أ – قالو بأن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان ، والرسول ﷺ بعث لرفع الخلاف، وقالوا بأن الخليفة من بعده هو علي[247] .

ب–استدلوا بقول النبي ﷺ:" من كنت مولاه فعلي مولاه "[248]

ج – استدلوا بقول النبي ﷺ: "أقضاكم علي "[249]

د – استدلوا بقول النبي ﷺ: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى "[250] وزاد الرافضة في الحديث:"إلا أنه لا ينبغي أن أذهب إلا أنت وخليفتي"[251]

هـ – قالوا بأن الرسول ﷺ لم يؤمّر على علي أحد من الصحابة في الغزوات ، واستنبطوا من ذلك أنه هو الأمير من بعده[252].

و – أن الرسول ﷺ أرسل عليا بسورة الفاتحة ليقرأها على الناس في الحج مع أن الأمير في الحج هو أبابكر الصديق[253].

الرد على أدلتهم:

246246 أدلتهم على ذلك كثيرة جدا ، حيث لفقوا عشرات الأحاديث في إثبات الوصية والخلافة في علي وأولاده كما فعل العامل في كتابه المراجعات . انظر: ص239-246 وانظر: بابا خاصا في الصوية هو المراجعة رقم 68.

247 انظر: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ص 13

248 الكافي 233/1

249 الملل والنحل 163/1

250 صحيح البخاري 71/7

251 انظر: المراجعات ص 162.

252 انظر: الملل والنحل 163/1

253 انظر: أضواء على خطوط محب الدين ص 95

الرد على استدلالهم الأول وهو قولهم أن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان:

أما قولهم أن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان وأن الرسول قد بينه ، فنقولبل نحن نعتقد أيضا أن الرسول ﷺ قد بينه بمقدمات كثيرة ، تدل على استخلاف أبي بكر الصديق ، فمن ذلك ماجاء عن جبير بن مطعم عن أبيه ، في جواب الرسول ﷺ للمرأة التي أمرها أن ترجع إليه فقال : " فإن لم أجدك يارسول الله"فقال ﷺ :" إن لم تجديني فأت أبا بكر "[254]

وفي حديث حذيفة بن اليمان أنه قال قال رسول الله صلى الله لعيه وسلم " اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" [255]

ومن حديث عائشة قالت قال لي رسول الله ﷺ " ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر" [256]

وغير هذه الاحاديث الكثيرة ، التي تعرف منها أحقية أبا بكر الصديق بالخلافة ، وليس هناك أي دليل صريح يدل على خلافة علي، ولو كان هناك دليل لقاله علي ولما كتمه ولما كذبه الناس[257] .

ولذلك قال علي لمن قال له حين وفاته استخلف علينا : " لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم " ولو كانت بالوراثة لبينها علي، ولبين استحقاق الخلافة من بعده لبنيه ولما عصى ذلك الحسن وتنازل لمعاوية حقنا لدماء المسلمين ولما استجاز له ذلك مع علمه بأن منصبه في الإمامة من عند الله[258] .

وقد ثبت أن عليا قال وهو على منبر الكوفة: " أيها الناس إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .. " [259]ولو علم أنه خير منهما لما غش المسلمين ولما كتم ذلك عنهم .

ولم يزعم علي ولا الحسن ولا الحسين ولا أحد من بني هاشم أن لديهم نص من النبي ﷺ على إمامتهم .

الرد على استدلالهم الثانيوهو قول النبي ﷺ: " من كننت مولاه فعلي مولاه "

---

[254] أخرجه البخاري 71/7 ومسلم 249/4

[255] أخرجه الترمذي 609/5

[256] أخرجه مسلم 248/5

[257] انظر: الشيعة والتصحيح للموسوي ص 19-20

[258] انظر: البداية والنهاية325/8

[259] انظر: البداية والنهاية 13/8-14

فنقول : هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة ، بمعنى الإمارة ، فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض في الكتاب والسنة كما قال تعالى: { والمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} .

وورد أيضا أن المؤمنين أولياء الله، وورد أن الله ورسوله والذين امنوا أولياء المؤمنين فقال تعالى :{ إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا }، فليس معنى ذلك الإمارة وأن من كنت وليا يعني أميرا عليه .

وولاية علي ومحبته واجبة على كل مسلم ، وهي من جنس موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ، فكل من كان الرسول ﷺ مولاه فعلي مولاه ولاشك ، وليس المراد من كنت أميره فعلي أميره فالرسول ﷺ لم يدع الإمارة أصلا .

الرد على استدلالهم الثالث وهو قول النبي ﷺ: " أقضاكم علي "

وهذا ليس فيه نص بالخلافة من بعده ، وغاية مافيه أنه شهد له بالقضاء ، ولايلزم أصلا أن يكون الإمام قاضيا ، وليس القضاء من شروط الإمامة مع أهميتها ، وهذا من جنس وصف الرسول ﷺ لأحد الصحابة بما يتميز به كقوله " أفرضكم زيد " وقوله : " أعلمكم بالحلال والحرام معاذ " وقوله : "أقرؤكم أبي" . وهكذا كان من عادة النبي ﷺ أن يبرز الثناء بما يتميز به أصحابه ، ولو أراد بالقضاء الخلافة من بعده لما خشي أحدا ولأظهر ذلك في صريح العبارة .

الرد على استدلالهم الرابع وهو قول النبي ﷺ: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " :

وهذا ليس فيه نص على الإمامة ، كما أن هارون لم يكون هو خليفة مووسى بل مات قبله.

وسبب ورود الحديث يوضح ذلك، وهو أنه قالها في غزوة تبوك، حيث خلف الرسول على المدينة عليا فقال بعض المنافقين:"إنما خلف عليا لأنه يستثقله ولا يحبه "

فلما علم بذلك عليا أخذ سيفه ولحق بالرسول ﷺ وهو نازل بالجرف وأخبره بقول المنافقين، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: " أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى " فبين له أن استخلافه على المدينه ليس لاستثقاله ، بل كما فعل موسى مع هارون حينما ذهب ليمقات ربه، فلم يخلفه بغضا أو استثقالا .

وهناك حكم كثيرة أرادها الرسول ﷺ من استخلاف علي، ومن أبرزها أن الرسول ﷺ سيغيب عن المدينة فترة طويلة لبعد تبوك عنها ، ويحتاج ذلك أن يخلف عليها رجل قوي شجاع يرهب الأعداء ويكبت المنافقين ، وليس هناك أنسب من علي المعروف بشجاعته وبسالته وإقدامه في الحق .

الرد على استدلالهم الخامس : " وهو أن الرسول كان لا يؤمر أحد على علي في الغزوات " :

فجوابه أن يقال : إن ذلك ليس دليلا على استخلافه الخلافة من بعده، فقد كان الرسول يولي من يرى أنه الأنسب للقيام بتلك المهمة ، فقد ولى الرسول من هو دون أبي بكر بإجماع السنة والشيعة ، مثل عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، وولى ابن أم مكتوم على المدينة كما ولى غيره ، فلم يترك ولا ية أبي بكر لكونه ناقصا عن هؤلاء وربما ترك ولايته لإرادة بقاءه عنده في المدينة وحاجته إليه .

وأما إرساله لعلي بسورة براءة فذلك لينبذ إلى المشركين عهدهم، وقد كانت من عادة العرب أن لا ينبذ العقود ولا يحلها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي هو صاحب القرابة ، ولم يكن المقصود رد أبي بكر عن إمارة الحج ، ولذلك كان علي يصلي خلف أبا بكر وهو أمير على الحج[260]

ثانيا : دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء :

يدعي الشيعة عصمة الائمة من كل الذنوب والخطايا والصغائر والكبائر والخطأ والنسيان منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم وجوبا لا شك فيه .

وسبب ذلك : هو أنهم اعتقدوا أن العصمة شرط من شروط الإمامة[261] ثم رفعوا منزلة الأئمة إلى الاعتقاد بأنهم أفضل من الأنبياء، لأنهم نواب أفضل الأنبياء[262]، ثم اعتقدوا أنهم يعلمون الغيب وأن جزءا إلهيا حل فيهم[263] ، واذا كانوا كذلك فمن الطبيعي أن تكون العصمة إحدى خصائصهم .

وهناك سبب ثان، وهو أنهم قالوا إن تنصيب الإمام إنما شرع لأجل جواز الخطأ على غيره ، فلو جاز الخطأ عليه وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر وهكذا ، وهذا يستلزم التسلسل[264] .

وهناك سبب ثالث أيضا وهو أنهم اعتمدوا على النصوص التي تنص على عصمة الأئمة حيث أوردوا كثيرا من الورايات التي تنص على عصمة الأئمة في كتبهم كما جاء عند الكافي من رواية أبي عبد الله أنه

---

260 انظر: منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيميةص87و92-94و221.

261 كما نص على ذلك الطوسي في كتاب الغيبة ص 3-4

262 انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص 284

263 انظر: كتاب الحجة من الكافي ونصه:" با أن الأئمة يعلمون علم ماكان وما يكون وانه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم" 203/1 ، لترى الغلو في الأحاديث التي أوردها وسماها أحاديث أيضا وانظر أيضا بابا نادرا فيه ذكر الغيب 200/1 لترى النصوص على أن الأئمة يعلمون الغيب.

264 انظر: كتاب الغيبة ص 15

قال : " نحن خزان علم الله ونحن تراجمة أمر الله نحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا"[265]

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم :

1 - من أهم الأسباب التي دعت الشيعة إلى القول بعصمة الإمام هو الخوف من وقوع الخطأ منه فيحتاج الناس إلى هاد يستحيل عليه الخطأ –كما سبق- .

وهذا من الباطل ، إذ أنه من المعلوم عند جميع الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد وحفظ الأمن والنظر في مصالح الرعية وغير ذلك ، وليس شرطا بقائه في الحكم ان يكون معصوما .

2- أن الشرع لم يطالبه الإمام إصابة عين الحق في كل مسألة بل طالبه بتحري العدل بقدر الإمكان.

3- أننا لو افترضنا صحة دعواهم فإنه لا يكفي إمام معصوم واحد للناس كلهم مع تباعد البلدان ، فوجب أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس ولا يجوز له أن ينيب أحدا مكانه لجواز الخطأ على غيره وهذا من المستحيلات التي لا تتخيل .

4- أنه ليس لديهم أي دليل صحيح من القران أو السنة أو الإجماع فيهالتصريح بعصمة الائمة .

5- أنه لم تثبت العصمة المطلقة التي اعتقدها الشيعة لأحد من البشر ، بل حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد ورد أن البني ﷺ ينسى أو صدرت منه تصرفات باحتهاده في غير التبليغ عوتب عليها كقوله تعالى : { عفى الله عنك لم أذنت لهم }سورة التوبة آية43 وعوتب على أخذ الفداء من أسارى بدر وغير ذلك ، فكيف تثبت لمن هو دونهم.

6- أن أئمة الشيعة قد صرحوا بنفي العصمة عنهم في كتبهم ، ومع ذلك لايأخذ بها الرافضة ، كقول علي ﷺ عندما علل كره السلام على المراة الشابة بقوله: "أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي من الإثم أكثر مما طلبت من الأجر "[266]

وكان يقول لأصحابه : " لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فإني لست آمن أن أخطيء"[267]

---

[265] انظر: كتاب الحجة من الكافي 149/1

[266] الكافي 473/2 ولو كان علي يدعي العصمة لنفسه –كما يزعم الشيعة – لما خاف الاثم.

وكقول الحسين فيما نسب إليه عندما تنازل الحسن لمعاوية: " لو جُزَّ أنفي أحب إلي مما فعله أخي "[268]فاذا خطَّأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما .

7- أن هذه الدعوى تخالف الطبيعة البشرية المركبة ، فلا يمدح الإنسان لأنه معصوم بل يمدح لأنه جاهد نفسه على فعل الخير كما أخبر الله بذلك في كتابه ولهذا رتب الجزاء على ذلك .

ثالثا : تدينهم بالتقية :

التقية في اللغة هي الحذر ، وهي في مفهوم الشيعة أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن . أي أن معناها الكذب والخداع والمراوغة [269]، ومصداق هذا ماجاء في رواية الكليني عن أبي عبد الله أنه قال " خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية "[270]

والتقية تعتبر عند الشيعة من أسس العقائد عند الرافضة ويتبين ذلك فيما يلي :

1 - أن التقية أساس الدين ، كما جاء في الكافي : " لا إيمان لمن لا تقية له "[271]

2 – أن التقية عز الدين ونشره ذل ، كما جاء عن أبي عبد الله في الكافي أنه قال :" إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله "[272] ، وهذا خلاف أمر الله بنشر الحق والصدوع به كما قال تعالى :{بلغ ما أنزل إليك} وقال : { فاصدع بما تؤمر }

3 – أن ترك التقية مثل ترك الصلاة ، قال القمي " التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة "[273].

4 - أن التقية قائمة إلى أن يخرج قائم آل مُحَّد ، وهو المهدي المنتظر ، كما نص على ذلك القمي [274].

---

[267] مختصر التحفة الاثني عشرية ص 121

[268] نفس المرجع .

[269] انظر: الخطوط العريضة ص7 والشيعة في الميزان ص 86 وتحريف القرآن ص 36.

[270] الكافي 175/2

[271] الكافي 174/2

[272] الكافي176/2

[273] انظر: الشيعة والسنة ص 157 نقلا عن الاعتقادات للقمي.

[274] انظر: الشعة والسنة ص 157

5 - حرفوا معاني القرآن إلى ما يوافق أهوائهم ، كقوله تعالى : { إن أكرمكم عند الله أتقاكم} سورة الحجرات آية13 ففسروها بمعنى أعلمكم بالتقية[275].

6 – يرون أن المعيار الصحيح في معرفة الشيعي من السني هو الاعتقاد بالتقية كما زعموا أن الحسين قال " لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا" [276]

7 – أن ترك التقية من الذنوب التي لا يغفرها الله كالشرك عندهم ، كما رووا ذلك عن علي بن الحسين الإمام الرابع أنه قال : " يغفر الله للمؤمن كل ذنب .. ماخلا ذنبين ترك التقية وترك حقوق الإخوان"[277] .

8 أن أجر عل التقية خصوصا إذا كان في وقت ضعف فإنه يعدل مصافحته لعلي أو الصلاة خلف نبي من الأنبياء[278].

- **أسباب قول الشيعة بالتقية:**

اختلفت كلمة لشيعة في الأساب التي دعتهم إلى الأخذ بالتقية، وفيما يلي نوجز أهم ما قيل:

1- قالت طائفة منهم أن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو الاخوان.

2- وقالت طائفة أن التقية تجب لأنها فضيلة بذاتها، والفضائل يجب التحلي بها[279] .

والصواب أنهم قالوا بها لظروف أحاطت بهم ورأوا أن الخلاص لا يكون إلا بالإتكاء على القية ، منها ما يلي:

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة من المعصومين عندهم ، رغم أنها لا تثبت أصلا[280].

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة ومخالفة عقائد الرافضة .

ت- ومنها أنهم لجؤو إلى التقية كما يراه مخالفوهم وموافقوهم أحيانا من أنهم قالوها من لما وقفوا الجهل علمائهم في الفتيا ، فما يفتونه في مسألة يخالفونه بعد مدة وذلك بسبب نسيانهم لافتيا الأولى ، فاستحسنوا التقية للخروج من ذلك الجهل ، وممن قال بهذا سليمان بن

---

275 الشيعة والسنة ص 158 نقلا عن الاعتقادات للقمي.

276 الشيعة والسنة ص 158 نقلا عن كتاب الاعتاقادات للقمي

277 نفس المرجع.

278 مختصر التحفة الاثني عشرية ص 290

279 انظر: الكافي 175/2 .

280 انظر: الشيعة والتصحيح ص 58

جرير الشعبي وهو من علماء الشيعة فيما يرويه عنه النوبخي وهو من علماء الشيعة أيضا في كتابه فرق الشيعة[281] .

أدلة الشيعة على جواز التقية :

أورد الشيعة أدلة كثيرة على وجوب التقية لوو فيها أعناق النصوص لتوافق معاني ما اعتقدوه في التقية ، فمن ذلك ما ذكره بحر العلوم في تعليقه على فرق الشيعة للنوبختي من الأدلةالكثيرة التي نقلها عن الطبرسي منها ما يلي :

1- قوله تعالى:{ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} سورة البقرة آية 195.
2- قوله تعالى: {فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم} سورة الصافات آية 88.
3- قوله تعالى: {لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين... إلا أن تتقوا منهم تقاة} سورة آل عمران آة 16.
4- قوله تعالى:{إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان} سورة النحل آية106.

الرد على اعتقادهم في التقية:

أولا: الرد على استدلالهم بالآيات على وجوب التقيةفنقول:

إن استدلالهم بالآيات السابقة وغيرها من أمثالها استدلال خاطيء إذ أن معانيها لا تمت لمعان التقية المرادة عندهم بأدنى صلة، والتي هي من الكذب عندهم وإظهار خلاف ما يبطن الإنسان في المأمن والمكره.

ففي الآية الأولى أمر الله بعدم إلقاء النفس إلى التهلكة وليس فيها تجويز التقية في كل وقت.

والآية الثانية فيها تعريض وليس كذب وهو أي أنني سقسم من عبادتكم للأوثان في قوله {إني سقيم}[282].

وأما الآية الثالثة فإن معناها الأمر بالاتقاء من الكفار، والنهي عن موالاة الكفار إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين فيدارون باللسان دون القلب دفعا للضرر عن النفس أو دفعا لخطرهم عن المسلمين كما ذكر ذلك البغوي رحمه الله [283].

[281] انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص 85-87

[282] انظر: تفسير القرآن العظيم 13/4

وفي الاية الرابعة وهي جواز التقية فيمن كان حاله مشرفا على الخطر، واضطر إلى قول الكفر فله ذلك من غير اعتقاد أو عمل به ولا يشرح به صدرا[284] .

ثانيا: أن التقية قلب لحقائق الدين، فالله عز وجل طلب من الناس نشر العلم وبيانه ولم يأمرهم بكتمانه وخداع الناس به ، فقال تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} .

وقد امتثل ذلك الرسول ﷺ فقال: " بلغوا عني ولو آية "

وقال:"نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمع "

وأثنى الله على المبلغين للعلم والمبينين للحق فقال:{الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه}

كما ذم المنافقين والمخادعين فقال: {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانيهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون} وقد أمر الإسلام بالصدق فقال ﷺ:"عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر .."

ثالثا : أن الشيعة رووا في أمها كتبهم ما يناقض قولهم بالتقية فقد رووا أن عليا رضي الله عنه كان يهدد عمر في مواقف كثيرة بل يضربه أحيانا ويهينه ويرفع صوته عليه وأن عليا لو شاءأن يخسف بعمر لخسف به وبغيره ، وهذا دليل على أن عليا ماكان بحاجة إلى التقية .

وروا كذلك أن عليا توقف عن مبايعة أبي بكر ستة أشهر ولو كان يرى وجوب التقية لبايعه وأبطن الخلاف .

رابعا : هناك الزمات تلزم الشيعة بضد ما يعتقدونه في قولهم بالتقية ، حيث رووا أن الأئمة يعلمون ما كان وما سيكون وأنه لا يخفى عليهم شيء ، وإذا كان كذلك فإن التقية في حقهم تعتبر جبنا وخوفا وإلا فلماذا يلجؤون إلى التقية وهم يعلمون الغيب .

ويلزم من ذلك أيضا أن يصفوا الحسين بن علي الإمام الثاني بأنه ليس له كرامة ولا فضل، بل ليس له إيمان لأنه عمل بخلاف التقية مع معاوية .

ويلزم منه أيضا أن يكون المنافقين أفضل الناس لأنهم أكثر الناس مخادعة وإظهارا لخلاف ما يبطنون[285].

---

[283] انظر: تفسير البغوي292/1

[284] انظر: جامع البيان182/14

رابعا : المهدية والرجعة عند الشيعة :

من هو المهدي ؟ :

يؤمن أهل السنة بالمهدي الذي صحت به الأحاديث ، ولكنه غير مهدي الشيعة الذين جعلوا كل تعلقهم به ، واخباره عندهم اكثر من ان تذكر وقد أفرده الطوسي بكتابه المسمى "كتاب الغيبة" وليس للشيعة مهدي واحد وإنما لكل فرقة مهديها الذي تنتظره ،ومهدي الاثنا عشرية هو مُحَمَّد بن الحسن العسكري.

يزعم الرافضة أن المهدي في سرداب بسامراء، وأن فيه دابة ترابط دائما على بابه ليركبها إذا خرج ، ويقف جماعة عليه ينادون : يامولانا اخرج ، ويشهرون السلاح ، ولا يصلون خشية أن يخرج وهم منشغلون عنه ، ويتوجهون إلى المشرق في أماكن كثيرة وأزمنة متعددة كالعشر الأواخر من رمضان وينادون بأعلى الأصوات منادين بخروج المهدي .

فقد تقرر في عقائد الرافضة كما يذكر الكليني " أن الأرض لا تخلوا من إمام حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوما"[286].

ويعتقدون أنه لا يجوز السؤال عن اسمه بأي حال، ويكتفى بلقب القائم لأنه يقوم بعد الموت[287] ، ويعتقدون أنه يحج فيكل سنة ماشيا على رجليه ولا يرى عليه أثر السفر[288] .

وقد سمى الكليني أمة مُحَمَّد ﷺ أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانها بغيبة المهدي[289] .

---

[285] انظر: لمزيد من التفصي : مختصر التحفة الاثني عشرية حيث ذكر أشياء يضيق المجال عن ذكرها، ص288-296

[286] انظر: للمزيد من اخباره: كتاب الغيبة للطوسي وكتاب الحجة من الكافي ص 264-277 في الأبواب التالية: باب تسمية من رآه (ع) وباب النهي عن الاسم(ع) وباب نادر في حال الغيبة، وانظر كتاب الغيبة ص 300 ،باب كراهية التوقيت إلأى ص 303 باب التمحيص والامتحان. وباب مولد الصاحب(ع) الجزء الثاني، ص 264-268. وانظر: من كتب السلف منهاج السنة 12/1-29 ومختصر التحفة الاثني عشرية ص200 والشيعة والتشيع ص 351-388.

[287] انظر: الغيبة ص260

[288] انظر: الكافي 268/2

[289] انظر: الكافي 272/2

ويرون أن غيبة المهدي كان من المفترض أن لا تتأخر كثيرا، فقد كانت ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين[290]، ويرون أنه قبل ظهوره ستخرج علامات منها أنه تقع الفتن بين السنة والشيعة ويسمي بعضهم بعضا كذابين ويتفل بعضهم في وجوه بعض[291].

ويعتقدون أن المهدي حينما خرج من بطن أمه كان يقرأ القران بصوت مسموع وكان ساجدا ثم أمره والده فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلى قول الله : { ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوراثين }سورة القصص آية5.

ولهم أخبار كثيرة ذكرها الطوسي في كلام المهدي وأفعاله يطول ذكرها وهو حديث عهد بالولادة منها أن روح القدس طار به مرة ليعلمه العلم ، وأنه كان ينمو في السنة الواحدة مثل نمو سنتين من غيره وكثير من الخرافات تركناها خشية الإطالة[292]

ويعتقدون أن المهدي قد شوهد وهو يطوف حول الكعبة، وله يوما واحدا يلتقي فيه بخواصه وهو لا يحب أن يساكن أحدا من أمة محمد وله وكلاء وسماسرة يوقعون عنه عدهم الطوسي 13 رجلا وهم ممدوحون[293].

ومع كل تلك الاعتقدات النتي انتهجها الشيعة في تهويل أمر المهدي وسبك القصص والأساطير حوله إلا أن الحقيقة هي أنه شخصية خيالية لا وجود لها إلا في أذهان الشيعة كما هو الصحيح عند أكثر العلماء ونتيجة لذلك وقعوا في كثير من التناقضات[294]يمكن إيجاز آرائهم فيه فيما يلي :

1- اختلف الشيعة في وجوده وولادته:

أ- اختلافهم في وجوده:

---

[290] انظر: الكافي273/2

[291] انظر: الكافي275/2

[292] انظر: الغيبة لطوسي ص139

[293] انظر: الغيبة ص 199-241.والكافي431/2

[294] لأنهم يزعمون أن له غيبتين : إحداهما: يوم وفاة أبيه وهي الصغرى، ومدتها 68أو 69 سنة، وثانيتهما: الكبرى: وتبدأ من وفاة أبي الحسين علي بن محمد السمري آخر السفراء الأربعة المزعومين.

فبعضهم يرى أن أباه قد مات وهو الحسن العسكري ولم يخلف ابنا ، واستدلوا بعدة وقائع منها أن أخوه قد ورث كل تركته ولو كان له ابنا لتبين ذلك، ومنها أنه قد استُبرا أرحام جواريه وزوجاته من قبل الخليفة العباسي بعد وفاته ولم تكن إحداهن حامل .

وبعضهم يرى ثبوت ولادته ،وهؤلاء اختلفوا اختلافا كثيرا ، فالنوبختي يزعم أنها سنة 255هـ . والكليني يرى أنها سنة 256هـ[295] مع اعترافه بأن المهدي خفي الولادة والمنشأ[296] ، وبعضهم يرى أنه ولد بعد وفاة والده بثمانية أشهر ، وبعضهم يرى أنه ولد قبل وفاة والده بسنين ، وقال بعضهم بخمس سنوات .

ب- اختلافهم في تحديد سنة ولادته واسم أمه :

فمنهم من يرى أنها سنة 256 هـ ، ومنهم من يرى أنها سنة 258هـ وبعضهم يرى أنها سنة 255 هـ .

واختلفوا في اسم أمه فمنهم من يقول أنها نرجس ومنهم من يقول أنها صقيل ومنهم من يقول أنها حكيمة ومنهم من يقول أنها سوسن[297]، وغير ذلك من الأقاويل والاختلافات الكثيرة لتي تدل على بطلان وجود المهدي كحقيقة .

ث- ختلافهم في مكان وجود المهدي :

اختلف الشيعة في المكان الذي اختفى فيه مهديهم مُحَمَّد بن الحسن العسكري على أقوال كثيرة، ولعل كل أهل مكان معين قربوه موضع اختفائه منهم ، فمنهم من قال في سامراء[298]، ومنهم من قال في المدينة، ومنهم من قال في مكة[299]، ومنهم من قال بذات طوى[300]،ومنهم من من قال في اليمن بوادي

---

[295] انظر: الكافي " باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار"

[296] انظر: الكافي 277/2

[297] انظر: لأخبار هذا المهدي في كتب الشيعة:الغيبة للطوسي حيث جاء بكل ما عندهم من الخرافات والأقاويل في إثباته ، وانظر أضا: فرق الشيعة للنوبختيوتعليق بحر العلوم عليها من ص 115-132 ، وانظر الفصل لابن حزام181/4-193 والشيعة والتشيع ص 273-282

[298] وهذا أشهر أقوالهم في كتبهم . انظر: رواية مُحَمَّد بن يعقوب بإسناه عن ضوء بن علي العجلي عن رجل من أهل فارس . كتاب الغيبة ص 140-146

[299]كتاب الغيبة 151/2 والكافي 180/1

[300] انظر: كشف الأستار للطبرسي ص2145 نقلا عن الشيعة والتشيع ص 354

شمروخ[301] ، ومنهم من قال بالطائف[302] ، وغير ذلك من الأقوال التي توحي ببطلان ادعاءاتهم مع تباعد تلك البلدان فيما بينها .

ج- اختلافهم في رجعة المهدي ومتى تتم ؟

يؤمن سائر العقلاء أنه لا رجعة لأحد بعد موته ليعيش في الدنيا ، ويؤمن المسلمون برجعة واحدة تكون يوم القيامة حين يجمع الله الخلائق لفصل القضاء كما هو معلوم من الدين بالضرورة .

أما الشيعة الرافضة فقد قرروا في عقائدهم أن النبي ﷺ وأهل بيته علي والحسن والحسين وبقية الأئمة سيرجعون قبل يوم القيامة ، وسيرجع في المقابل أبوز بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد بن ذي الجوشن وكل من آذى أهل البيت ، وذلك حتى يت عقابهم ويقتلوا من قبل النبي وأهل البيت .

ولهم في أخبار الرجعة أحاديث غريبة وخرافات يمجها العقل السليم، منها ما يلي :

- أن أبا بكر وعمر يصلبان في زمن المهدي حيث يصلبهما في شجرة خضرة فتيبس، وفي رواية في شجرة يابسة فتخضر .
- ومنها أن المهدي يخرج يوم عاشوراء يوم السبت بين الركن والمقام، فتسير إليه شيعته فمنهم من يطير ومن من يمشي كالسحاب ، وتكون الملائكة حوله صافين،ومعه جميع الكتب المقدسة التي أنزلها الله على أنبيائه كلهم ، ثم ينكل ويعذب مخالفيه ويمتد ملكه ملكا عظيما .
- ومنها أن أول أعمال المهدي هو أن يبدأ بقتل قريش ويصلبهم أحياء وأمواتا ويعمل فيهم السيف ولا يستتيب منهم أحدا ويستمر في قتله ثمانية أشهر لا يضع السيف، وأنه يقطع يد بني شيبة ويعلقها على الكعبة ويقتل سبعين قبيلة من قبائل العرب .
- ومنها أنه يقيم الحد على أم المؤنين عائشة،وزعموا أنه يبدأ حكما جديدا وهذا الحكم فسروه بأنه على حكم سليمان بن داوود ، وهذا يعني أنه لا يحكم بالإسلام ، بل يحكم بشريعة دواد ، ومن المعلوم أن شريعة داود كانت هي اليهودية .
- ومنها أنهم يعتقدون أن الرسول ﷺ حينما سيرجع وسيكون جنديا يقاتل في جيش علي حيث يبعث كذلك هو وسائر الأنبياء ، ويعتقدون أن دابة الأرض المذكورة في القرآن هي علي بن أبي طالب .

---

[301] انظر: الأنوار النعاماني للجزائري 65/2 نقلا عن الشيعة والتشيع ص 354

[302] انظر: الغيبة ص 159

الرد على اعتقادت الشيعة في الرجعة :

هناك الكثير من تلك الخرافات في اعتقاداتهم تجاه المهدي- ضربنا عنها صفحا- رغم مخالفتها الصريحة للكتاب والسنة ، فقد نص القران على أنه لا رجعة في الدنيا فقال تعالى: {حتى إذا جاء أحدهم المكوت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}

وأما قولهم أن المهدي سيحاسب الناس فإن الإسلام صرح بأن الله عز وجل هو من يتولى الحساب لجيمع الخلائق، أما البشر فقال عنهم فقال الله عنهم: {إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا }

أما قولهم بأن الرسول ﷺ يقاتل بين يدي علي فهذا استخفاف بعظم حق الرسول ﷺ وإهانة أيضا لعلي بأنه دابة الأرض .

وأما زعمهم بصلب خيار الصحابة كأبي بكر وعمر فهو محض افتراء وكذب، فكيف يعقل أن يجازيا بقتل الحسين وليس لهم صلة بذلك وكيف يجازيهم الله أمام أقوام لم يشهدوا ذنبهما ولم يعرفوا له سببا ومما يناقض قول الشيعة بالرجعة ما يلي :

أ- أنهم لو رجعوا إلى الدنيا قبل يوم القيامة لكان أمرهم في الآخرة إلى الجنة ، لأن الله عدل ، ومن الظلم أن يعذبوا مرة أخرى ، وهذا بخلاف ما يعتقده الإمامية من أن من آذى آل البيت عذابه مستمر في جهنم ، ولماذ لم يعذبهم وقت وقوع الجريمة ، وأخرهم الى آخر الزمان ؟ .

ب- أن مزاعم الرافضة في حق الخلفاء الثلاثة من اغتصاب الخلافة من البيت لاتصل إلى الكفر، وليس فيها كفر بواح، بل أقصى ما يصل إليه هو الفسق والفسق لايوجب الرجعة في الدنيا ، ولو كان الأمر يتسوجب الرجعة لرجع الكفرة والمشركين الذين ادعوا الألوهية مع الله كفرعون ونمرود وغيرهم .

ح- أن الرجعة للنبي وسائر الأئمة وإخراجهم من قبورهم لحضور عقاب من آذى آل البيت فيه تعذيب لهم ، وذلك لأنهم سوف يقاسون سكرات الموت مرة أخرى ، والموت أشد الآم الدنيا .

خ- أنه لو قلنا برجعة من آذى آل البيت ثم رأوا وقوف النبي ﷺ وآل البيت في مواجهتهم لرجعوا وتابوا وعلموا أنهم أخطئوا والتوبة مقبولة في الدنيا فكيف يعذبوا في الآخرة- على حسب معتقد الرافضة- ؟ .

إلى غير هذه الردود التي تدحض معتقدهم الباطل في المهدية والرجعة .

2- متى يخرج المهدي :

وقَّت بعض الشيعة لخروج المهدي زمنا معينا ، وذلك بعد وفاة الحسن العسكري بزمن ثم لما رأوا أنه لم يخرج واستحالة أن يخرج جعلوا لخروجه زمنا غير مسمى .

فقد ورد عند الكليني أنه سيخرج بعد سبعين سنة ثم مددت هذه المدة حين أفشى الشيعة سره إلى أجل غير مسمى ، وذلك بعد قتل احسين ، فقد روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر أن الله تبارك وتعالى كانقد وقَّت هذا الأمر في السبعين فلما أن قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الارض فأخره إلى أربعين ومائة فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل له بعد ذلك وقتا"[303].

والواقع أنه لن يخرج المهدي حتى تخرج هذه العقيدة من أذهانهم ومعتقداتهم التي صنعها علماؤهم لمقاصد ظاهرة وباطنه .

3- سبب إصرار الشيعة على القول بوجود مُحَّد بن الحسن العسكري :

هناك أسباب معينة أدت إلى إصرار الشيعة بالقول بوجود ابن للإمام الحادي عشر، وهو الحسن العسكري ، ومكابرتهم في ذلك رغم كل البراهين التي تشير إلى عدم وجوده أو ولادته ، وذلك لوضعهم شروط في حقيقتها تقوُّل على الله وحكم بالغيب أرغمتهم على اختراع ابن للإمام الحادي عشر ، حتى لا تسفط عقيدة الإمامة من أساسها فتختل موازين الشيعة في الإيمان بها ، ومنها ما يلي :

2 – قولهم أن الإمام لا يموت حتى يخلف في ذريته من يخلفه ليتولى الإمامة حتما لازما.

2 – أن الإمامة لا تعود في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا بل في الأعقاب فقط[304] .

---

[303] كتاب الحجة من الكافي 300/1

[304] انظر: كتاب الغيبة ص 133 وكتاب الحجة من الكافي 128/1-459 .

4- ان الإمام لا يغسله إلا الابن الأكبر له ، رغم أنه باتفاقهم أن الحسن العسكري عندما مات لم يكن له ابن كبير، وهذا من ضمن اعتقاداتهم الخرافية في ولادة الأئمة التي منها أن الإمام يولد مطهرا مختونا ويقع من بطن أمه على الأرض على راحتيه رافعا صوته بالشهادة ولا يجنب ولا ينام قلبه ولا يتثاءب ولا يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ونجوه كرائحة المسك والأرض وكلت بستره وابتلاعه إلى غير ذلك من الأوصاف الخرافي[305]ة .

4 – هناك سبب مهم أدى إلى قولهم بذلك وهو ما مرَّ على الشيعة من ضروف سياسية واجتماعية ودينية ذاقوا فيها مرارة الحرمان من عدم إقامة دولة لهم تنظر إليهم بالعين التي يريدونها وذلك عندا غلبتهم الدول الإسلامية المتعاقبة بدأ من إخضاع الدولة الأموية لهم حيث بدأوا في حبك المخططات الشريرة من أجل اجتماع كلمة الشيعة وعدم فرقهم فكانت عقيدة الرجعة للمهدي إحدى تلك النتائج ، وأبرز ما يميز المنتظر عندهم أنه ليس من العرب بل هو فارسي يحمل في طياته حقدا دفينا على العرب وإلافلماذا يقتل قريش ويقتل سبعين قبيلة من العرب ويعمل لسيف في رقاب العرب كما هو مقرر عندهم، ويتضح هذا في الرواية التي يرويها لطوسي عن أبي عبد الله : "اتقوا العرب فإن لهم خبر سوء أما إنه لا يخرج مع القائم منهم احد"[306].

خامسا: موقفهم من القرآن الكريم:

القرءان الكريم كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محفوظ في الصدور ومحفور في السطور، قال تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} سورة الحجر آية9

نزل به جبريل الأمين على قلب النبي مُحَمَّد سيد المرسلين وبلغنا رسوله كما تبلغه عن الله تعالى،هذا هو اعتقاد المسلمين في القران الكريم.

---

[305] ذكرها عنه إحسان إلهي ظهير في كتابه الشيعة والتشيع ص 286 نقلا عن متاب القمي ص 527.وقد ذكر الكليني في الكافي كثيرا من تلك الخرافات في كتاب الحجة مثل : با أن الحجة لا تقوم على خلقه إلا بإمام ي 135 وباب أن الأئمة هم أركان الأرض ص 152 وباب عرض الأعمال على النبي والأئمة ص 170 وباب أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.وباب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه ص 181 وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ص 181 وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم ص 202 وباب أن الأئمة يعلمون علم ماكان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله وسلامه عليهم ص203 وباب أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة ص 315 ، وأبواب أخرى كثيرة يطول المقام بذكرها حشيت بمبالغات وخرافات نسبوها إلى الأئمة .

[306] كتاب الغيبة للطوسي ص 284

أما الشيعة الرافضة فلم يسلم القرآن من تنقصهم واعتقاداتهمالباطلة فيه، فقد أعلنوا أن القرآن محرَّف كما نص على ذلك علماؤهم الكبار كالكليني والقمي والمفيد والأردبيلي والطبرسي والكاشي والمجلسي والجزائري والكازراني وغيرهم حيث صرحوا بكل وضوح أن في القران الكريم نقصا وتحريفا في الآيات التي يُذكر فيها علي بن أبي طالب أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش.

ويعتقدون ان المصحف الصحيح هو مصحف فاطمة وفيه أضعاف المصحف العثماني الذي بأيديالمسلمين.

والشواهد والأمثلة على ذلك كثيرة جدا في نصوصهم على تحريف القرآن، منها ما كتبه الميرزا حسين مُحَّد تقي النوري الطبرسي الذي ألف كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب،وعندما ألَّفه سنة 1292هـ قامت ضجة كبيرة حوله خصوصا عندما أبدى بعض عقلائهم بقاء اعتقاد التحريف سرا مبثوثا في كتبهم لا أن يجمع في كتاب معين حتى تقام به الحجة عليهم[307] .

ومن الامثلة التي يذكر الشيعة أنها حرفت من القرآن هي سورة الولاية حيث زعموا أنها نقصت من القرآن الكريم والتي منها قولهم:(يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم الصراط المستقيم نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم والذين إذا تليت علهيم آياتنا كانوا بئاياتنا مكذبين إن لهم فيجهنم مقاما عظيما إذا نودي بهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين ..) إلى آخر النصوص التي تمتليء ركاكة وسذاجة واضحة.

وقد أورد الكليني في كتابه الكافي كثير من النصوص التي زعم أنها محرفة منها قولهم:(ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما) ثم قال هكذا نزلت .

ومنها قولهم:(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في مُحَّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي ولم نجد له عزما) وقوله:(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية علي ليس له دافع) وغيرها المئات من النصوص التي زعموا تحريفها –تركناها خشية الإطالة[308]– .

---

[307] انظر: الخطوط العريضة ص 9-10

[308] انظر: الكافي1/341-356 و2/453

سادسا:موقفهم من الصحابة:

الصحابة هم خير الأمة بعد نبيها وحملة الدين وأمناء الملة، نقلوا إلى من خلفهم أمور دينهم وعلموهم سنة نبيهم ﷺ وأرضاهم.

أما الشيعة فقد هلكوا في الصحابة ﷺ وكفروهم وحكموا بردة خيارهم، بل وجعلوا طعنهم ولعنهم قربة إلى الله صباحا ومساء، بل وصل كرههم للصحابة أن كرهوا لفظ العشرة الذي يذكرهم بالعشرة المبشرين بالجنة، ولا يخلوا كتاب من كتب الشيعة على كثرتها وبطلانها من سب وشتم للخلفاء الراشدين وسائر الصحابة إلا من استثنوهم.

وقد عبروا عن أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهماوابنتيهما، وأحيانا يعبرون عن أبي بكر بالجبت وعمر بالطاغوت، وهذا الطعن واللمز في شأن سائر الصحابة ﷺ.

أما الكليني فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة، فلَمز كثير من الصحابة في تأويله للآيات القرآنية كتأويله لقوله تعالى:{لتركبن طبقا عن طبق} سورة الانشقاق آية19، وقوله تعالى: { إن الذين آمنو ثم كفرو ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا}سورة النساء آية137،وذكر الكليني أن المقصود بها فلان وفلان وفلان ويقصد أبو بكر وعمر وعثمان ، وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي أولها للطعن في الخلفاء الراشدين[309] .

وقد بلغ حقدهن وكراهيتهم لأم المؤمنين عائشة ﷺ أن يتهمها الكليني في دينها وعرضها وعفتها حين يفتعل كثير من الروايات التي طعنت فيها ، كالرويات التي ألفها ونسبها للحسين ، منها أن الحسين قال لعائشة: " قديما هتكت حجاب رسول الله أنت وأبوك وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله قربه" [310]

---

[309] انظر: الكافي343/1

[310] انظر: الكافي2/240-241

ومنها أن الحسين قال لها أيضا: " وقد أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه " وغير ذلك من الروايات التي اخترعها وألصقها بالحسين وغيره من الأئمة[311] .

وقد اختلق إمامهم العاملي كثير من الرويات التي تطعن في الصحابة في كتابه المراجعات الذي ذكر فيه أنه منصف يقول الحق، لكنه جاء بالطوام والدواهي بما افترى فيه من كلام ووقيعة في الصحابة عموما، والخلفاء الثلاثة خصوصا.

فقد ذكر أن أبا بكر وعمر يحسدون عليا، لأن الرسول ﷺ زوّجه فاطمة وأنهما خطباها ولم يزوجهما الرسول، وكأنه نسي أو تناسى أن الرسول قد زوج ابنتين له لعثنما بن عفارن رضي الله عنه، وزعم أن الخلفاء الثلاثة لايمتثلون لأوامر رسول الله ﷺ، وأنه كان دائم الدعاء عليهم.

ولم يترك حتى أمهات المؤمنين من طعنه وقبح كلامه، فقد زعم أن قرن الشيطان يخرج من بيت عائشة، وأن الفتن والشرور كلها تنبعث منه، وكأنه تناسى أن الرسول صلى الله عليهوسلم كان دائم الخروج منه للناس[312].

إلى غير ذلك من الأكاذيب التي امتلات بها أمهات كتبهم في الطعن في الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم وأرضاهم.

شهادة المنصفين :

لقد أنصف أصحاب النبي ﷺ كثير من المنصفين من غير المسلمين ، في الوقت الذي وقع الشيعة في اظلم في حق الصحابة مع دعواهم الإسلام، يقول الكاتب الإنجليزي المشهور كاريل في إعجابه بالقران :"علينا من المبدأ أن نقرر أن مُحَّمدا كان واحدا من أعلام التاريخ العظماء.. إلى أن يقول "إن إخلاص خلفائه لدعوته وإيمانهم بهم .. قد جعلهم يعملون على تعميم الدعوة الرحيمة"

وتقول الدكتورة لورا فيتشا فاليري الكاتبة الإيطالية:" أما الخلفاء الذين خلفوا مُحَّمدا في حكم الدولة الإسلامية .. فقد صاروا على سننه التي سنها لهم وحلموا راية الإسلام"

وهناك عشرات الأمثلة لأقوال هؤلاء المنصفين تركناها خشية الإطالة [313].

---

[311] نفس المرجع.

[312] انظر: المراجعات للعاملي ص 255-300

سابعا:قولهم بالبداء على الله:

أ- تعريفالبداء:

البداء معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: {وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحستبون}سورة الزمر آية 47.

ومعناه أيضا حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما قال تعالى:{ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين} سورة يوسف آية 35.

وله معان أخرى كلها لا تخرج عن مفهوم واحد، وهو تتجدد العلم بتجدد الأحداث.

وهذه المعاني تستبلزم سبق الجهل وحدوث العلم تبعا لحدوث المستجدات لقصور العقل عن إدراك المغيبات.

وهذه المعاني لا محذور فيها إذا أطلقت على الإنسان أما إذا أطلقت على الله فلا شك أنها كفر تخرج صاحبها من الملة، ذلك أن الله عالم الغيب والشهادة، يعلم السر وأخفى ويعلم ماظهر وما لم يظهر، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

وهذه العقيدة رغم انحرافها إلا أن كل كتب الشيعة تؤكد وجوب اعتقاد هذه الفكر بل تجعلها من لوازمالإيمان.

أما الأشعري فقد قسمهم إلى ثلا فرق، فمنهم من يقول بالبداء على الله، ومنهم من يقول بعدم البداء، ومنهم من يفرق بين ما اطَّلع عليه العباد ومالم يطلعوا عليه، فلم يجوّز في الأول وجوز في الثاني[314] .

ب- أدلتهم على القول بالبداء:

لا تكاد تحصر أدلة الشيعة على عقيدة البداء، وذلك لتسمكهم الشديد بها.

---

[313] لاارجع إلى كتاب الإسام وارسول في نظر منصفي الشرق والغرب ، القسم الثاني، لترى ما يزيدك إيمانا واتزازا بدينك.

[314] انظر: مقالات الإسلاميين 113/1

فمن تلك الأدلة والرويات الكثيرة التي توضح بجلاء مقدار تعلقعهم بعقيدة البداء، والتي نسبوا معظمها إلى الأئمةفمن ذلك الروايات التي ذكرهاالكليني في الكافي ونسبها إلى الأئمة كالرواية التي تقول: " ما تعبد الله بشيء مثل البداء ".

وكذلك قوله: " ماعظم الله بشيء مثل البداء ".

وكذلككقوله: " ما بعث الله نبيا الا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء" وغير ذلك من الرويات الكثيرة التي تعظم البداء وتشرعه[315] . ومعلوم ان نسبة الجهل الى الله تعالى كفر وردة -كما تقدم-.

ج-أولمن قال بالبداء :

يبدو أن أول من ادعى البداء على الله تعالى هم اليهود، حيث قالوا: إن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن يعلم هل سيكون فيهم خير أو شر، وهل ستكون أفعالهم حسنة أم قبيحة فقد جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس من التوراة : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر على الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه جدا، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته لأني حزنت أني عملتهم "[316].

وهذا النص وأضرابه يفيد أن الله قد بدت له بعض الأمور التي لم يكن يعلمها فحزن حزون حزنا شديدا حين رأى معاصي البشر.

فالبداء عقيدة يهودية مدونة في كتبهم المقدسة، ونفس هذه الأفكار مدونة عند الشيعة في كتبهم .

وأشد من تزعم هذه العقيدة من الشيعة هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، ويروون أن سبب ادعاء المختار القول بالبداء هو أنه قد تكهن وأخذ يسجع كسجع الكهان وادعى النبوة ونزول الوحي عليه، وكان يعد أتباعه بالنصر، فإذا نُصروا فرح بذلك وادعى صدق نبوته، وإذا هُزموا أرجع ذلك إلى البداء[317].

وكان ذلك عندما هزم جيشه من قبل جيش مصعب بن الزبير والي العراق آنذاك ، واستدل بالنسخ في نصوص القرآن على صحة أقواله[318] ، ومعلوم أن النسخ تدرج في التشريع ورحمة والبداء جهل .

[315] انظر: الكافي1/111-115 والغيبة للطوسي ص 263 وفرق الشيعة للنوبختي ص 85.

[316] الكتاب المقدس-العهد القديم ، الاصحاح السادس.

[317] انظر: الملل والنحل للشهرستاني1/149

[318] انظر: كتاب الغيبة ص 264

وبهذا أصبح الشيعة عارا على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل بسبب ما اعتقدوه من مثل هذه الضلالات[319].

فالقران قد دل على علم الله الأزلي والأبدي فقال تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو} سورة الأنعام آية 59 وقالتعالى: {لا يضل ربي ولا ينسى} سورة طه آية 52وقال تعالى: {عالم الغيب والشهادة} سورة الحشر آية 22، وغيرها من النصوص في الكتاب والسنة التي تصف الله بالعلم الأزلي والأبدي وما خفي وما ظهر وما أُسر وما أُعلن.

د- الشيعة في العصر الحاضبر وهل تغير سلفهم عن خلفهم:

تعمد علماء الشيعةمغالطات الناس قديما وحديثا في إبداء نظرتهم إلى المخالفين من سائر الناس عموما، ومن أهل السنة خصوصا، متخذين من التقية منفذا لكل ما يريدونهز

وقد أبدى بعضهم في الظاهر تقاربا مع أهل السنة فانخدع بذلك الكثير، ولكن تبين بعد ذلك لهم أن الشيعة سلفا وخلفا لم تتغير مواقفهم قدر أنملة ، ذلك أن دينهم قام من الأساس على أساس التقية والكذب – كما تصرح بذلك كتبهم الموثوقة عندهم – .

فلا يمكن أن يحصل تقارب بين السنة والشيعة ما داموا يؤمنون بتلك العقائد التي ترفع أئمتهم إلى مناص الألوهية ، وما داموت يؤمنون بالبشارة لليهود بعودة الحكم والتمكين لهم في الأرض حينما يظهر الأئمة ،كما جاء في الكافي بأن "الأئمة إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل دود ولا يسألون البينة " وهذا يعني بشارة الشيعة لليهود بعودة حكمهم على الأرض ، تعضده سيوف الأئمة .

وكذلك موقف الغلاة منهم بتحريف القرآن واعتقادهم النقص فيه وعدم كماله وموقفهم من الصحابة وما ااعتقدوا فيهم من الردة والكفر ،كل ذلك يعد مانعا بينهم وبين تقارب أهل السنة.

ولهذا حذر علماء الإسلام منذ القدم من هؤلاء الشيعة، يقول الشافعي : " ما رأيت قوما في أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة "[320].

ويقول شريك القاضي : " أحمل عن كل من لقيت إلاالرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا"[321].

---

[319] انظر: كتاب صب العذاب على من سب الأصحاب ضمن رسالة علمية تحقيق ابن أبي شعيب ، وانظر: مختصر منهاج السنة 173/1

[320] اختصار علوم الحديث لابن كثير ص 109 نقلا عن الشيعة في الميزان ص 116

وبمثل هذا الكلام قال الإمام مالك وابن المبارك وأبو زرعه والرازي والطحاوي وأبو حنيفة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم .

وهو ما حذر منه أيضا علماء الإسلام في العصور المتاخرة ، وبينوا كفرهم وأباطيلهم ، كالألوسي ومحب الدين الخطيب وبهجت البيطار ومُحَمَّد رشيد رضا والهلالي والسباعي والمودودي وابن باز والشيخ الأمين وغيرهم من العلماء الذين عرفوا حقيقة الشيعة .

وقد عقدت مؤتمرات للتقريب إلا أن كل محاولات التقريب بين السنة والشيعة باءت بالفشل ، وكان من أبرز تلك المؤتمرات المؤتمر الذي عقد في النجف[322] عام 1156 هـ برعاية الملك نادر شاه ، وحضره علماء السنة والشيعة من العراق وإيران وباكستان وغيرهم ، واتفقوا في نتائجه على وجوب عدم ذم الصحابة وأفضليتهم على سائر الأمة ، ولكنهم سرعان مانكصوا على أعقابهم وعادوا إلى عقائدهم الباطلة .

وهذا هو منهج إمامهم الخميني في العصور المتأخرة ، حيث يقول : " لا تبعدو الناس عنكم الواحد تلو الآخر لا تكيلو التهم لهم بالوهابية تارة وبالكفر تارة فمن يبقى حولكم إذا عمدتم إلى ممارسة هذا الأسلوب "[323].

وهو بهذا التوجيه يأمرهم بحبك النفاق ومعرفة طرق الخداع ، ولهذا أمر الخميني الحجاج الإيرانيين بأن يصلّوا مع أهل السنة تقية وخداعا ثم يعيدون صلاتهم بعد ذلك .

وقد بلغ حقدهم على أهل السنة والاستهانة بدمائهم وأعراضهم حدا لا يوصف حينما افتعلوا الفوضى في حج عام 1407 هـ في مكة المكرة وكان عددهم ما يقارب مائة وخمسين الفا ، وهجموا يريدون الكعبة وتجمهروا في مظاهرات غوغائية ، يهدفون إلى تحقيق مخطط رهيب رافعين شعارات وصور الخنمينبي لولا لطف الله ثم يقضة الحكومة السعودية التي حالت دون تنفيذ مخططاتهم الدنيئة .

وحيل بينهم وبين دخول الحرم فاشتبكوا مع المسلمين من المواطنين والجنود وبقية الحجاج من المسلمين في قتال ضار أريقت فيه دماء المسلمين الأبرياء .

---

321 منهاج السنة 13/1 نقلا عن الشيعة في الميزان ص 116

322 مؤتمر النجف مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص 91-92

323 انظر: سراب في إيران ص 39 نقلا عن الخميني في أقواله وأفعاله لأحمد مغنية ص 167

وما فعلوه أيضا حينما أوعزوا إلى عملائهم في حج عام 1409 هـ بزرع متفحجرات راح ضحيتها أبرياء جاؤوا لأداء فريضة الحج .

ولا ننسى ما فعلوه بأهل السنة في لبنان بكل قسوة وعنف وقتل وسفك لدماء الأبرياء ، وهذا ديدنهم منذ القدم، فقدكان المسلمون يذبحون في بغداد ويحرقون بالألوف أمام ابن العلقمي والنصير الطوسي وهما يدلان التتار على عورات المسلمين وعلى كتبهم وأماكن ختبائهم . ويظهران الفرحةوالشماتة بالمسلمين.

ويرى الخميني أن السني نجس ويرى أن النواصب لا تحل ذبائحهم ويرى عدم جواز الصلاة على ميت أهل السنة ولا غرابة أن يبغضوا هذه الأمة ما داموا قد أبغضوا خيارها وهم أصحاب النبي ﷺ .

المبحث التاسع:

الحكم على الشيعة

تعددت آراء العلماء في تكفيرهم من عدمه ، وبغض النظر عن وجهات نظر العلماء في الحكم عليهم ، فإن الحكم على الشيعة أو غيرهم من الفرق بحكم واحد يحتاج الى تفصيل وذلك كما يلي :

1- أن الشيعة ليسوا على مبدأ واحد، فمنهم الغلاة الخارجون عن الملة ومنهم المبتدعة وهم متفاووتون في ابتداعهم .
2- أن التثبت في تكفير المعين أمر لابد منه ، إذ ليس كل من انتسب إلى طائفة معينة يحق تكفيره .
3- ليس معنالتثبت في تكفير المعين أننا لانطلق على الطائفة الخارجة عن الحق ألفاظ التبديع والتضليل والخروج عن الجماعة، لان ذلك الحكم خاص بتعيين الأفراد لا الجماعة ، وعلى هذا فالحكم على الشيعة انهم ضلال وفساق خارجون عن الحق أمر لا شك فيه .
4- اتضح أن الشيعة عندهم مباديء ثابتة في كتبهم المعتمدة ، من قالها أو قال ببعض منها فلا شك في كفره.

منها قولهم بتحريف القرآن وغلوهم في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء وغلوهم في بغض الصحابة ممن شهد لهم الرسول بالجنة وقولهم بالبداء على الله ، فمن قالها فهو خارج عن ملة الإسلام ، أما من لم يقل بها وكان له اعتقادات أخرى لاتخرجه عن الدين فإنه تقام عليه الحجة ثم يحكم عليه بعد ذلك حسب قبوله الحق أو رده له .

مراجع فرقة الشيعة :

1- كتاب الكافي: للكليني.
2- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب: للطبرسي.
3- تحرير الوسيلة: للخميني.
4- كتاب الغيبة: للطوسي.
5- ولاية الفقيه: للخميني.
6- الشعائر الحسينية: للشيرازي.
7- فرق الشيعة: للنوبختي .
8- مختصر التحفة الاثني عشرية ... للآلوسي
9- الفقه الجعفري وأصوله: للسالوس
10- الرد على الرافضة: للمقدسي.
11- المراجعات: للعاملي مع الرد عليها للزعبي.
12- وجاء دور المجوس: للغريب.
13- أمل والمخيمات الفلسطينية: للغريب.
14- الخميني بين التطرف والاعتدال: للغريب.
15- أبرهة الجديد: لقنديل.
16- سراب في إيران: للأفغاني.
17- الثورة البائسة: للموسوي.
18- الشيعة في الميزان: للنجرامي.
19- الشيعة وتحريف القرآن: لمحمد مال الله
20- الشيعة والتصحيح: للموسوي.
21- عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام: لسليمان حمد العودة.

22- عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال: لسعدي الهاشمي.

23- السبئيون منهجاً وغاية: د. حمدي عبد العال.

24- إحسان إلهي ظهير في كتبه:

1- لشيعة والسنة.

2- الشيعة وأهل البيت.

3- الشيعة والقرآن.

4- الشيعة والتشيع.

الفصل الرابع:

الباطنية

تمهيد في بيان خطر هذه الطائفة:

مذهب الباطنية من أردأ المذاهب وأخبثها وأهله عتاة الشر وأفسد المخلوقات، وهم أعدى أعداء الإسلام قديما وحديثا، فأراقوا دماء المسلمين عندما تمكنوا منهم في الحج، وألقوا جثثهم في بئر زمزم ودفنوا بعضهم في صحن المسجد، واقتلعو الحجر الأسود وأخذوه معهم وقتلوا كثيرا من علماء ومشائخ المسلمين.

وهم دائما مع كل عدو يتربص بالمسلمين، ووقائع التاريخ تشهد بذلك كما فعل نصير الدين الجطوسي مثلا عندما دلّ التتار على الخليفة ودلهم على عورات المسلمين فقتل النساء والأطفال والرجال وأغرقوا كثيرا من كتب المسلمين فينهرر دجلة والفرات.

وأعظم أعيادهم هو الذي يصيب فيه المسلمين بلا ء وكرب كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام وكيوم استيلاء التتار على بغداد.

وقد حذر علماء المسلمين وأنذروا من من خطرهم،يقول البغدادي: "اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل وأعظم من الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر آخر الزمان، لأن الذين ضلوا عن الدين بعد دعوة الباطنية من وقت ظهور دعوēم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدēا عن أربعين يوما وفظائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر "[324]

وقد ذكر ابن كثير جملة من فظائحهم وفظائعهم مع الحجاج وما استباحوا من حرمات المسلمين[325].

وقد حذر منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وبين أنهم أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم أعظم من ضرر الكفار والفرنج والتتار وغيرهم[326].

والباطنية بوجه عام هم حمير أعداء الإسلام التي يمتطونها كلما أرادوا هدم الإسلام أو هلاك المسملين كما فعل نصر الدين الطوسي الخائن الذي بجّلته كتب الباطينة وألبسوه المدائح والثناء مثل مصطفى غالب في

[324] انظر: الفرق بين الفرق ص382

[325] انظر: البداية والنهاية 160/11

[326] انظر: مجموع الفتاوى149/35-152

كتابه أعلام الاسماعيلية[327] ، وكما فعل الباطنية النصيرية في العصور المتأخرة من مساعدة إسرائيل وتعاونوا معهم على خيانة المسلمين في حرب عام 1967م[328] .

المبحث الأول:

متى ظهر مذهب الباطنية وغرضهم من تأسيسه

المطلب الأول:

ظهور مذهب الباطنية

اختلفت كلمة العلماء حول تحديد ظهور مذهب الباطنية ، فقد ذهب بعضهم إلى تحديد سنة 205 هـ وقال آخرون سنة 250 هـ، وبعض العلماء يقول مائتين وكسر[329] ، ويحددها بعضهم بسنة 276هـ وذلك حينما قام زعيمهم ميمون بن ديصان القداح بإنشاء هذا المذهب الخبيث هو وزملاؤه الذين كانوا على شاكلته[330] .

وقد ذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت في عهد المأمون وانتشرت في عهد المعتصم، ومنهم من نسب الباطنية إلى الصابئين بحران ، ويذكر البغدادي أنهم دهرية زنادقة[331] .

والذي يترجح أن تخطيط إقامة المذهب كان ما بين سنة 200 و300هـ . ، ويظهر أن سبب الاختلاف يعود إلى غموض أمر الباطنية، فكل واحد من العماء أرَخ لهم حسب ما وصل إليه من خبرهم .

ويعود كذلك إلى أن مذهب الباطنية نفسه يقبل الاختلافات ، لاقتباسه كثير من العقائد الباطلة للدهرية والفلاسفة والبرهمية والبوذية واليهودية والنصرانية .

---

[327] انظر : أعلام الإسماعيلية ص 587

[328] اقرأ كتاب سقوط الجولان.

[329] انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص3

[330] انظر: كشف أسرار الباطنية ص32

[331] انظر: الفرق بين الفرق ص294

المطلب الثاني:

الغرض من إقامة هذا المذهب وكيف تأسس

قام هذا المذهب من أول يوم على الميل من الإسلام وأهله، وذلك إما بإخراج المسلم عن دينه أو بإخال الشكوك إلى قلبه .

ومن أبرز أسباب قيام هذا المذهب هو إبطال الإسلام والقضاء عليه، أو تشكيك المسلمين بدينهم ، وإحلال المجوسية محله ، ولذلك اتخذ أهل هذا المذهب عدة أقنعة منها :

أ- اعتمادهم على التأويل الباطني للقران، وتفسيره بمعاني تنافي تعاليم الإسلام وزعم أن للنصوص ظاهر وباطن.

ب- ومنها إظهار التشيع وإظهار حب آل البيت حتى يصلوا إلى قلوب عوام المسلمين ومن خططهم أن يبثوا دعاتهم ويزودوهم بخطط ماكرة وهي الحيل التي يستعملونها في دعوة المدعوين كموافقة هو كل مدعو والميل إلى ما يحبه في باديء الامر ، ومن أبرز حيلهم :

1- التظاهر بالإسلام وحب آل البيت والانتصاف لهم .

2- دعوى أن للنصوص ظاهر وباطن والظاهر قشور والباطن لبّ.

3- اختاروا أن يدخلوا على المسلمين عن طريق التشيع ، وهم مع ذلك يعتبرون الرافضة ضلال إلا أنهم -كما يقول الغزالي- رأوا ان الرافضة أركّ الناس عقولا وأسخفهم رأيا وألينهم عريكة لقبول المحالا وأطوعهم للتصديق بالخرافات[332].

4- بث دعاتهم وإلزمهم بخطط ماكرة كموافقة كل مدعو واتباعه على هواه مستعملا معه حيلهم المعروفة.

وكان أبرز دعاتهم بل رئيسهم هو ميمون بن ديصان القداح[333] وابنه عبيد الله وحمدان قرمط[334] وزكرويه بن مهرويه وأبوسعيد الجنابي وولده أبو الطاهر[335] وغيرهم كثير .

---

[332] انظر: فظائح الباطنية ص19

[333] يذكر أنه تظاهر بالإسلام على يد جعفر الصادق، وسمي بالقداح لزعمهم أنه يقدح العلم عن خاطره وهو فارسي من الأهواز. انظر: ترجمته في أعلام الإسماعيلية ص559 وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص20

[334] هو حمدان بن الأشعث الأهوازي النلقب بقرمط أصله من خوزستان ، وقرمط معناه ذو الأرجل القصيرة وكانتا قصيرتان بشكل ملفت مما جعله ناقما على المنجتمع، انظر: القرامطة ص5 وقد سماه ابن كثير قرمط بن الأشعث البقار

المبحث الثاني:

أسماء الباطنية

أطلقت كثير من الأسماء على هذه الطائفة، بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومن أشهرها ما يلي :

1- الباطنية : أُطلق عليهم لزعمهم أن لنصوص الكتاب والسنة ظاهر وباطن ، وأن الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة الُّلب[336].

2- الإسماعيلية : نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق[337] ، لأن والده جعفر الصادق نصّ على إمامته من بعده وأوصى له بزعمهم .

وفي الحقيقة فإن إسماعيل قد مات في حياة والده جعفر سنة 145هـ ، ولكن الإسماعيلية يعللون سبب اختفائه بأن والده أخفاه خوفا عليه من الخليفة العباسي ، ولذلك كتب محضرا بوفاته ، وأشهد عليه عامل الخليفة العباسي المنصور بالمدينة المنورة .

أما الإسماعيلية فيزعمون أنه توجه إلى السلمية قرب مديمة حماة ، ثم توجه بعد ذلك إلى دمشق خوفا من الخليفة ، ثم توجه إلى العراق ثم ظل يتنقل بين أتباعه سراًّ وتحت أزياء مختلفة إلى أن توفي سنة 158هـ بعد أن أوصى بالإمامة من بعده لابنه مُحَّد[338] .

هذا هو رأي الإسماعيلية في سوق الإمامة ، أما الإمامية الإثني عشرية فاختاروا بعد جعفر الصادق ابنه موسى الكاظم ، ولم يقولوا بإمامة إسماعيل .

وقد تفرق الإسماعيلية إلى ثلاث فرق رئيسية وهي : الدروز والأغاخانية والنزارية البهرة [339].

3- السبعية :

وسمو بالسبعية لدعواهم أن أدوار الإمامة سبعة سبعة ، كلما انتهى حكم سبعة قامت القيامة وابتدأ دور جديد .

، البادية والنهاية62/11 وسماه النوبختي قرمطويه ، فرق الشيعة ص 93 وسماه ابن الجوزي كرميتة ، تلبيس إبليس ص110

[335] انظر: فضائح الباطنية وبيان مذهب الباطنية في عدة مواضع.

[336] انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص21 وانظر: فضائح الباطنية ص11

[337] انظر: الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص23

[338] انظر: تفصيل هذه الأحداث في كتاب أعلام الإسماعيلية لمؤلفه الباطني مصطفى غالب ص161

[339] نظر: ماكتبه عنهم إحسان إلهي ظهير في كتابه الإسماعيلية تاريخ وعقائد.

وقد فسروا بالعدد سبعة كثيرا من الأمور وقالوا: إن الكواكب السيارة سبعة والأيام سبعة وأعضاء الإنسان سبعة والنقب في الرأس سبعة إلى آخر ماقالوه .

وقيل إنهم سموا بذلك لاعتقادهم أن العالم السفي تديره الكواكب السبعة وهي زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة والشمس والقمر ، وهي عقيدة مأخوذة من ملاحدة المنجمين[340] .

4- التعليمية : وسموا بذلك لاعتقادهم أن الحق يؤخذ بالتعليم ، والعلم لايجوز أخذه من غير الإمام المعصوم لضمان الوثوق به[341] ، وبنوا مذهبهم على الحجر على العقول وإبطال النظر والاستدلال ، وأبطلوا الرأي لتعارض الآراء في نظرهم .

5- الإباحية : وذلك لأنهم لا يحرمون منكرا ولا يتلزمون بشرع، بل الحلال ماحلّ بأيديهم والحرام مامنعوا منه ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعال : { خلق لكم مافي الأرض جميعا}سورة البقرة آية29، وقالوا بأن ظاهر الإثم محرم وباطنه حلال ،كمال قال تعالى :{وذروا ظاهر الإثم وباطنه}سورة الأنعام آية 129، وهذه حيلة منهم لاستدراج الناس إلى مذهبهم الرديء ، وإلا فإن المقصود من الآية في تمام الوضوح .

6- القرامطة[342] : وسموا بذلك لانتسابهم إلى رجل يقال له حمدان قرمط، وهو رجل من أهلة الكوفة وكان يتظاهر على زهد وديانة[343] وقيل كان يتظاهر بذلك وكان في حيقته على الديانة المجوسية[344] ، فوجد في طريقه ذات يوم أحد دعاة الاباطنية فدار بينهما حوار انتهى بدخول حمدان قرمط المذهب الباطني .

7- الملاحدة : لأنهم ينفون وجود الله عز وجل ويقولون بتأثير الكواكب[345] .

8- المزدكية : نسبة إلى مزدك ، ولعله غير مزدك صاحب الشيوعية الأولى الفارسية[346].

---

340 انظر: الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام ص23 وفضائح الباطنية ص16

341 نفس المرجع ص17

342 أصل القرمطة هو قصر الخطو في المشي أو دقة الحروف وتقارب الأسطر في الكتابة.

343 انظر: الإفحام ص22

344 انظر: القرامطةص6 وفضائح الباطنية ص12-13

345 انظر: بيان مذهب الباطنية ص24

346 انظر: بيان مذهب الباطنية ص24

9- البابكية : لانتسابهم إلى بك الخرمي وكانوا إباحية ، لهم ليلة يسمونها ليلة الإفاضة بحيث يجتمع فيها الرجال والنساء ويقع كلواحد منهم على من شاء ، ويدَّعون نبوة رجل فارسي قبل الإسلام اسمه شروين[347] .

10- الخرمية أو الخرمدينية : وكلمة خرم أعجمية فارسية معناها الشيء المستلذ المستطاب ، دعاية لمذهبهم وهو لقب عرفوا به من قبل الإسلام على المزدكية الأولى[348] .

11- المحمرة : وسموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة في أيام بابك ، وقيل لأنهم يطلقون على مخالفيهم الحير ، وقيل لأن طبائعهم صارت شبيهة بالحمير [349]، ولا مانع أن توجد كلها فيهم ، وأكثر العلماء يرجح القول الأول .

12- وبعض الإسماعيلية مثل مصطفى غالب يضيف اسما جديدا وهو الهادية[350] والأولى أن يسموا بالهاوية ، لأنهم هووا عن دين الإسلام والّهو غير الله ، ولكن مصطفى غالب دافع بكل ماقدر عليه في سبيل الدفاع عنهم وتلميع عقائدهم .

المبحث الثالث :

أماكن وجود القرامطة

توزع القرامطة على أماكن كثير يمكن إيجاز أهمها فيما يلي :

1 – في اليمن : تزعم القرامطة في اليمن رجلان أحدهما المنصور بن الحسن بن زاذان ، والآخر هو علي بن الفضل الجدني ، بعد أن أرسلهما ميمون بن ديصان القداح ، وقد كوَّن المنصور دولة في اليمن بعد أن جمع القبائل حوله، وتسمى بمنصور اليمن ، وأرسل دعاته إلى أماكن كثيرة كالمغرب مثل الداعية عبيد الله المهدي عندما أرسله إلى المغرب وكون الدولة العبيدية ، ثم اختلف معه صاحبه علي بن الفضل، واجتمع حوله عدة قبائل أيضا وقامت بينهما حروب ، وقد أباح ابن الفضل المحرمات وادعى النبوة ثم الالوهية، وكان يكتب إلى عماله : " من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل

---

[347] انظر : فضائح الباطنية ص15

[348] انظر: الإفحام ص22

[349] انظر: اللإحام ص23 وفضائح الباطنية ص17 والأديان والفرق والمذاهب المعاصرةص80

[350] انظر: أعلام الإسماعيلية ص569

إلى عبده فلان .."واستمر كذلك إلى أن مات مسموما على يد طبيب أقسم ليقتلنه غيرة لله سنة 303هـ[351]..

2- العراق : من المعلوم أن جنوب العراق مما يلي فارس أرض الشيعة ومهدها ومكرز الجهل والخرافات ، وكانت قاعدة أساسية لانتشار المذهب القرمطي ، وقد نشط فيه جملة من دعاة الإسماعيلية مثل مهروية وحسين الأهوازي وهم مجوس انتسبوا إلى الأحواز العربية تعمية لمجوسيتهم، وأرسل كذلك غيرهم من الدعاة، إلى أن قتل آخر دعاتهم عام 301هـ وهو زكرويه وتشتت أبتاعه[352] .

3 – البحرين : وقد قامت القرمطية في البحرين على يد شخص أعطى نفسه إسم يحي بن المهدي[353] ، ويقول بعضهم أن اسمه الحسن بن بهرام الفارسي[354] ، وقد استمال الناس إليه بالتدريج ثم ادعى أنه المهدي المنتظر ، وتبعه على ذلك كثير من الناس من أبرزهم أبو سعيد الجنابي الذي عاث فسادا في الأرض ثم قتل ثم تولى ابنه أبو الطاهر وغزا البصرة عام 311هـ وقد قتل جملة كبيرة من الرجال وسبى النساء والصبيان ، وفي عام 312 هـ قطع على الحجاج طريقهم وأعمل السيف في رقابهم ، وفي عام 313 دخل الكوفة وقتل من قدروا على قتله ، وفي عام 317 هجم على مكة وقتل الحجاج يوم التروية، واستلبواالحجر الأسود اثنتين وعشرين سنة إلى أن ردوه بإيعاز من قرامطة المغرب بعد أن ساءت سمعتهم في العالم الإسلامي بزعمهم ، ثم تناوب على زعامتهم جملة من العتاة والمجرمين إلى أن قام زعيم قبيلة بني عبد القيس وهو عبد الله بن علي العيوني واستعان بالخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ملكشاه ، ووقعت معركة انهزم فيها القرامطة وانتهت دولتهم[355] .

وقد ذكر ابن كثير أن القرامطة زنادقة ملاحدة من أتباع فلاسفة الفرس الذين يتعقدون بنبوة زرداشت ومزدك وكانوا يبيحون المحرمات ، وفي سنة 286هـ تحرج القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، وقد كان سمسارا يبيع الطعام للناس في القطيف قبل أن يدخل مذهب الباطنية عن

351 انظر: كشف أسرار الباطنية 40-63 وانظر: الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ص20-24 والقرامطة لمحمود شاكر ص52-54

352 انظر : القرامطة ص55

353 انظر: القرامطة ص66

354 انظر: الباطنيون والحركات الهدامة ص16

355 انظر: القرامطة س66-70 والباطنيون والحركات الهخدامة ص16-19

طريق أحد دعاتهم، وكون له أتباع فلما قوي أتباعه أخاوف أهل العراق والشام وصارت لهم دولة لأبي طاهر ابن أبي سعيد الجنابي ، ثم غزوا مكة في عام 317هـ في يوم التروية وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وأعملوا السيوف على رقاب الحجاج داخل الكعبة وخارجها، وكان يقول أنا بالله وبالله أنا، أخلق الخلق وأفنيهم أنا ، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وقلع الحجر الأسود ومكث عندهم اثنتين وعشرين سنة ، وهذا من الإبتلاءات التي حصلت من قبلهم على المسملين .

وفي نفس ذلك الوقت نبغت للباطنية نابغة في المغرب بقيادة عبيد الله بن ميمون بن ديصان القداح الذي كان يهوديا وأظهر الإسلام وادعى أنه من آل البيت من نسل فاطمة واغتر به كثير من الناس من البربر ثم قويت شوكته وانتزع الملك من بني الأغلب على إفريقية[356] ، واستولى حفيده المعز على مصر واستمر ملك العبيديين نحو قرنين من الزمان إلى أن قضى عليهم البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي في سنة 564هـ .

المبحث الرابع:

الطرق والحيل التي يستعملها الباطنيون لإغواء الناس

من المباديء الأساسية عند الباطنية تقديس النفاق والكذب والمراوغة ، وأهمُّ أمر عندهم هو مجاراة المدعويين ، بحيث يتلون الداعي بحسب حال المدعو حتى يستأنسه ويميل إليه ، فإن كان المدعو شيعيا أظهر له الداعي حب آل البيت ، وإن كان فاجرا أظهر له حسن انتهاب الشهوات ، وإن كان ناسكا متعبدا أظهر له الزهد في الدنيا ، وإن كان مجوسيا أظهر له تعظيم النار ، وإن كان نصرانيا أظهر له تعظيم الصليب ، وإن كان يهوديا أظهر له الطعن فيمن عدا اليهود وإن كان فيلسوفا أظهر آراء الباطنية التي توافق آرء الفلاسفة ، وإن كان ثنويا بين له حقيقة إبطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالي ، وهكذا يتلونون بكل لون في سبيل دعوتهم ، ولهم حيل للوصول إلى قلوب الناس والتدرج بهم إلى الكفر .

---

[356] انظر: البداية والنهاية 161/1

وقد ذكرها الغزالي بعد قوله : " ففي الإطلاع على هذه الحيل فوائد جمة لجماهير الأمة"[357] حيث ال: "وترتيب حيلهم كما يلي : الزرق والتفرس ثم التأنيس ثم التشكيك ثم التعليق ثم الربط ثم التدليس ثم التأسيس ثم الخلع ثم المسخ أو السلخ ، وتفسيرها كما يلي:

الحيلة الأولى : الزرق والتفرس : وهي أن يختار الداعي من يتفرس فيه قبول استدراجه للدعوة الباطنية ، بحيث يشكل عليه في تأويل النصوص وأن لها ظاهرا وباطنا لاستدراجه .

الحيلة الثانية : التأنيس : وهي الوصول إلى قلب المدعو بكل طريقة ، وذلك بحسب ما يناسب حال المدعو ، كذكر الآيات والأحاديث والأشعار ، وكل أمر يزيد في الأنس.

الحيلة الثالثة : التتشكيك : وهي أن يطرح الداعي بعض المسائل الدينية التي يعجز المدعو عن الإجابة عليها ، كالمسائل التي لم نطلع على الحكمة فيها أو المسائل التعبدية ، كمتشابه القرآن ، وبعض المسائل الفقهية عن رمي الجمار والإحرام والطواف وعن الحروف أوائل السور كقوله تعالى { كهيعص } وغيرها .

الحيلة الرابعة: التعليق : وهي بعد تلهف المدعو إلى معرفة الإجابة عن تلك الأسئلة فيمنعون جوابه إلا بعد أن يعطيهم العهد والميثاق ، فإن رضي ينقلونه إلى الحيلة الخامسة .

الحيلة الخامسة : الربط : وهي إحكام قبضتهم على المدعو بما يؤخذونه عليه من عهود ومواثيق غليظة باستحقاق اللعنة والغضب والنار وغيرها إن هو أفشى سرا من أسرارهم .

الحيلة السادسة : التدليس : وهي إظهار تعظيم الشرع والرغبة في طلب العلم ، وأخذ العلم عن الإمام المستور الذي هو الطريق إلى علم النبي الناطق والوصي وهو الأساس إلى علم الناطق ، وأنه مستور لعلمهم أن لاوجود له .

الحيلة السابعة : التأسيس : وهو أنهم يضعون مقدمة لاتنكر في الظاهر ولا تبطل الباطن ، وهي دعواهم أن للنصوص ظاهرا وباطنا وأن الظاهر قشور والباطن هو اللب .

الحيلة الثامنة : الخلع من الدين : وهي أن يقال للمدعو : أن المقصود من النصوص هو الباطن ومتى وقف عليها مدعو سقط عنه حكم الظاهر ، ففائدة الظاهر أن يفهم ما أودع فيه من علم الباطن لا

[357] انظر: فضائح الباطنية ص21

العمل به ويستدلون بقوله تعلى : { ويضع عنهم إصراهم والأغلال التي كانت عليهم }سورة الأعراف آية 159 أي فروض الإسلام وشعائره.

الحيلة التاسعة : الإنسلاخ من الدين أو السلخ : وهي بعد أن يأنسوا من المدعو قبول دعوتهم ، أعلموه أنه قد أطلق من وثاقه وحلَّ له كلماحر عليه ، وزالت عنه جميع التكاليف[358].

وسقوط التكاليف عنه بالتدريج ، فتسقط عنه الصلاة بعد أن يدفع مبلغ 12 دينارا ، ويقرأ له الإمام قوله تعالى :{ ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم} ويفهمونه أن الصلاة هي معرفة أسرار الباطن أو معرفة خمسة أسماء وهي علي والحسين والحسين ومحسن وفاطمة .

ثم يسقطون عنه فريضة الصوم ، بعد أن يدفع المبلغ المذكور للإمام . ويفهمونه أن الصوم هو كتمان أسرار الباطنية أو معرفة ثلاثين رجلا أو ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم .

ثم يسقطون الحج ويفهمونه أن الحج هو زيارة مشائخهم لا قصد مكة .

ثم يسقطون عمه حرمة الخمر والميسر ويفهموه أن المقصود بهما أبو بكر وعمر ، ثم يسقطون عنه وجوب غسل الجنابة ويفهمونه أن الطهارة هي طهارة القلب ، ثم يسقطون عنه حرمة الزنا ، ويسمونه المشهد الأعظم ونهابة الفوز ، ويتلو عليه الداعي قوله تعالى : { فلا تعلم نفس ماأخفي لعهم من قرة أعين}سورة السجدة آية 17.

وبعد هذا التعليم يبدأ المدعو بتطبيق ذلك العلم الساقط ، فيبدأ بتطبيق ذلك على زوجته فيبيحها للداعي ، ثم يحضر المشهد الأعظم وهو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد وتطفأ فيه السرج بعد أن تدار الكؤوس وتحمى الرؤوس ثم يتناهبون النساء فيقع كل واحد منهم على من أمامه [359].

ولهم طرق وأساليب عجيبة تسلب لب العامة والخاصة في طريقة دعوتهم ، بعد أن يكون الداعي على علم بمجمل الفرق الإسلامية وغير الإسلامية ودقائقها ومواطن الضعف في كل فرقة وديانة ، وينبرون لمجادلة من أراد مجادلتهم بحسب أحوالهم ويطرحون تساؤلات كثيرة فإذا عجز عنها المدعو يتركه الداعي ويسخر منه، فتتعلق به قلوب العامة لمعرفة إجابت تلك الأسئلة ، وأما اذا كان المجادل من أهل العلم المتبحرين فيه ، فينحى المدعو إلى منحى الفلسفة العميقة التي تخفى على عوام الناس حتى لايظهر بمظهر

[358] انظر: لتفصيل تلكالحيل : فضائح الباطنية ص21-22 وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص25-30

[359] ذكرها الديلمي في بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص11-15

المنهزم ، وفي كل الأحوال لهم طرق عجيبة ودقيقة استطاعوا من خلالها نشر مذهبهم الباطل في كثير من أصقاع العالم الإسلامي[360] .

المبحث الخامس:

عقائد الباطنية

عقائد الباطنية هي مجموع أفكار ملفقة من مذاهب شتى في خبط واضطراب ، وتتناقض أخبار مذهبهم تناقضا ظاهرا .

والسبب في ذلك يعود إلى أهل المذهب الباطني أنفسهم حيث قصدوا التلوّن والاضطراب في نقل عقائدهم، فهم لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد ، وذلك حتى يستطيعوا أن يكذبوا ما أردوا تكذيبه[361] ، وكل عقائدهم ترجع إلى ما يلي :

1- إنكار وجود الله تعالى .
2- جحد أسماء الله وصفاته .
3- تحريف شرائع النبيين والمرسلين[362] .

وهم في كل أحوالهم يتسترون بمذهب التشيع لآل البيت ، أو بزعم التجديد والتقدم ، أو غيره من الشعارات.

أولا : **عقيدتهم في الألوهية :**

اختلفت مذاهب الباطنية في اعتقادهم في الألوهية، إلا أنها تُجمع على الإلحاد والكفر[363]، فذهب قسم منهم إلى القول بوجود إلهين ، لا أول لوجودهما من حيث الزمن ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الأول عقلا والثاني نفسا .

---

[360] انظر: أعلام الإسماعيلية تحت عنوان "أسرار نظام الدعوة" ص 18-24

[361] انظر: فضائح الباطنية ص38

[362] انظر: الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة ص210

[363] انظر: فضائح الباطنية ص39-40

ومنهم من قال أن المراد بالسابق والتالي هما اللوح والقلم ، واستدلوا بآيات التي ورد فيها لفظ الجمع ، كقوله تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر } وقالوا أيضا أن السابق والتالي هما الرحمن والرحيم .

وهذا يدل على جهلهم بلغة العرب واكثرهم من بلاد فارس، حيث إن الجمع في الآيات للتعظيم وليس للكثرة .

ويذكر الباطني مصطفى غالب أنهم يعتقدون أن الله لم يخلق العالم ولا يستطيع أن يتصل به ، وإنما هو علة العالم وسبب وجوده فقط[364] .

وذهب قسم منهم إلى الاعتقاد بأن علي بن أبي طالب هو الخالق للسموات والأرض وأنه ظهر في صورة الناسوت ليؤنس خلقه وعبيده.

وذهب بعضهم إلى أن الله لا يوصف بموجود أو غير موجود ولا بمعلوم ولا مجهول ولا موصوف ولا غير موصوف، إلى آخر إلحادهم الذي يظهرونه للعوام بأنه تنزيه لله وهو في حقيقته نفي لوجود الله.

ثانيا: اعتقادهم في النبوات:

ينكر الباطنيون النبوات ويجحدون المعجزات، ويزعمون أنها من قبيل السحر والطلاسم، ويفسرون النبوة بأنها عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عند الإتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات.

وهذه القوة القدسية التي تفيض على النبي لا تستكمل في أول حلولها، وهذه القوة لا تستكمل إلا بعد أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت[365] .

ومن هذا التصور الرديء اعتقدوا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض على النبي، ويعتقدون أن القرآن تعبير مُحَّد عن المعارف التي فاضت عليه من جبريل الذي هو العقل.

ويعتقدون أن كل نبي لشريعته مدة،فاذا انصرمت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته، وحددوا لكل نبي سبعة أئمة ، أولهم الناطق ثم الأساس ثم الصامت ثم السوس .

---

[364] انظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص96

[365] انظر: فضائح الباطنية ص41

والناطق هو صاحب الشريعة الناسخة لما قبله، ومعنى الصامت هو القائم على شريعة من قبله، ومعنى السوس هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد مماته.

وعليه فإنهم يعتقدون أن عليا هو سوس مُحَمَّد وقد استتمت دورة الأئمة بجعفر بن مُحَمَّد، وابتدأ الدور الثاني بمحمد بن إسماعيل وشريعته ناسخة لما قبله.

ولهذا يعتقدون أن شريعة مُحَمَّد منسوخة بشريعة إسماعيل بن مُحَمَّد، وهكذا في كل دورة[366].

ثالثا : اعتقادهم في الآخرة : أنكر الباطنية الآخرة التي جاء بها القران وجاءت بها السنة ، وأولوا معانيها بتأويلات باطنية باطلة ، وقالوا بأنها رموز تشير إلى خروج الإمام ، وأنكروا البعث بالأجسام والجنة والنار ، وقالوا بأن المعاد هو عود كل شيء إلى أصله .

ولذلك قالوا إن جسم الإنسان مكون من أخلاط أربعة وهي الصفراء والسوداء والدم والبلغلم، فالصفراء تصير نارا ، والسوداء تصير ترابا ، والدم يصير هواء ، والبلغلم يصير ماء. وأما روح النسان فإن كانت صافية مواضبة على العبادات فإنها تتحد بعالم الأرواح الذي انفصلتمنه[367].

رابعا : اعتقادهم في التكاليف الشرعية : يتميز مذهب الباطنية بأنه أشد المذاهب استحلالا للمحرمات ، ولكن ظاهر مذهبهم هو لزوام القيام بالتكاليف الشرعية ، وإظهار الزهد والورع .

وذلك حتى يتحقق مرادهم من إرادة إرهاق الناس بكثرة التكاليف ،في نفس الوقت الذي يركزون فيه على مسامع الناس أن الخروج من تلك التكاليف أمر يسير .

وحينما يشتاق الشخص لمعرفة تلك الكيفية ، يبدأون في تعليقه بالأئمة المستورين ، ثم يسيرون معه بالمراحل التي سبق ذكرها في دعوتهم للمدعوين إلى الدخول في الباطنية.

مع تكرارهم القول بأن بأن هذه التكاليف وضعت لتستهدف من ورائها فائدة واحدة وهي استنهاض همة القلب ليصل إلى معرفة بواطن هذه الأمور فقط، ومن هنا يبدأ انحلال الداخل في الباطنية عن كل الأوامر والنواهي .

---

[366] انظر:فضائح الباطنية ص42-44وأعلام الإسماعيلية ص450

[367] انظر: فضائح الباطنية ث45 وبيان مذهب الباطنيي وبطلانهص37 وانظر كتاب الشيخ إحسان إلهي ظهير "الإسماعيلية تاريخ وعقائد"

الفصل الخامس: النصيرية

المبحث الأول :

أهمية دراسة هذه الفرقة

النصيرية هي إحدى الفرق الباطنية التي ظهرت في القرن الثالث للهجرة ، وذلك بعد أن انشقت عن فرقة الإمامية.

والنصيرون كغيرهم من أعداء الإسلام ، بل أشد أعداء الإسلام في معاداة المسلمين ، فهم يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويقفون مع أعداء الأمة في صف واحد ، لاعتقادهم أن إيذاء وقتل المسلمين فيه ثواب لهم .

ولا زالالمسلمون في سوريا ولبنان يتجرعون جرائمهم ، فيقتلون الأبرياء والنساء والأطفال ، وهذا امتداد لجرائمهم ضد المسلمين منذ عهد وقوف النصيرية مع الصليبيين والتتار.

وقد انطوت عقائدهم على كفر صريح وإلحاد كبير ، فكما جاء في كتابهم الهفت الشريف يعتقدون فيه أن الحسين هو الله ب العالمين وخالق السموات والأرضين ، ولذلك قال الحسين لعمرو بن سعد لماجاء لقتاله : : ويحك ، تقتل رب العالمين وإله الألين والآخرين "إلى آخر ماجاء من كفرياتهم[368] .

المبحث الثاني:

زعيمهم وسبب انفصاله عن الشيعة وموقفهم منه

تنسب هذه الطائفة الفاجرة إلى زعيمهم مُحَّد بن نصير النميري ، وكان من الشيعة الإثني عشرية وأصله من فارس ، ثم انفصل عنهم بعد أن نازعهم على إثبات صفة الباب له ، حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر ، فلما لم تقرّ له الإمامية بذلك انفصل عنهم وكون مذهبه وظل زعيما لطائفته إلى أن هلك سنة 260 أو 270 هـ[369] .

---

[368] انظر : الهفت الشريف ص96-102

[369] يدعي الاثنا عشرية أن مُحَّد بن الحسن العسكري بعد أن اختفى في السرداب كان لهأربعة وكلاء بينه وبين الناس، وهم عثمان بن سيد العمري، ومُحَّد بن عثمان الخلاني، والحسين بن روح النوبختي، وعلي بن مُحَّدالسمري.

وقد اخترع النصيري عقائد جديدة لأتباعه ، وأوجب قسما يجب وجوبا على كل نصيري أن يقسم به ، وهو يشير بمجمله إلى الإعتقادات النصيرية، وهو يبتديء بقولهم : " إني وحق العلي الأعلى وما أعتقده في المظهر الأسنى وحق النور ومكانشأمنه ، والسحاب وساكنه وإلابرئت من مولاي علي ... وبرئت من دعوة الحجة ابن نصير .."[370] إلى أخر الكفر والإلحاد الذي اشتمل عليه .

وقد نقل عبد الحسين عن القمي في وصفه لابن نصير أنه كان فاحشا وقد أجاز اللواط وسائر المحرمات مدعيا أن ذلك من تواضع المفعول به .. إلى آخر أوصافه الشنيعة[371] .

ولكن في كتابهم الهفت الشريف نفي ذلك تماما، وأنه لا يقع من مؤمن منهم بل يقع ممن عادى عليا[372].

وقد أجمعت كتب الشيعة في ذكرها لدعوة ابن نصير أنه ادعى أنه الباب ثم النبوة ثم القول بألوهية علي وإباحة المحارم ، والقول بالتناسخ ، كما استوعب عبد الحسين الشيعي أخباره في كتابه العلويون أو النصيرية ، ناقلا عن أهم مصادرهم مثل القمي في مقالاته والنوبختي في فرقه والكشي في كتابه الرجال والطوسي في الغيبة والحلي في كتابه الرجال والطبرسي في الاحتجاج وغيرهم.

المبحث الثالث:

أسماء هذه الطائفة والسبب في اطلاقفها عليهم

أطلقت على هذه الطائفة عدة أسماء بعضها يقبلونه وبعضها لا يقبلونه ومنها ما يلي :

1- النصيرية : هذا الاسم هو أشهر الأسماء التي أطلقت عليهم ، وقد اختلفوا في أصل تسميتهم بهذا الاسم كما يلي:

أ – أن هذا لاسم أطلق عليهم لتمييزهم واضطهادهم بدافع العصبية المذهبية حسب زعمهم وعلق تاريخيا بهم[373] ، ولذلك يبغضون هذا الاسم.

[370] انظر: العلويون والنصيرية ص3-4

[371] انظر: مقالات القمي ص100 نقلا عن العلويون والنصيرية ص21

[372] انظر: الهفت الشريف ص140

[373] انظر: العلويون ص8

ب – زعموا أن الأتراك هم من أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى الجبال التي يسكنونها ، وذلك تحقيرا لهم ونكاية بهم ، إلى أن جاءت فرنسا فأطلقت عليهم اسم العلويين، ولذلك يدينون بالولاء لفرنسا.

ج – يعلل بعض المؤرخين والمستشرقين كالمسشرق ريسو أن سبب تسميتهمبهذا الاسم لوجود صلة عقائدية بينهم وبين النصارى لما لاحظه من التقارب بينهم في كثير من الشعائر والاعتقاداتكالتثليث " ع. م .س" وتقديس الخمر والتجسد[374] .

د- أنه أطلق عليهم نسبة إلى مؤسس مذهبهم مُحَمَّد بن نصير النميري[375]، وهو الراجح.

2- العلويون : وهم يحبون هذا الاسم ، وقد أخذ من عبادتهم لعلي بن أبي طالب ، كما أن هذه التسمية تفتح لهم آفاق تقارب مع الشيعة ، ونسبتهم إلى علي أفضل من ابن نصير في نظرهم [376].

3- سورة : ك : وقد أطلقه الأتراك عليهم ، وبمرور الزمان أصبحت تطلق " سوراك " ومعناها عند الأتراك المنفيون أو المساقون[377] .

4- النميرية : نسبة إلى مؤسس المذهب محمند بن نصير النميري [378].

5- ولهم أسماء أخرى محلية مثل التختجية والحاطبون، وذلك في غربي الأناضول ، والعلي إلهية في فارس وتركستان وكردستان.

---

[374] انظر:تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي4/265-267 والعلوين ص 54-55

[375] انظر: طائفة النصيرية ص23-24

[376] انظر: العلويون ص32

[377] انظر: تاريخ العلويين ص342 وطائفة النصيرية ص35

[378] انظر: العلويون ص31

المبحث الرابع:

نشأة النصيرية

أعقبت وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري بدون أي عقب ، صدمة وتفرق لدى عموم الشيعة ، فاختلفوا بعد وفاته إلى أربع عشرة فرقة ، بين مؤيد وناف لوجود ابن للإمام الحادي عشر.

ولما كان من أصول اعتقاداتهم وجود إمام معصوم يتولى تصريف شؤون الناس ، اخترعوا فكرة الباب إلى الأمام ، حيث يختارون رجلا مخصلصا لآل البيت يلتقي بالإمام المستور ويكون حلقة الوصل بينه وبين الناس.

وقد استدلوا بأدلة ضعيفة لا تثبت منسوبة إلى النبي ﷺ " أنا مدينة العلم وعلي بابها " وغيرها من الروايات التي لا تثبت .

فالنصيرية من الفرق التي قالت لا وجود لإمام بعد الحسن العسكري ولا وجود لباب بعده ، ثم قالت بألوهية الحسن العسكري أيضا .

وانفصلت بقية ابن نصير، وتعاقب على قيادتها بعد وفاة ابن نصير جملة من أتباعه أورثوا المذهب عقائد مختلفة ، كالجنبلاني والخصيبي والجسري وغيرهم .

وقد تفرقوا بعد اضطهادهم من الدول الإسلامية إلى أن عادوا في الوقت المعاصر على حين غفلة من المسلمين واستولوا على الحكم في سوريا[379]، وتسمّوا بأسماء مختلفة كحزب البعث الاشتراكي ، ودعوى التقدمية والتحرر، وغيرها من المسميات .

المبحث الخامس:

تكتم النصيرية على عقائدهم

يعتبر النصيريون أن عقائدهم أسرارا لا يجوز لأحد إفشائها مهما كانت الظروف ، قد جاء في الهفت الشريف – كتابهم المقدس– : " وأن هذا العلم سر الله ومكنون خزائنه الذي لم يطلع عليها أحد من عباده إلا الأولياء المختصون "

[379] انظر: فرق الشيعة للنوبختي ص 78 وطائفة النصيرية ص42

ويعتقدون أن من أفشاها فيكون مصيره القتل في أبشع صوره ، لأنه أفشى سرّ العلي الأعلى ، ومن أمثلة ذلك ما فعلوه بصاحب كتاب الباكورة السليمانية وهو سليمان الأضني الذي تنصر ثم ألف كتابا يفظح عقائدهم فيه ، فاحتال عليه أقاربه بشتى الصور إلى أن رجع فأحرقوه حيا دون هوادة[380] .

وهكذا أصحاب الباطل ليس لديهم حجة في مواجهة الحق سوى كتم باطلهم .

وقد كتب محمد فريد وجدي خلاصة ماجاء في الباكورة السليمانية وهي ما يلي :

1- ان النصبيرية يعتقدون ألوهية علي ، والكلازية منهم يعتقدون أنه حل في الشمس فيقدسون الشمس .
2- يعتقدون بتناسح الأراوح ، فالأرواح الصالحة تحل في النجوم، ولذلك يسمون علي أمير النحوم ، والأرواح الشريرة تحل فيالحيوانات .
3- أن كلمة السر عندهم هي ع ، م ، س وهي رموز مُحَمَّد وعلي وسلمان .
4- أن لديهم كتابا مقدسا غير القرآن.
5- أن العقائد الوثنية غير متجانسة وثنية قديمة وإسلامية متطرفة[381] .

وهذا يدل على أنهم ليسوا على يقين من صلاحية ديانتهم وصفائها ويعلمون أنها قامت على الخداع والتضليل ، والأمثلة عديدة على قتلهم لمن أفشى أسرارهم.

وقد جاء في الهفت الشريف عن وجوب كتمان السر :"فإن أفشيته إلى أعدائنا فقد أعنت على قتل نفسك"[382]

طريقتهم في تعليم مذهبهم :

أ- تعليم المرأة :

المرأة النصيرية تعتبر من أجهل نساء العالم ، إن أن التعاليم النصيرية تقضي بعدم جواز اطلاع المرأة على أي سرّ من أسرار المذهب النصيري ، لأنها في نظرهم ضعيفة العقل والإرادة ولأنها أكثر شرا من الرجل وأكثراحتيالا ومكرا وهي سبب كل شر عندهم، كما صرح بذلك الهفت الشريف عندهم .

---

380 انظر: دائرة معارف القرن العشرين 249/10 نقلا عن العلويون ص36

381 نفس المرجع .

382 الهفت الشريف ص102

فالمرأة لنصيرية إذا لادين لها[383] ، ولهم وصايا في الاحتراس من المرأة ، وقد يعاقب الرجل بأن يمسخ إلى امرأة ، في التناسخ ، إذا لم يقم بالمطلوب منه ، وكذلك يعاقب عامة رجال الكفار بأن يصيروا نساء كافرات ، كما جاء في الهفت الشريف عن المفضل الجعفي عن الصادق[384]

ويستدلون بأن بخروج آدم من الجنة بسبب المرأة[385] وأن قابيل قتل هابيل بسبب امراة وكيف خانت أمرأة نوح ولوط، وقتل يحي بسبب امراة باغية وأنهن مصدر الكيد.

وهذا كله خلاف تعاليم الاسلام التي جاءت بإكرام المرأة وتعليمها أمور دينها وتكليفها بما يكلف به الرجل، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

ب- تعليم الرجل سر الديانة:

لم يأنس النصيرية من إظهار تعاليمهم حتى من بعضهم لبعض، إلا بعد تعقيدات واختبارات شديدة يذل في الرجل، ويتجرع مرارة الإهانة، وينتهك عرضه،ويقضى فيه على آخر

عرق بنبض فيه بالرجولة والشهامة.

جيث يختار التلميذ الشيخ الذي سيلازمة ويسمونه الوالد الروحي أو الوالد الديني ثم يغرس في قلبه تقديس الشيخ والخضوع له.

ومن تلك الطرق أنهم يجعلون أحذية المشايخ ترفع فوق رأس التلميذ وهو ساكت لا يتكلم ، ثم يتوسل شيخه لبقية المشايخ أن يقبلوه ، فإذا قبل يبدأ في تقبيل أيدي وأرجل المشايخ الحاضرين .

ثم يقف مكانه ويوضع على أرسه خرقة بيضاء ثم يبدأ الشيخ بقراءة العقد الذي سيتم بين التلميذ والشيخ، وهو أشبه ما يكون بعقد الزواج، ويعتبرون هذا بمثابة الخطبة ، ويعتبرون الكلام الذي يسمعه بمثابة النكاح ، وما يتحمله من العلم بمثابة الحمل ، فإذا تعلم وأراد التعليم يكون ذلك بمثابة لوضع .

ثم يشترطون عليه أن يكرر في اليوم خمسمائة مره بسر ع م س ، ثم يعلمونه التعاليم بطرق قاسية ولو بإهدار رجولته[386] .

---

[383] انظر: دائرة معارف القرن العشرين مادة "نصر" وانظر: العلويون ص57 وطائفة النصيرية ص 43

[384] انظر: الجيل التالي ص9

[385] يعتقد هؤلاء أن آدم قبله سبعة أوادم، كل آدم مثل أمّة، حتى جاء أبونا آدم الجديد وهو الثامن كما يذكر الهفت الشريف، انظر: الباب 60-61 ، ص 150-153

وفيما يلي أهم الشروط في تعليم المذهب النصيري :

1- أن يجتاز سن التاسعة عشر [387]

2- أن يمر بالمراحل التالية على التدريج :

أ – المرحلة الأول : مرحلة الجهل : وهي تهيئة من يقع عليه الاختيار من أبناء طائفتهم.

ب- المرحلة الثانية : مرحلة التعليم : وهي تلقين شيء من تعاليم المذهب ، ويبقى مدة سنة أو سنتين تحت إشراف أحد الشيوخ ، فاذا توسم فيه النجابة نقلوه إلى المرحلة الثالثة وإلا طردوه وهي:

ج – مر حلة السماع : وهي الدرجة العليا حيث يلقنونه أسرار المذهب على يد شيوخه الورحيون ويطلقون عليه الشيخ أو صاحاب العهد مع وجود كفلاء، والشهود يشهدون استعداده لتحمل الأسرار والمحافظة عليها ولو على دمه .

مع العلم أن كل تلك التعاليم تلقن في مرحلة السكر،بحيث يشرب المتعلم الخمر التي يسمونها عبد النور مع هالة من التهديد والوعيد من هنا وهناك ، حتى يكتمل تعليمه المذهب في أجواء غير طبيعية .

ولهم طقوس للداخل في المذهب يضحك منها العقلاء ، ويستنكف عنها الجهلاء ، فيها تهويل للداخل وكفلاء له وكفلاء للكفلاء مع شرب الخمور ووعيد وتهديد[388] .

المبحث السادس:

أهم عقائد النصيرية

للنصيرية عقائد كثيرة بعضها ظاهر وبعضها لا زال في طي الكتمان ، وقد اتضح أن أبرز عقائدهم ما يلي :

1- **تأليه علي بن أبي طالب** : ولا يتسبعد منهم هذا الاعتقاد، حيث إنهم كانوا قبل دخولهم الإسلام عباد بقر وأوثان ، فأرادوا صبغ عقائدهم بصبغة الإسلام .

---

[386] انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص374-375

[387] انظر: العلويون أو النصيرية ص57 نقلا عن دائرة معارف القرن العشرين مادة"نصر"

[388] انظر: الجيل التالي ص39-47

ومن أبرزها هو تأليه البشر ، المتمثل في علي بن أبي طالب ، زاعمين أنه إمام في الظاهر وإله في البطن ، لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب .

و يعتقدون أن عليا له اللاهوت والناسوت ، وبعتقدون أن عليا خلق مُحَمَّد ومُحَمَّد خلق سلمان الفارسي ، وسلمان الفارسي خلق الأيتام الخمسة وهم : المقداد : رب الناسي وخالقهم ، وموكل بالرعود وازلازل ، أبو الدر : أبو ذر الغفاري : الموكل بدوران الكواكب والنجوم ، عبد الله بن رواحة : الموكل بالرياح وقبض أرواج البشر ، عثمان بن مضعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد ، قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح[389] .

وقد استدلوا بمكارمه على ألوهيته كشجاعته في الحروب وغيرها .

وقد اختلفوا في مكان حلوله بعد أن ترك ثوبه الآدمي أي صورته البشرية ، فمنهم من يقول إنه حل في القمر ، ولذلك يتجه إلى القمر في العبادة ، ومنهم من يقول إنه حل في الشمس ، ويتنجه إلى الشمس في عبادته . وهؤلاء يسمون الكلازية [390].

ويعتقدون –كما جاء في الهفت الشريف – أنه لا يموت الميت حتى تحمل روحه إلى علي فإن كانت صافية صعدت بها الملائكة إلى عين في الجنة فقد ورد فيه:"ما من مؤمن يموت إلا وتحمل روحه إلى الإمام علي فينظر فيها، فإذا كان مؤمناً ممتحناً صافياً صعدت الملائكة بروحه إلى السماء فتغمسها في عين في الجنة" [391] .

وقد جاء في السورة الثالثة من كتابهم الجيل التالي : " اللهم اني أسالك ياмولاي يا أمير النحل يا عليا ياعظيم يا أزل يا فرد يا قديم يا علي يا كبير يا أكبر من كل كبير يا خالق الشمس والقمر المنير .. "[392] الى اخر ماجاء في سورهم من الكفر والإلحاد والزندقة كسورة السجود وسورة الإشارة والسورة الكبيرة .

[389]انظر: طائفة النصيرية ص 47، وانظر: الجيل التالي ص 113.
[390]انظر: العلويون ص 57.
[391]الهفت الشريف ص 82.
[392]انظر: الجيل التالي ص 79.

ولم يقصروا الحلول على علي بل قالوا: إن الله حلَّ في سائر الأئمة من بعد علي ، ولذلك زعموا أيضا أن الحسين رب العالمين ، والعجيب أنهم مرة يجعلون عليا إلها ومرة نبيا ومرة يستدلون بالقرآن على فضائله ، وبأقوال مكذوبة[393] .

ونتيجة لدعواهم في حلول الألوهية على بعض الأشخاص وقبول عقولهم هذا الهراء، فقد ادعى بعضهم أن الله حلّ فيه، كمن يسمى سلمان مرشد الذي ادعى أن الله حلَّ فيه ، وكان إظهاره لهذا القول بحماية الاستعمار الفرنسي آنذاك.

وكان إذا ظهر لأتباعه يخر له أتباعه ساجدين، وقد ركّب أنوارا في ثيابه تضيء حينما توصل ببطارية صغيرة في جيبه ، الطريف أن المستشار الفرنسي فيبلاد الشام كان أيضا من ضمن الساجدين ويسميه يا إلهي.

وبعد وفاته اتخذ أتباعه ابنه الأكبر مجيب الأكبر ، وقد قتل هذا أيضا .

ومن خبث أتباعه أنهم يسمون على ذبائحهم فيقولون : " باسم مجيب الأكبر من يدي إلى رقبة أبي بكر وعمر"

2- **القول بالتناسخ** : لا يؤمن النصيرية بيوم القيامة ، كسائر أصحاب الدور الذين يقولون بأن الجزاء في الدنيا .

واستبدلوا الجزاء في الآخرة بالتناسخ في الدنيا، فالتناسخ هو انتقال روح الميت بعد موته إلى جسد آخر حسب عمله ، فصاحب العمل الحسن ينتقل إلى جسد حسن منعم ، والعمل السيء ينتقل إلى جسد معذب رديء كالكلاب والخنازير والحيات والعقارب والخنافس وغيرها[394] .

والتناسخ عند النصيرية له أربع صور حسب عمل الانسان وهي : نسخ ، مسخ ، فسخ ، رسخ .

أما النسخ فهو : انتقال روح الآدمي الى جسد آدمي آخر .

والمسخ هو : انتقال روح الآدمي من جسده إلى جسد حيوان .

---

[393] انظر لما سبق ذكره عن علي ﷺ وموقف النصيرية منه: كتاب طائفة النصيرية ص 46 – 50، نقلنا عنه بتصرف، وانظر: فرق الشيعة للنوبختي ص 116، والعلويون ص 15، 44، 52، ولقد توسع الدكتور مُحَمَّد أحمد الخطيب في هذه المسألة وبين تفضيلاتها في الفصل الثاني من كتابه الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 341 – 354.

[394] فرق الشيعة ص 57، 58.

والمسخ هو : انتقال روح الآدمي من جسده إلى جسد حشرة .

والرسخ هو : انتقال روح الآدمي من جسده إلى جماد أو نبات[395] .

وتذكر بعض وراياتهم أن المسيخ والفسخ والرسخ لا تصيب النصيري بل تصيبأعدائهم ، وقدجاء في الهفت الشريف بيان كل صورة من تلك الصور ، لا يتسع المقام لذكرها هنا منها قوله : "وإنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي وإنما هو قرد أو خنزير أو كلب أو دب"[396].

3- **تقديس الخمر**:ومن أهم عقائدهم أيضاً: تقديس الخمر، حيث زعموا أن الله تعالى يتجلى فيها وأنها تسمى عبد النور تشريفاً لها، وجعلوا من أكبر الإجرام قلع شجرة العنب.

المبحث السابع:

عبادات النصيرية

يختلف النصيرون عن المسلمين في العبادات وفي كل شيء ، وذلك لأن مذهبهم خليط من شتى الأفكار والديانات ، وما ورد في عقيدتهم وكتبهم من كلمات كالصلاة والزكاة والصيام لايريدون منها المقصود في الشريعة الإسلامية بل أولوها إلى معان أخرى باطنية، منها ما يلي:

أولا: التكاليف : يذكر بعضهم أن النصيرية يفرقون بين التزام التكاليف بين المشايخ وبين الجهال ، فيرون جبرية التكاليف تسري على المشايخ دون الجهال.

ولعل في هذا نظر ، إذ من المعلوم أن الشيوخ من النصيرية الذين يسمونهم أيضا أصحاب العهد، تسقط عنهم التكاليف إذا عرفوا الباطن ، فقد يكلف الشخص فترة معينة لطلب العلم والاستزادة، ولكن بعد ذلك تسقط عنه جميع التكاليف إذا عرف الباطن وميز بينه وبين الظاهر فتسقط عنه العبودية كما نص على ذلك في الهفت الشريف[397] .

---

[395] تحقيق ما للهند من مقولة الباروني ص 38 – 44، نقلاً عن طائفة النصيرية ص 88.

[396] نفس المرجع ص80

[397] انظر: الهفت الشريف ص42وص125

ثانيا : **الصلاة** :أما الصلاة ، فالنصيرية يصلّون في خمس أوقات، إلا أنها تختلف في الأداء وفي عدد الركعات عن بقية المذاهب الإسلامية وصلاتهم لا سجود لها ، وفيها بعض الركوع أحيانا.

ولا يصلون الجمعة ولا يعترفون به كفرض ، ولا يتطهرون قبل الصلاة ولا يصلون في المساجد ويحاربون بناء المساجد .

وهم يجتمعون للصلاة في بيوت معلومة وأوقات معينة ويسمون هذا الاجتماع عيدا ، وفيها يختلط الرجال بالنساء ، ويقرأ فيها الشوخ قصص أخبار ومعجزات أئمتهم[398] .

ثالثا: **القداسات** : يقوم شيوخ النصيرية بأداء بعض الطقوس والقداسات بعد أداء صلواتهم ، ومن قداساتهم الكثيرة ، قداس الطيب لكل أخ وحبيب ،وقداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور، وقداس الأذان وبالله المستعان ، وغيرها .

وكل قداس له ذكر خاص به أو وديعة يتوسلون بها إلى الإله علي والخمسة أيتام وكبار مشائخهم .

ومن أمثلة هذه القداسات قداس الأذان حيث جاء فيه : " الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا الحمد لله كثيرا وجهت وجهي إلى مُحَمَّد المحمود طالبا سره المقصود المتقرب بتجلي الصفات وعيني الذات ... ديني سلسلة طاعة إلى القديم الأزل .. شهدت أن إله إلاهو العلي المعبود ولا حجاب إلا السيد مُحَمَّد المحمود ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي ولا ملائكة إلا الملائكة الخمسة الأيتام الكرام "[399].

إلى غيرها من القداسات التي تنضح كفرا وشركا ودعاء غير الله وصبغ البشر بصبغة الإله .

وقد جاء في الهفت الشريف بيان أن معنى الصلاة هي أمير المرمنين ، ومعنى الزكاة معرفته وأما الصيام فمعناه الامتناع عن معاشرة النساء[400] وأما الحج فيعتبرونه كفرا وعبادة للأصنام[401] .

ثالثا: **أعياد النصيرية** :

---

[398] انظر: إسلام بلا مذاهب ص 309،

[399] انظر: إسلام بلا مذاهب ص 309،

[400]انظر: الهفت الشريف ص 40.

[401] انظر: طائفة النصيرية ص 66.

للنصيرية أعياد كثيرة في أوقات مختلفة، مثل عيد الغدير وعيد الفطر وعيد الأضحى وعيد عاشوراء وعيد النوروز وعيد المهرجان وعيد الصليب وعيد الغطاس وعيد السعف وعيد العنصرة وعيد القديسة بربارة وعيد الميلاد.إلى آخر أعيادهم .

وبعض هذه الاعياد متأثر بالمسحية وبعض بالفارسية ، حيث نرى أن النوروز هو أكبر الأعياد في الديانة المجوسية ونجده عند النصيرية يحتل مكانة مرموقة[402].

المبحث الثامن :

موقف النصيرية من الصحابة

أضمر النصيرية البغض والعداء للصحابة وأظهروا ذلك ، فاعتقدوا أن من الصحابة كافرا كأبي سفيان وابنه معاوية ، وخصوا الصحابي الجليل أبو بكر ثم عمر الفاروق بالبغض الشديد فلا يجوز عندهم التسمية بأبي بكر ولا عمر.

بل إنهم يعمدون إلى الحيوانات ويعذبونها بدعوى أن روح أبو بكر وعمر وعائشة حلّت فيها ، ويسمون عمر بأدلم ، ونعتوه بأوصاف ونعوت يخجل العاقل من ذكرها .

ومن هنا يعمدون إلى حمار ويعذبونه بدعوى تعذيب عمر أو يعمدون إلى غنمة ويذيقونها مرّ العذاب بزعم تعذيب عائشة .

المبحث التاسع:

فرق النصيرية وأماكنهم

أ- **فرق النصيرية:** تفرق النصيرية كشأن سائر أهل الفرق الضالة إلى عدة طوائف من أبرزها ما يلي :

[402] انظر: ذكرها د / الحلبي بتوسع في كتابه طائفة النصيرية ص 71 والعلويون ص104

1- الجرانة : نسبة إلى قريتهم جرانة وسميت بالكلازية ، نسبة إلى زعيمهم مُحَمَّد يونس كلاز، ويقال لهم القمرية ، لأنهم يعتقدون أن عليا حلّ في القمر ، وأن الإنسان إذا شرب الخمر يقترب من القمر[403] .

2- الغيبية : وهم الذين رضوا بما قدر لهم من الغيب، أو الذين يعتقدون أن الله تجلى في علي ثم غاب عن البشر واختفى .

3- الماخوسية : نسبة إلى زعيمهم علي الماخوس . وقد انشق عن الكلازية .

4- النياصفة: نسبة إلى زعيمهم ناصر الحاصوري من بلدة نيصاف بلبنان[404].

ب- أماكن النصيرية :

يعيش النصيرية اليوم بكثرة في الجنوب والشمال من سوريا، ولهم وجود في تركيا وأطراف لبنان الشمالي وفارس وتركستان الروسية وكردستان[405] .

محاولات لم تثمر :

حاول بعض من زعماء المسلمين إرجاع النصيرية إلى الإسلام ، وقاموابمجهودات كبيرة وترغيب وترهيب ، استعمل فيها الصيرية مبدأ التقية حيث أظهرو الموافقة في حال ضعفهم وأظهروا الحرب في حال قوتهم ، ومن هؤلاء الزعماء ما يلي :

1- صلاح الدين الأيوبي : حيث أمر النصيرية بالصلاة والصوم بعد دحره للصليبيين ، فأطاعوه وبعد موته جعلوا المساجد زرائب للحيوانات .

2- الظاهر بيبرس : بعد أن دحر التتار ألزم النصيرية ببناء المساجد وإقامة الصلاة فيها فبنوها بعيدة عن القرى ، وربما أذن فيها غريب فيقولون له لاتنهق بأتيك علفك .

3- السلطان العثماني سليم : حيث أمرهم بالتزام الشريعة الإسلامية ولكنهم رجعوا بعد موته .

4- أبراهيم باشا ابن مُحَمَّد علي باشا والي مصر .

---

[403] هذا ما يذكره د. الحلبي في كتابه: طائفة النصيرية ص 83، والذي يذكره أكثر العلماء أن الكلازية يعبدون الشمس على اعتقاد أن علياً حل فيها، والنصيرية عموماً يقدسون الشمس والقمر، وتتداخل عبادتهم لهما حسب ميول رؤسائهم.

[404] طائفة النصيرية انظر ص 83، ودراسات في الفرق، صابر طعيمة ص 54، 55، مذاهب الإسلاميين 4 / 295.

[405] العلويون، والنصيرية ص 7.

5- السلطان العثماني عبد الحميد : حيث أرسل يعض المصلحين إلى مناطقهم منهم رجلا من خاصته اسمه ضياء باشا ، وجعله متصرفا على لواء اللاذقية فأنشأ لهم المساجد والمدارس فأخذوا يتعلمون ويصومون ولما اقتنعت الدولة برجوعهم إلى الإسلام ترك باشا هذا امنصب فدنسوا المساجد وأحرقوا المدارس[406] .

6- ومنهم كلك شيخ الاسلام ابن تيمية له إسهام كبير في جهاد هؤلاء ، وانتصر عليهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم في جبل كسروان ، وبين أخطائهم وبين لهم الحق[407].

الا ان كل تلك لمحاولا باءت بالفشل لاعتقادهم أن التكاليف هي من مظاهر الجهل وعدم معرفة الرب المعرفة الحقيقية الباطنية .

[406]انظر: مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ص 65، تحقيق أحمد العوامري ومُحَمَّد أحمد جاد المولى طبعة القاهرة، وخطط الشام مُحَمَّد كرد علي 1/ 260 - 263، 3 / 105 نقلاً عن الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 332، 333. وانظر: طائفة النصيرية ص 65.

[407]انظر: الكواكب الدرية لمرعي الكرمي ص 97، 126، وانظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص 197.

الفصل السادس:

الدروز

تمهيد في بيان خطر هذه الفرقة :

هذه الطائفة هي إحدى فرق الباطنية الإسماعيلية العبيدية[408] الغلاة الذين ألهو الحاكم بأمر الله وجحدوا كل ما أخبر به الله تعالى من يوم القيامة والثواب والعقاب، وقالوا بالتقمص ، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الخامس الهجري في مصر[409] .

وقد حذر علماء المسلمين منها ، بل ذكروا أنهم أشد كفرا من المجوس واليهود والنصارى كما ذكر ذلك السفاريني رحمه الله[410] .

ومما زاد من شرّهم وخطرهم هو تكتمهم على عقائدهم، فلا يسمحون لأحد بالدخول في مذهبهم ولا الخروج منه ، وهم منأخلص الناس لليهود في الماضي وحتى في عصرنا الحاضر في اسرائيل .

المبحث الأول :

التعريف بالدروز وزعيمهم وأسمائهم

أ- التعريف بالدروز :

التعريف بهم في اللغة : تطلق على معان عديدة، فتطلق على الأولاد غير الشرعيين غير معروفي الإباء ، وتطلق على السفلة والسقاط ، وتطلق على القمل والصبئان[411].

وهذه المعاني تدل على الرداءة والانحطاط ، ومن هنا تجد الدروز لا يحبون أنت تطلق عليهم هذه التسمية .

---

[408] نسبة إلي عبيد الله بن ميمون القداح الذي أسس الدولة العبيدية في المغرب سنة 296 هـ، ثم امتد نفوذهم إلى مصر وصارت القاهرة عاصمة لهم.

[409] انظر: أضواء على العقيدة الذرزية. ص 5.

[410] انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب 1 / 252.

[411] انظر: تهذيب اللغة 13 / 181 و القاموس المحيط 2/ 182، وانظر كتب اللغة مادة "درز"

التعريف بهم في الاصلطاح: هو مصطلح يطلق على طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية من غلاة الباطنية انشقوا عن الإسماعيلية في الظاهر ، ويعتقدون ألوهية الحاكم بأمر الله ، ويُنسبون إلى أحد ضلال المجوس واسمه نشتكين الدرزي[412] .

ب- أصل الدروز :

اختلف الناس في أصل الدروز على أقوال كثيرة منها ما يلي :

1- أنهم سلالة قبائل عربية ، وهو ما يزعمونه هم[413].

2- أنهم من سلالة الساكريين الاقدماء.

3- أنهم من بقايا الحيثيين القدماء .

4- أنهم مزيج من عناصر مختلطة من عرب وفرس وهنود .

5- أنهم من سلالة الجنود الفرنسيين الصليبيين .

6- أنهم من أصل إنجليزي .

وتبدوا كل تلك الأقوال – غير القول الأول – غير بعيدة مما يضفي ظلالا من الشكوك والارتياب في أصلهم .

ت- **زعيمهم :**

تنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي ، ويسمى هذا الداعي مُحَمَّد بن إسماعيل ، ويقال له درزي ، وهو من أصل فارسي ، ويعرف ب "نشتكين"[414].

قدم إلى مصر وهو أول من أعلن ألوهية الحاكم ، بعد أن كان يشاركه في ضلالاته رجل فارسي آخر وهو حمزة بن عليالزوزني ، الذي يعد المؤسس الرئيسي للمذهب .

وقد ابتدأ إعلانمذهبه بأن كتب كتابا يقرُّ فيه بألوهية الحاكم ، ومن ثم جاء وقرأه على مسامع المسلمين في الجامع الأزهر ، فثار الناس عليه ، فهرب أو هربه الحاكم إلى جبال لبنان ، ونشر مذهبه هناك إلى أن قتل عام 410 هـ [415].

---

[412]انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 199.

[413] **انظر:** التآليف بين الفرق الإسلامية ص 118.

[414]ويذكر بعضهم أن اسمه منصور نشكين الدرزي.

وينبغي ملاحظة أن الدعوة إلى تأليه الحاكم ابتدات سنة 400هـ ، وقد كانت دعوته سرية فلما أنسوا قبول دعوتهم من سفلة الناس أعلنها مُحَمَّد بن إسمعيل الدرزي ليحظى بقدم السبق في إظهارها[416] .

وقد صارت له الكلمة في الدولة العبيدية آنذاك ، بعد أن طابت أفكاره للحاكم بأمر الله .

وقد لقب نفسه بعدة ألقاب منها الآية الكبرى ، آية التوحيد ، آية الكشف ، العقل الكلي ، الإرداة ، علة العلل، وذوه معه ، وإمام الزمان ، وقائم الزمان ، والمنتقم من المشركين لسيف مولانا ، وغيرها من الألقاب ، وادعى أنه سلمان الفارسي عن طريق التناسخ، وادعى أنه هو الذي أنزل القرآن على مُحَمَّد .

وقد جاء في كتاب لحمزة الدرزي بعث به إلى قاضي القضاة في زمنه ويسمى أحمد بن مُحَمَّد العوام في أول الكتاب حيث يقول : " توكلت على أمير المؤمنين جل ذكره وأستعين به في جميع الأمور ،. معل علة العلل، صفات بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، من عبد أمير المؤمنين ومملوكه .. الخ" [417]

إلى اخر ماجاء في هذا الكتاب من الكفر والجهالة ، وقد اختفى هذا الرجل بعد موت الحاكم إلى أن قتل سنة 430هـ .

ث- أسماء الدروز : أهم أسماء الدروز ما يلي:

1- **الدروز** : هو الاسم المشهور المتداول ، وهو نسبة إلى تشكين الدرزي ، وهو اسم يكرهونه ، مع أنه يُذكر عن بعضهم أنهم صار يلعنه لاختلافه مع حمزة الزوزني .

2- **الموحدين** : وهو الاسم الذي يحبونه ويطلقونه على أنفسيهم في كتبهم ، ويعنون توحيد الحاكم بأمر الله[418] .

[415] انظر: طائفة الدروز ص 77

[416] **انظر**: طائفة الدروز ص 74 - 75.

[417] انظر: طائفة الدروز ص 78.

[418] انظر: طائفة الدروز ص 78.

المبحث الثاني:

سرية عقائد الدروز وأماكنهم وطريقتهم في تعليم ديانتهم

أ- كيف انتشرت العقيدة الدرزية :

الدروز من أصحاب العقائد السرية الذين يحرمون نشر معتقداتهم، ولكن بعد أن فر درزي من مصر إلى جبال لبنان كانت تقيم بعض القبائل العربية الداخلة في الإسلام، وكان لديهم بقايا تأثر بالجاهلية ، فانتشر بينهم المذهب الإسماعيلي ، رغم تفاهاته وحقارته ، فهو يتألف من أفكار مختلطة فلسفية وهندية ويونانية وفارسية وفرعونية محاطة بأسرار كاملة لا يباح لاحد الاطلاع عليها ولا إفشائها .

ولا مانع عندهم أن ينكر الدرزي مبادئهم أمام الآخرين إذا لم تكن له قوة أمامهم ، ولا زالوا يعتقدون ألوهية الحاكم في مجالسهم الخاصة وخلواتهم رغم إنكارهم ذلك أمام الناس ، حيث يعتقدون كما جاء في الرسالة 26 من كتبهم أن الحاكم :" لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"[419].

ب- معاملة الدروز لمن يكشف شيئا من عقائدهم :

يعتبر إفشاء أسرار المذهب الدرزي جريمة تستحق القتل ، أو يثار ضجة حوله أو محاولة إلصاق التهم الكاذبة حول من يفشيها اذا لم يستطيعوا قتله ، كما فعلوا مع الشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض حينما كتب في مجلتي المنهل وراية الإسلام التين كانتا تصدران في جدة والرياض، وأصدروا فتاوى ضده ونشروها في عدة صحف ، وكما فعلوا مع أحد علماء الدروز حينما فظح قبحهم وهو عبد الله النجار ، فقتلوه غيلة[420] .

وما قاله أيضا مُحَّد أحمد الخطيب حينما طبع كتابه عقيدة الدروز فانهالت عليه المكالمات والرسائل التي تهدده بالقتل وتتوعده بالثبور إن لم يعتذر عن كتابه ، وما ذلك إلا لمعرفتهم برداءة مذهبهم وأنه لا يقوم على حجج وبراهين يستطيعون بها مقارعة الحجج .

يقول حمزة بن علي مؤسس المذهب : " إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سرّ الديانة وإظهار كتب الحكمة والذي يظهر شيئا من ذلك يقتل حالا تجاه الموحدين ولا أحد يرحمه "

ج- أماكن الدروز :

---

[419] مذهب الدروز والتوحيد ص 105، 106، عن الحركات الباطنية ص 237.

[420] انظر: عقيدة الدروز 179.

استوطن الدروز أماكن كثيرة متفرقة أبرزها ما يلي :

1- سوريا : في محافظة السويداء وجبل حوران في أكثر من ثلاث وسبعين قرية.
2- لبنان : في الغرب الأسفل والغرب الأعلى وفي الشحار والمناصف والجرد والعرقوب والباروك والجرد الشمالي وفي الشوف .
3- فلسطين : عند جبل الكرمل وصفد .
4- المغرب : قرب مدينة تلمسان قبيلة تعرف ببني عبس .

قال مُحَمَّد كامل حسين بعد أن ذكر تلك الأماكن: "ومن يدري لعل الباحثين يكتشفون طوائف أخرى تعتنق مذهب الدروز في الأقاليم العربية"[421] .

ح- طريقة الدروز في تعليم ديانتهم :

علماء الدروز من أشد الناس تسترا على مذاهبهم حتى للموالين منهم ، فلا يطلع أحد منهم على أسرار المذهب إلا بعد امتحانات كثيرة من قبل مشائخهم .

وطريقى تعليمهم عقائد المذهب يتوقف على رتبة المتعلم ، وذلك كما يلي : \

- ينقسمون –كما يذكر مُحَمَّد كامل حسين – إلى عقال وأجاويد ، وهم من يحق لهم معرفة أسرار المذهب ، وبين جهال لا يحق لهم معرفتها .
- العقال ينقسمون إلى ثلاث درجات ، عليا ووسطى ودنيا.
- في مساء كل جمعة يجتمعون في الخلوات وهي أماكن العبادة ، ويقرأ عليهم كتابهم المقدس ، فبعد تلاوة المقدمات يخرج الطبقة الدنيا ، وبعد تلاوة بعض الرسائل البسيطة يخرج الطيقة الوسطى ، ولا يبقى إلا أصحابل الدرجة العليا بعد ذلك .
- الجهال فلا يسمح لهم بحضور هذه الخلوات أو بسماع شيء من الكتب المقدسةإلا في يوم عيدهم وهو يوافق عيد أضحى المسلمين .
- لا يسمح للجهال أن ينتقلوا الى طبقة العقال الا بعد امتحانات شاقة وعسيرة وكثيرة وترويض للنفس على التحمل، إذ لا يقبل في طبقة العقال من يدمن التدخين مثلا وقد يستمر الامتحات أكثر من سنة إلى أن يثق به الشيوخ .

---

[421] طائفة الدروز ص 5، 6.

- أهم صفات العقالأنهم يعرفون بعمائهم ولبس القباء الأزرق الغامق ويطلقون لحاهم.
- أما النساء فينقسمون إلى عاقلات وجاهلات، والعاقلات يلبسن النقاب وثوب اسمه وصاية .
- عليهم جميعا رؤساء دينيون في كل مكان، وعلى رأسهم شيخ يسمى شيخ العقل وتنصيبه يتم بالانتخاب أو بالاتفاق بين كبارهم .
- شيوخ العقال سياسيا ينقسمون إلى حزبين، وهما الجنبلاطية واليزبكية.
- عامة دروز لبنان ينقمسون إلى أمراء وهم آل أرسلان[422]ومشايخ وهم الجنبلاطية[423] واليزبكية[424] ، و وقسم ثالث وهم العامة[425] .

المبحث الثالث:

من هو الحاكم بأمر الله الذي أله الدروز

هو أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي، لُقّب بالحاكم بأمر الله ، ولد سنة 375 هـ وتولى الملك بعد موت أبيه سنة 386هـ وكان سادس ملوك العبيدين، تولى الملك وعمره إحدى عشرة سنة .

ادعى الألوهية على يد حمزة بن علي وغيره من ملاحدة الباطنية سنة 408هـ إلى أن قتل سنة 411هـ ، وكان سفاكا للدماء ومعروفا بإرهاب الناس ،وقد كان فتاكا بوزرائه وقتالا للعلماء والكتّاب ووجوه الناس ما لا يحصى .

وقد كان هذا الطاغية مثلا للتصرفات المتناقضة ، منها أنه لبس الصوف سبع سينين وامتنع عن دخول الحمام ، وأقام سبع سنين يجلس في ضوء الشمع ليلا ونهارا، ثم أقام في الظلمة .

ومن تناقضاته أنه يأمر بسب الصحابة ثم يعود فينهى عن ذلك ،وقد بنى مساجد كثيرة ثم منع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها .

---

[422]آل أرسلان هم المناذرة ملوك الحيرة الذين كان لهم في زمن الدولة العباسية قوة ونفوذ في لبنان وكذلك في زمن الدولة الفاطمية.

[423]لجانبلاطية نسبة إلى جانبلاط بن سعيد بن مصطفى بن حسين جانبلاط.

[424]اليزبكية عائلة من مشائخ الدروز في لبنان ينسبون إلى قبيلة من قبائل أزد عمان القيسية.

[425]انظر: طائفة الدروز ص 28، 29 فصل طبقات المجتمع عند الدروز

وقد أراق خمسة الاف جرة من العسل في البحر خوفا من أن تصنع نبيذا ، ومنع الناس من الخروج ليلا ونهارا، وأمر بقتل الكلاب ثم منع منه، وقد أمر أن يقف المصلون عند ذكر اسمه ، فكان يوقف حتى في الحرمين الشريفين ، أما أهل مصر فكانوا يسجدون له عند ذكر اسمه من الخطيب ، فسيجد لسجودهم أهل السوق ويتبعهم من يراهم[426].

وكان يعمل الحسبة بنفسه ويرافقه عبد يقال له مسعود فكان يفعل الفاحشة العظمى بكل من رآه يغش[427].

وقد كان الناس يطلبون منه الأمان على ذنب لم يعملوه ، يستوي في ذلك الورزاء والكتاب وأصحاب الدواوين والغلمان والمسلمون والنصارى.

وربما يسيرون من أحد ميادين القاهرة حبوا يقبّلون الأرض إلى أن يصلوا إلى قصره يطلبون منه العفو ، فيعطيهم كتاب الأمان على ذنب لم يعلموه وصورة كتاب الأمان هي : "هذا كتاب عبد الله ووليه المنصور أبي علي الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إنكم من الآمنين بأمان الله الملك الحق المبين وأمان جدنا مُحَمَّد خاتم النبيين وأبينا على خير الوصيين .. لا خوف عليكم ولا تمدّ يد بسوء إليكم إلا في حد يقام بواجبه وحق يؤخذ بمستوجبه .." [428]

وقد احتار الناس في أمر هذا الحاكم، فمنهم من يرى أنه إله وهم الدروز، ومنهم من يرى أنه إمام عظيم وهم الإسماعيليون، ومنهم من يرى أنه مجنون مختل وهم بعض كتاب المسلمين والنصارى.

ولكن الحقيقة يظهر أنه ليس بمختل أو مجنون خصوصا وأنه حكم لمدة 25 سنة ، وإنما يظهر كل ذلك الإرهاب تمهيدا لدعواه الألوهية ، وقد أظهرها بعد ذلك بالفعل .

هلاك الحاكم :

شُغف الحاكم بالخروج ليلا والطواف بجنبات جبل المقطّم للنظر في النجوم والخلو بنفسه ، وفي ليلة الاثنين 27 شوال سنة 411هـ خرج للطواف ومعه رجل وصبي ولكنه لم يعد.

وقد ذهب جملة من المؤرخين إلى أن أخته ستّ الملك هي من دبّرت اغتياله لأمرين:

---

[426] انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة 1 / 601.

[427] البداية والنهاية 12 / 9، وانظر: طائفة الدروز ص 38 وقف على تشكيك د/ مُحَمَّد كامل حسين في صحة ذلك.

[428] انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ص 59، عقيدة الدروز ص 48.

أحدهما: هو أنها خافت على نفسه من بطشه بعد أن تهمها بسوء سلوكها مع الرجال.

والثاني: هو إنكارها لما قام به الحاكم وخافت زوال ملكهم[429].

ويرى بعض المؤرخين كالدكتور مُحَمَّد كامل حسين أن من دبر اغتياله هم اليهود لاضطهاده لهم[430] ، ومنهم من يرى أنه قتل بمؤامرة باطنيه بسبب إفشائه لأسرارهم ، وهو رأي الدكتور مُحَمَّد أحمد الخطيب[431] .

وعلى كل حال، فقد كان اختفائه بهذه الطريقة فرصة لإذكاء دعوى الدروز أن الحاكم اختفى وسيعود قريبا مرة أخرى ليملأ الأرض عدلا ، مما شجع ظهوربعض الدعاوى من بعض الأشخاص المغامرين الذين ادعى فيها كل واحد منهم أنه هو الحاكم، كرجل اسمه سكين عام 418 ادعى أنه الحاكم قد رجع من غيبته ووقف ينادي بذلك على باب قصر الحاكم ، فما برح أن قتله الحراس ، وكذلك رجل آخر اسمه شروط ، ورجل ثالث اسمه ابن الكردي ، حيث صارت هذه الدعوى سهلة لا تتطلب أكثر من المغامرة والجرأة والاستهانة بعقول البشر .

المبحث الرابع:

أهم عقائد الدروز

للدروز عقائد كثير وخرافات لُفّقت من أساطير وديانات مختلفة ، وأهم عقائدهم ما يلي :

1- **ألوهية الحاكم** : أسبغ الدروز على شخصية الحاكم أوصافا لا تليق إلا بالله تعالى كما قرر ذلك زعيمهم حمزة بن علي، وادعوا أن الحاكم له حقيقة لاهوتية وظهر بناسوته ليقيم الحجة على عباده ، وأن جميع أفعاله له حكمة .

وللداخل في مذهبهم عهد لا بد أن يردده، وفيه تصريح ببيع الشخص نفسه للحاكم ، وأن يخلص له وأن يتبرأ من جميع الأديان ، وفي أول العهد يقول : " آمنت بالله ربي الحاكم العلي الأعلى رب المشرقين ورب المغربين" [432]

---

[429] انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 213.

[430] طائفة الدروز 48.

[431] انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص 212، 213.

[432] انظر لذلك: العهد بطوله ص 228 – 230 من كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي.

وقد جاء في رسال حمزة بن علي كثيرا ما يثبت ألوهية الحاكم كما جاء في رسالة السيرة المستقيمة، وهي من كتب الدروز المقدسة، حيث يقول عن الحاكم : " الملك الجبار العزيز الغفار المعز القهار الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد فلمولانا الحمد والشكر .."[433]

وقد جاء مثل ذلك في كثير من رسائلهم المقدسة كرسالة البلا غ والنهاية في التوحيد ورسالة سبب الأسباب لحمزة الزوزني ورسالة الغيبة وغيرها .

ولم يقتصر الدروز على الوهية الحاكم بل أطلقوها على كثير من آبائه ومن كبار دعاتهم على مقتضى أن الله يظهر للناس بين فترة وأخرى بصورة بشرية .

2- **القول بالتناسخ** : يعتقد الدروز بالتناسخ أو التقمص كما يسمونه ومعناه عندهم أن تنتقل النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر .

فالنفس لا تموت، وإنما تنتقل نفس الموحد إلى موحد ونفس المشركإلى مشرك، ولذلك عدد سكان العالم لا يزيد ولا ينقص عندهم[434] .

وقد قصروا التناسخ على البشر بخلاف النصيرية الذين جعلوه حتى في البهائم والجمادات ، لاعتقادهم أن انتقال النفس إلى جسم حيوان غير بشري ظلم لها لتعلق العقاب على نفس غير عاقلة ، ولأن وقوع العقاب لا يصح إلا بعد مرورها في أجسام بشرية على مدى دهر طويل لكي تحاسب بعدل ، فالروح يشبّهونها بسائل في إناء، فاذا كسر فلا بد أن يلقي السائل في إناء آخر لئلا يضيع .

وحقيقة العذاب عندهم هو انتقال الروح من درجات عالية إلى درجة دونها في هبوط مستمر إلى أقل الدرجات، حيث يتم تعذيبها في كل دور بعذاب الضمير والندم على مافات .

3- **إنكار القيامة** : لا يؤمن الدروز بيوم القيامة ولا بالحاساب ولا بالجزاء ولاب الثواب ولا بالعقاب في الحياة الآخرة ، وإنما يتم كل ذلك عن طريق التقمص، وما تلاقيهالروح من نعيم أو عذاب .

433

434 انظر: طائفة الدروز ص 107

وهم ينتظرون يوما يجيء في الحاكم بصورة ناسوتية مرة أخرى ، ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة ، وأنه سوف يخرج من مصر أو من بلاد الصين ، وحوله يأجوج ومأجوج أو المؤمنون بالحاكم ، ويخرج يهدم الكعبة ويبيد المسلمين والنصارى[435] .

ويكون ذلك إذا ظهرت علامات من أبرزها تسلط اليهود والنصارى على البلاد ، وتفشي الشرور ، وعند ظهور ملك من مصر يحارب المصريين ويحاربونه .

ومن علامات قرب مجيئه أيضا هو أن يظهر المسيخ الدجال ويخرب حلب ثم يظهر المسيح بن يوسف في مصر [436]، ويملكاليهود بيت النقدس وينتقمون من سكان القدس ، ثم يطردهم المسيح بن يوسف ، وغير ذلك من الخزعبلات[437]إلى أن يظهر الحاكم لينتصر على الجميع ، ولهذا يفرحون باستيلاء اليهود على القدس وتسلط النصارى ليظهر ربهم الحاكم [438].

4- **عداوتهم للأنبياء** : حقد الدروز حقدا شديدا على الأنبياء عليهم السيلام وينكرون كل فضائلهم ، ونسبوهم إلى الجهل لأنه يدعون إلى توحيد الإله المعدوم بخلافهم فهم يدعون إلى الإله الموجود وهو الحاكم .

وأوجبو البراءة من جميع الأديان وسبّوا الصحابة خصوصا من أطفأ منهم نار المجوسية كعمر ﷺ، وينكرون بدأ الخلق ويدّعون أن دم وحواء من نسل بشر ، وأنهم لم يخلقوا من تراب ، لأن التراب تخلق منه الحيات والعقارب[439] .

5- **إنكار التكاليف**: أنكر الدروز كل التكاليف التي جاء بها الشرع ، وجلعوا للمكلف طريقة يستطيع بها التخلص من التكاليف ، وهي سبب التأويلات الباطنية على كل التكاليف والتي تقتضي التخلص منها حتى إنهم خالفوا سائر الباطنية واتخذوا لهم فروض أطلقوا عليها

[435] انظر: الحركات الباطنية ص 236 نقلا عن مخطوطة وجدها في جبل لبنان لمؤلف مجهول.

[436] زعمهم في المسيح بأنه ابن يوسف النجار تبعا لما وجدوه في تناقضات النصرانية المحرفة.

[437] انظر: طائفة الدروز ص 121-122

[438] انظر: الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار – عقيدة الدروز ص 167

[439] انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص302

الفرائض التوحيدية ، وهي معرفة الباري ثم معرفة إمام الزمان القائم وهو حمزة ثم معرفة الحدود[440]،بأسمائهم وألقابهم ومراتبهم ووجوبطاعتهم وبهذا يتم توحيد الموحد عندهم [441].

6- تأويل العبادات العبادات بمعان باطنية:

الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد لها معان أخرى باطنية ليست كالتي يعرفها جميع المسلمين وذلك كما يلي: .

أ- الصلاة عندهم هي صلة قلوب الدروز بعبادة الحاكم، أما الباطنية فمعناها عندهم الدعاء إلى الإمام ومعرفة الأئمة.

ب- الزكاة عندهم تزكية قلوبهم وتطهيرها من الأديان، وأما الباطنية فالزكاة عندهم بمعنى أخذ العلم عن الأئمة[442] .

ت- الصوم عندهم معناه صيانة القلوب بتوحيد مولاهم الحاكم، وذكر بعضهم أنهم يصومون تسعة أيام الأول من شهري ذي الحجة، وأما الصوم عند الباطنية فهو كتمان أسرار الأئمة[443] .

ث- الحج عندهم معناه توحيد الحاكم لا المجيء إلى مكة والطواف ، وأما الحج عند الباطنية فهو طلب العلم عند مشائخهم [444].

ج- الجهاد معناه عندهم السعي إلى الاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفته ، وأما الباطنية فالجهاد عندهم شتم أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة وإخفاء مذهبهم عن غيرهم[445] .

---

[440] كبار دعاتهم.

[441] انظر: طائفة الدروز ص118

[442] انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص8

[443] انظر: طائفة الدروز ص120

[444] انظر: بيان مذهب الباطنية ص8

[445] انظر: الباكورة السليمانية ص 164 نقلا عن الحركات الباطنية ص 392

المبحث الخامس:

الدروز في العصر الحاضر – كمال جنبلاط ودوره في تثبيت عقيدة الدروز

يعد هذا الشخص من كبار الدروز ومن أشد المتعصبين لمذهبه الدرزي، وقد ألّف كتابا بمعاونة عاطف العجمي يحاكيان فيه القرآن الكريم ، وهو مؤلف من أفكار شتى ومن حكم الهند ومن كلام زعمائهم، فأصبح خليطا مشوها يدور كله حول تأليه الحاكم .

وقد نُسب هذا المصحف إلى حمزة إلا ان الدكتور الخطيب يرى أنه من صنع كمال جنبلاط.

وقد أنكر في مصحفه القرآن واعتبره فرية ، وهو مقسم إلى أربعة وأربعين عرفا ، ويقع في 269 مائتين وتسع وستين صفحة، وكتبت فيه ألفاظ عربية وهي غير معروفة حيث يرون أنها من الأسرار التي لا تباح لأحد[446] .

ومن ضمن ماجاء في هذا المصحف الدرزي : " أنتم وما تعبدون مكبكون على وجوهكم يوم ينادي منادي مولاكم الحاكم من مكان بعيد هذا يومكم الذي فيه توعدون تتلوها أيام العذاب أنكم خالدون ولا محيص ... "[447] إلى آخر ماجاء فيه من الترهات والكلام الممجوج.

المبحث السادس:

الفرق بين النصيرية والدروز

يتفق النصيريون والدروز في أمور ويختلفون في أمور لتباينهم في دعوى الألوهية لزعمائهم ، ويتضح من خلال الدراسة السابقة ما يلي :

1- أن كلتا الطائفتين من غلاةالباطنية.
2- أن كلتاهما لا يطلعون أحدا على أسرار مذاهبهم.
3- لايعترف الدروز بدخول أحد مذهبهم أو الخروج منه.

---

[446] انظر: مصحف الدروز ص 1، عقيدة الدروز ص 97.

[447] المصحف المنفرد بذاته، عرف عاقبة المكذبين ص 241، 242، وعرف المحرمات ص 154، 155، الحركات البانية ص 281.

4- لايأخذون كلتاهما بظواهر الألفاظ بل يؤولونها تأويلات باطنية.

5- أن كلتاهما يقولون بالتناسخ ويختلفون في التمسية فالدروز يسمونه تقمص ، والنصيرية يسمونه نسخ ، ويضيفون إليه مسخ وفسخ ورسخ .

6- أن الجنة عند الدروز هي معرفة الدعوة الهادية أي دعوتهم، والنار هي الكفر بها، والنصيريون يقولون بأن الجنة هي معرفة علي بن أبي طالب والنار هو الكفر به.

7- يتفقون جميعا في اعتبار الحج ظاهرة وثنية وعبادة للأصنام.

8- الشرك عند الدروز هو عدم إفراد ألوهية الحاكم ، والشرك عند النصيرية عدم إفراد ألوهية علي بن أبي طالب .

9- يزعم الدروز أن الناس خُلقوا دفعة واحدة لا يزيدون ولا ينقصون وأن أرواح الموتى تنتقل عن طريق التقمص.

10- أن النصيرية انشقت عن الشيعة الإثني عشرية والدروز انشقوا عن الإسماعيلية والنصيرية أقدم في الظهور.

11- أن كلتا الطائفتين استمدت أفكارها من أصول مجوسية ووثنية تتستر تحت غطاء التشيع لتحقيق مآربهم الخاصة ولإعادة دولة المجوس.

مراجع فرقة الباطنية

أ-مراجع الباطنية عموما:

1- فضائح الباطنية: للغزالي.

2- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: للدكتور الخطيب.

3- أسرار الباطنية والفرق الخفية: مُحَمَّد عثمان الخشت.

4- الباطنيون والحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي: للجبهان.

5- كشف أسرار الباطنية: لأبي الفضائل الحمادي.

6- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية: لبرنارد لويس.

7- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام: يحي بن حمزة العلوي.

8- الإسلام في مواجهة الباطنية: أبو الهيثم.

9- أعلام الإسماعيلية: مصطفى غالب.

10- الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان إلهي.

11- بيان مذهب الباطنية وبطلانه: الديلمي.

12- القرامطة: محمود شاكر.

13- الإمامة في الاسلام: عارف تامر.

ت- مراجع فرقة النصيرية:

1- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها: د. سليمان الحلبي.

2- الهفت الشريف تحقيق د. مصطفى غالب.

3- سقوط الجولان: خليل مصطفى.

4- الجيل التالي: مُحَّد حسين.

5- العلويون أو النصيريون: عبد الحسين مهدي العسكري.

ج- مراجع فرقة الدروز:

1- المراجع السابقة.

2- الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة: شيبة الحمد.

3- عقيدة الدروز: مُحَّد أحمد الخطيب.

4- التآلف بين الفرق الإسلامية: مُحَّد حمزة.

5- أضواء على العقيدة الدرزية: أحمد الفوزان.

6- الدروز: مُحَّد الزعبي.

7- طائفة الدروز: مُحَّد كامل حسين.

ولا يكاد كتاب فيه بحث عن الفرق يخلو من ذكر هذه الفرق الباطنية.

الفصل السادس:

البابية

تمهيد : نبذة عن أساس ظهور البهائية وبيان صلتها بالبابية :

تعتبر البابية هي الأساس الذي بنيت على أنقاضه البهائية ، والبهائية إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وأخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديما وحديثا .

وقبل الحديث عن البهائية يجدر الحديث عن البابية والشيخية والرشتية لأنها حلقات متصلة مع البهائية ، فالشيخية والرشتية هي النواة الأولى لظهور البابية ، والبابية هي الدرجة الأولى للبهائية .

ومن أبرز الفرق الأولى التي اعتنقت القول بالباب ما يلي:

أ- الشيخية :

وهي تنسب إلى الشيخ أحمد الإحسائسي ، من شيعة العراق[448] ، ولد بالمطير من قرى الإحساء ، سنة 1166هـ" وتوفي سنة 1241هـ ودفن بالبقيع[449] .

له أفكار خارجة عن الإسلام ، كالاعتقاد بالحلول وأن الله يتجلى في علي وأولاده ، وأنهم مظاهر الله ، وأن الائمة هم العلة المؤثرة في الكون ، وينكر المعاد والبعث ، ويظهر القول بالتناسخ وأن روح المهدي حلت فيه وغيرها من الآراء الالحادية .

ويزعم أن الرسول مخلوق من نور الله ، وأن هذا النور عقل واحد يظهر في مُحَمَّد ثم في علي ثم في الحسن ثم في الحسين وأن" الزمان لا يخلو من ناطق ، ويؤمن بالرجعة ولكنها غير الرجعة المعروف عن الاثني عشرية ، حيث يعتقد أن الإمام الثاني عشر قد مات ، ولكن روحه ستنزل آخر الزمان في إنسان جديد تولد ولادة حقيقية لغير والدي الإمام الثاني عشر المعروف[450] .

---

448 انظر: البهائية لمحب الدين الخطيب ص5.

449 انظر: حقيقة البابية والبهائية ص 30.

450 انظر: حقيقة البابية ص 30 - 34. والبهائية ص 74

ب- الرشتية : ما إن انتهت أيام الاحسائي الشيخي حتى تولى بعد أعظم تلاميذه وهو الرشتي واسمعه كاظم الرشتي الذيي أسس جماعة ينسبون إليه ، ولد سنة 1205هـ في بلدة رشت في إيران[451] .

وقد زاد على أقوال أستاذه أقوالا كفرية وقال بالتناسخ وادعى أن روح الباب حلت فيه ثم قفز إلى التبشير بظهور المهدي نفسه ، وقد روج أفكاره وصارت له فرقة مستقلة[452] .

المبحث الأول :

زعيم البابية

هو علي بن مُحَمَّد رضا الشيرازي ولد سنة 1235هـ في شيراز جنوبي إيران ، كفله خاله بعد موت أبيه ، ثم تتلمذ على يد الشيخ عابد وهو أحد تلامذة الرشتي ، في مدرسته التي سماها قهوة الأنبياء والأولياء ، ثم تاجر مع خاله ببيع الأقمشة وعندما بلغ السابعة عشر اتصل به جواد الكربلائي الطبطبائي وهو أحد دعاة الرشتية ، وبدأ يوهمه أنه ربما يكون هو المهدي المنتظر لظهور علامات تدل عليه ، فمال إلى قراءة كتب الصفوية التي زداته هوسا .

ثم عمل بعض الرياضات الشاقة ، فأشفق عليه خاله فأرسله إلى النجف وكربلاء ، فتردد على مجالس كاظم الرشتي وقد رشحه الرشتي أيضا أن يكون هو المهدي المنتظر ، فأعلن في سنة 1260هـ أن الشيرازي هو الباب الموصل إلى الإمام الغائب ، وتم هذا باتفاق بين مشايخ الرشتية وسفير روسيا آنذاك .

وكان عمره خمسا وعشرين سنة ، واعتبر ذلك اليوم عيد المبعث لظهور الباب ، وأهم من آمن به ثمانية عشر شخصا توزعوا في أقاليم إيران وتركستان والعراق للدعوة إلى البابية .

صلتهم بالمستعمرين في ذلك الوقت :

سارع زعماء الإنجليز والروس إلى حماية الشيرازي وأتباعه ، ووقفوا بكل قوة معه ومع دعوته ومدها بالأسلحة الخفيفة والثقيلة كما ذكر المترجم الروسي في السفارة الروسيى آنذاك كنيازد الجوركي في مذكرته أنهم دفعوا الميزرا علي مُحَمَّد إلى زعامة البابية وادعاء المهدوية[453].

[451] انظر: حقيقة البهائية ص35.

[452] البابية عرض ونقد ص 45 والشيعة والتشيع 313 وحقيقة البابية والبهائية ص35.

نهايو الشيرازي :

وقف حسين خان حاكم شيراز ضد الدعوة البابية للشيرازي موقفا حازما حيث استدرجه وألان له القول وأهمه باتباعه ، ثم دعى العلماء ليوهمه بأنه سوف يقيم عليهم الحجة في صدق الباب ، فاجتمع بالعلماء وأظهر لهم كتابه البيان مدعيا أنه أفصح من القرآن ، وسجل كل ما يدعوا إليه كتابه بطلب من الحاكم ، فأمر الحاكم بجلده جلدا شديدا ثم طيف به في الأسواق ، إلى أن أعلن رجوعه عن مايدعوا إليه ورجوعه إلى المذهب الإثني عشري ثم ألقي به في السجن ، ولكن بقي له أتباع ينشرون سرا دعوته ويحدثون فوضى واغتيالات لمن عاداهم إلى أن أجمع كبار فقهاء حكومة إيران وكفروا الباب وأعلنوا مروقه من الإسلام ووجوب قتله[454] .

إلأا أن حاكم ولاية أصبهان منوجهر خان كان ممن يتظاهر بالإسلام فخبأ الشيرازي عنده معززا مكرما يرسل إلى أتباعه من داخل مخبأه في القصر ، إلى أن توفي وخلفه جوجرجين خان فأخبر حكومة الشاه ظهرات بوجود الشيرازي فألقي القبض عليه واعتقل في قلعة ماه كو لمدة ثلاث سنوات.

المبحث الثاني:

مؤتمر بدشت[455] وما تم فيه من خطط

قرر البابيون إقامة مؤتمر بعد أن أحسُّوا من أنفسهم القوة وقرروا تباحث أمرين، وهما تخليص الباب من السجن ولو بالقوة ، وكيفية نسخ شريعة الإسلام وإظهار شرائعهم .

فتمَّ عقد المؤتمر في صحراء بدشت حضره زعماء البابية ، وكان من بينهم غانية البابيين الخليعة أم سلمى رزين تاج ، التي كانت تلقَّب بقرَّة العين، وتلقب بالطاهرة، وهي ذات جمال فائق وأنوثة ثائرة، تستميل بجمالها أغمار الناس ، ولها أخبار يطول ذكرها .

وتم عقد المؤتمر باختلاط الرجال بالنساء وأبيحت فيه الخمور، وأُعلن الفرح والمرح والأفعال المشينة والتي أقلها إباحة الزنى ، وقرروا فيه رسولية الباب ونسخ الاسلام ، وانفتحت على حكومة طهران مصائب كثيرة من جراء البابيين، فقررت الحكومة قتله يوم الإثنين 27 شعبان سنة 1265هـ 1849م ، فقتل

---

[453]البهائية رأس الأفعي، لمجموعة من الكتاب ص 10 - 11.

[454] بتصرف عن البهائية لعبد الرحمن الوكيل ص 85-87

[455] هي صحراء في إيران.

شرَّ قتلة رميا بالرصاص في يوم مهيب اجتمعت حشود الناس لمشاهدته ، فسرّ المسلمون بقتله، وحزن القنصل الروسي وساءه قتله ، ثم قتل بقية البابيين كقرة العين والكاشاني وغيرهم[456] .

المبحث الثالث:

أبرز عقائد البابية وكتابهم المقدس

المطلب الأول : أبرز عقائد البابية

أ- تدرج الشيرازي في ضلاله فادعى أنه الباب المهدي ثم ادعى أنه هو المهدي ثم ادعى النبوة ثم ادعى الألوهية.

ب- كان أتباعه ينادونه بالرب وبالإله[457] .

ت- قررت البابية نسخ الاسلام ، وإنكار القيامة وزعموا أن القيامة قيامة الورح الإلهية في مظهر بشري.

ث- أولوا أخبار يوم القيامة بتأويلات باطنية ، فزعموا أن البعث هو الإيمان بألوهية هذا المظهر، وأن القيامة هي لقاء الباب ، والجنة هي الفرح بالباب، والنار هي عدم معرفة الله في تجلياته البشرية .

ج- زعم الشيرازي أنه هو البرزخ المذكور في القرآن ، والرجعة في مفهومه هي رجوع الصفات الإلهية وتجليها في مظهر بشري جديد.

ح- الغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ومنع الطهر من الجنابة .

خ- القبلة عندهم هي بشيراز في البيت الذي ولد فيه الشيرازي والحج إليه هو زيارة بيته .

د- الصوم عندهم تسعة عشر يوما يصوم فيها الشخص من شروق الشمس إلى غروبها.

ذ- الزكاة عندهم هي خمس العقار تأخذ في آخر العام من رأس المال حيث تجمع للمجلس البابي المكون من تسعة عشر عضوا .

ر- الزواج عندهم إجباري بعد بلوغ الحادية عشر ويكفي رضا الطرفين .

ز- الطلاق عندهم تسع عشرة مرة وعدة المطلق تسعة عشر يوما وعدة المطلق خمسة وتسعون يوما وإذا تزوجت الأرملة فيجب دفع الدية كاملة على من يتزوجها.

---

[456] انظر:ا لبهائية لمحب الدين الخطيب ص 5 وحقيقة البابية والبهائية ص 30 والبهائية لعبد الرحمن الوكيل ص 73

[457] انظر: البابية عرض ونقد ص 182 فقد نقل نصوصا كثيرة في هذا تحت عنوان دعواه الألوهية والربوبية.

س- ليس في دين البابية نجاسة ويجب دفن الميت في قبر من البلور والمرمر والمصقول مع وضغع خاتم في يمناه .

ش- الميراث يكون لسبعة أشخاص من القرابة هم الولد والزوج والزوجة والأب والأم والأخ والأخت والمعلم .

ص- عيدهم الرئيسي هو النيروز ومدته تسعة عشر يوما .

ض- يستقبل البابية الشمس في كل صباح جمعة كعبادة .

ط- حرم الباب على أتباعه قراءة القران وأوجب إحراقه والكتب المخالفة لعقائدهم[458] .

المطلب الثاني:

الكتاب المقدس عند البابية

يعد كتاب المسمى بالبيان ويطلقون عليه كتاب البيان العربي، الكتاب المقدس للبابية، وزعم فيه أنه منزّل من الله وأنه ناسخ للقرآن، وأنه أفضل الكتب على الإطلاق وتحدى الجن والإنس أن يأتوا بمثله[459] .

ونذكر مثالا على ماجاء فيه من ترهات وخزعبلات، مثل ماجاء في اللوح الأول من آيات الوحي " شئون الحمراء" حيث يقول : " تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ تبارك الله من بدء مبتدأ بديء تبارك الله من فخر مفتخر فخير تبارك الله من قهر مقهر قهير .." إلى آخر ماجاء فيها من خرافات[460] .

وعلى كل حال ، فبعد أن قضى الشيرازي وانتهى أمره قام صراع حاد حول تولي الزعامة البابية بين حسين علي المازندراني وبين زعماء البابية بزعامة أخيه صبح الأزل ، وفي هذا الخلاف قصص حدثت بينهما ليس هنا داعي لذكرها .

---

[458] توجد تعاليم البهائية مبنية في كثير من الكتب، انظر: البهائية للوكيل ص117 – 121، ومنها ذكرت تلك المسائل المختصرة، وانظر: البابية عرض ونقد المقال الثالث ص 187 شريعة الباب وتعليماتها.

[459] قال الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه حقيقة البهائية والبابية ص 40: إذا أردت تفصيل حياة الميرزا فراجع مطالع الأنوار، ومفتاح باب الأبواب، والبابيون والبهائيون، والكتاب الأول مؤلفه يسمى مُحَمَّد زرندي، والثاني مؤلفه ميرزا مُحَمَّد مهدي خان، والثالث مؤلفه عبد الرزاق الحسني، واسم الكتاب كاملاً البابيون والبهائيون ماضيهم وحاضرهم.

[460] **انظر**: انظر: مفتاح باب الأبواب ص 282، نقلاً عن حقيقة البابية والبهائية ص 99.وتاريخ البابية للدكتور ميرزا مُحَمَّد مهدي خان ص 309، نقلاً عن البهائية للوكيل ص 80، وانظر: كتاب البيان للشيرازي منقولاً بكامله في كتاب خفايا البهائية.

المبحث الرابع:

هزيمة البابية وخطرهم

أولا : هزيمة البابيين : هزمت البابية بقيادة صبح الأزل على يد حسين المازندراني هزائم منكرة بمساعدة ومساندة اليهودية العالمية وتهيئة الظروف لانتشارها.

وقد هاجم المازندراني صبح الأزل وأتباعه بكلام طويل يزعم أنه وحي من الله ، وفسروا وصية الشيرازي بتولي صبح الأزل بعده أنها خطة منه للفت الأنظار عن المازندراني .

وقد نفي صبح الأزل إلى فاما جوستا بقبرص وظل يؤلف الكتب في الرد على البهائية إلا أنه لم تجد نفعا إلى أن توفي عام 1912 هـ عن اثنتين وثمانين سنة بعد أن أوصلى لابنه الميرزا مُحَمَّد هادي[461] .

ولما كان الغرض من ذكر ما سبق هو الوصول إلى البهائية فإننا نكتفي بذكر ما سبق بيانه من بيان نشأة البهائية على أنقاض البابية والتي هي قامت على أنقاض الرشتية وهي قد قامت على أكتاف الشيخية الضالة . فمن هي البهائية وكيف قامت ؟.

هذا ماسنبحثه في الفصل التالي .

[461] انظر: قراءة في وثائق البهائية ص 69- 77. وانظر: البابية عرض ونقد ص 266 - 268.

الفصل السابع : البهائية

تمهيد:خطر البهائية :

البهائية هي إحدى الحركات الهدامة التي احتضنتها الصهيونية العالمية الهادمة للأديان وخصوصا الإسلام ، وقد تسربلت بأثواب براقة إلى أذهان كثير من الناس، وكان لها نشاط بارز في مصر سنة 1972م أقلقت الرأي العام، وكتب عنها رجال الفكر في مختلف الصحف وتمت محاكمة البهائيين واتضح أنهم فئة خارجة عن الإسلام وأن ربهم هو بهاء الله وليس الله ، وحولوا الحج من مكة إلى المزارات البهائية في اسرائيل .

ولهم شهور تخالف الشهور الإسلامية وعادات وخلايا ومحافل تبث فيها سمومها وتدعوا إلى محاربة الإسلام [462].

وقد حوربت هذه الفرقة في كل من مصر وتركيا وإيران بعد اطلاع علمائها على خطر هذه الفرقة الكبير على الإسلام .

المبحث الأول: زعيم البهائية

أ- اسمه ونشأته :

مؤسس هذه الطائفة يسمى حسين علي وأبوه يسمى عباس بزرك النور المازندراني .

ولد حسين علي المازندجراني في إيران في قرية تسمة نور وقيل ولد في طهران سنة 1233هـ

وقد اعتنق البابية هو في السبعة والعشرين من عمره سنة 1260هـ ، ولم يكن يكن له ذكر في أيام البابية ، وقد اغتاظ من عدم اختيار الشيرازي له من ضمن كبار البابية فتحيَن الفرصة في مؤتمر بدشت حيث كان هو وقرة العين أبرز المؤتمرين فيه وتقربا من بعضها ، وفي ذلك المؤتمر اختلف المؤتمرون حول نسخ الشريعة الإسلامية بشريعة البهاء والتي كانت تتزعم القول بهذا قرة العين ، فتدخل المازندراني للفصل بين الفريقين ورجح كفة قرة العين وقرأ سورة الواقعة وفسرها تفسيرا باطنيا يفضي إلى نسخ الإسلام ، فأذعن المؤتمرون لها بالقيادة والتي هي بدورها أعطت قيادتها للمازندراني[463] .

---

[462] انظر: البهائية ص 119، نقلاً عن الكواكب الدرية ج1، بهاء الله والعصر الجديد ص 28 للدكتور جون اسلمنت

[463] انظر: حقيقة البابية والبهائية ص 105 الفصل الأول.

ب- **ثقافته** : تلقى المازندراني العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير ، وقد كان شغوفا بقراءة كتب الباطنية وأفكار البراهمة والبوذية والباطنية والمانوية ، وحينما أظهر إلحاده زعم أنه أمي وأن كل ما يعلمه هو عن طريق الوحي[464]

ح- **عمالته وأسرته لأعداء الإسلام والمسلمين** : كانت أسرة البهاء وفية للروس ، وكان أخوه الأكبر كاتبا فبي سفارة الروس وزوج أخته سكرتيرا للوزير الروسي ، وكانت أسرته أيضا قريبة من اليهود، فقد بذل اليهود كل طريقة لإعلاء شأن البهائية ، وقد كان اليهود يرون في دعوة البهاء ما يجعلهم يدعونها خصوصا وأن دعوة البهاء تنسخالجهاد في سبيل الله ، وما جاء على لسان المازندراني في الوحي المزعوم في ذلك : " قل تالله الحق ان الطور يطوف حول مطلع الظهور .. وصاح صهيون قد أتى الوعد وظهر ماهو مكتوب في ألواح الله تعالى" .

وهذا نداء هام لليهود للعودة إلى أرض فلسطين وإقامة دولتهم ، ثم جاء ابنه عباس عبد البهاء ووضح ذلك أيضا بالوحي المزعوم حيث يقول " سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة".

وهذه الأخبار جاءت عن مؤامرات وخططلعودة اليهود وتجمعهم في فلسطين فقد كان البهاء وابنه رسولا اليهود بين الناس يهيء مجيئهم ويتبنى أفكارهم ويمزج معتقداتهم، ونجد ذلك متمثلا في الأمور التالية :

1- ادعى اليهود أن البشارات الموجودة في الكتاب المدس تنطبق على البهاء وليس على مُحَّد بعد موسى وعيسى ، وأن اليهود أقرُّوا لمحمد تملقا وخوفا من شره.
2- وهب اليهود للبهاء قصر البهجة في عكَّا الذي صار مهوى أفئدة البهائيين وكعبتهم .
3- اشتمل كتابه الأقدس على بشارات لليهود بالعودة إلى فلسطين .
4- حرم الجهاد والآت الحرب مطلقا[465] .

[464] **انظر**: البهائية نقد وتحليل ص 8، نقلاً عن بهاء الله والعصر الجديد ص 32. وانظر: كلامه في المصادر التي جمعها إحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية ص 10 – 13.

[465]انظر: كتاب قراءة في وثائق البهائية ص 89 عنوان حلف الشيطان.

وقد أباح لحم الخنزير وأباح لبس الحرير للرجال ، وخدم الإنجليز خدمات جليلة ولذلك منح الإنجليز عبد البهاء وسام الإمبراطورية البريطانية في احتفال أقامه الحاكم البريطاني "اللنبي" في بيته فكان يدعو لهم بالعز والتمكين .

وقد تآمر المازندرتني مع الروس على هدم الإسلام وكسر شوكة المسلمين وكان الروس ينفقون عليه بسخاء وحمته من بطش شاه إيران حينما أراد الفتك به حيث حمته في سفاراتها ، ثم طلبت من الدولة العثمانية نقله إلى تركيا ثم انتقل إلى فلسطين ولقي ترحيبا حارا من اليهود المتجمعين في فلسطين بغية إقامة دولة لهم فبدأيبشر بأنه خليفة الباب الشيرازي ثم ادعى أنه الباب ثم ادعى أنه هو المسيح ثم ادعى الألوهية وأن الله ظهر في صورته ، وكان إذا مشى في الطريق أسدل الستار على وجهه برقعا لئلا يشاهد بهاء الله المتحلي في وجهه[466] .

ولا يبعد من الحقيقة أن يكون هذا البهاء قد ظهر بعد تخطيط يهودي من يهود إيران ويدل على ذلك التفاف اليهود حوله وحمياتهم له وترحيبهم به كأداة لهدم الإسلام من داخله .

خ- **وفاة المازندراني** : بعد أن بلغ المازندراني الخامسة والسبعين من العمر أصابته الحمى وقيل إنه جن في آخر حياته ، وكان الحاجب له ابنه عباس ، فاستأثر بالأمر وأغدق الأموال على الجماعة ، إلى أن توفي سنة 1309هـ.

يقول الجلبائيجي أحد زعماء البهائية في ذكر موت المازندراني : " وصعد الرب إلى مقر عزه الأقدس الأعلى وغابت حقيقته المقفدسة في هويته الخفية القصوى وكانت هذه الحادثة في ثاني شهر ذي القعدة سنة 1309هـ "[467].

ودفن قرب منزله في عكا ، وقيل في حيفا ، وقد زعم أن موته لحكمة وأنه يؤيد أتباعه ويؤازرهم وينصرهم وقد أوصى بالخلافة لابنه عباس ثم لابنه الأصغر الميرزا مُحَّد علي ، لكن عباس استأثر

---

[466] انظر: البهائية نقد وتحليل ص 19- 26، 309- 352، وانظر: حقيقة البابية والبهائية ص 171 - 185، وانظر: البهائية وتاريخها وعقيدتها ص 323- 334، ولقد توسع غفر الله له في إبراز الصلة الخبيثة بين اليهود وبين هذه الطائفة بالأدلة الدامغة، وأبطل فيها مكر البهائية وتظاهرهم بالإسلام، وانظر: خفايا الطائفة البهائية ص 110، 117، 119.

[467] انظر: الحجج البهية ص 13، نقلاً عن المصدر السابق والبهائية تاريخها وعقيدتها ص 144.

بالأمر ولم ينفذ وصية والده فنشبت خلافات بين الأخوين مريرة انتصر فيها عباس ، وانقسم البهائيون نتيجة ذلك إلى فرقتين :

الفرقة الأولى: الموالية لعباس وتسمى العباسية، والفرقة الثانية الموالية لمحمد علي المازندراني وتسمى الموحدون ، وصار مجموع فرق البهائية خمس فرق نتيجة ذلك وهي : البابية الخلص والأزلية أتباع صبح الأزل ، والبهائية والعباسية والموحدون .

وقد تولى زعماة البهائية بعد ذلك جملة من أتباع البهاء منهم عباس أفتجي والملا مُحَمَّد الملا وإبراهيم جورج خير الله الذي أسس مركز البهائية في شيكاغو ومنهم جمشيد ماني صاحب طائفة السماوية وغيرهم .

المبحث الثاني:

دعايات البهائيين

البهائية لاتنتمي إلى الإسلام ولا تتفق مع كل الديانات السماوية وألغت شرائع الإسلام ، وقالت بألوهية المازندراني .

ويعود تأسيس المذهب البهائي إلى جهود أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم من الذين احتضنوه ليطعنوا به خاصرة العالم الإسلامي وليجعلوا منه شوكة تلهي المسلمين عن ما يخطط له اليهود .

ومن هنا فإن تعاليم البهائية قائمة على نسخ الإسلام مستبدلين شريعة مُحَمَّد بشريعة المازندراني ومستبدلين القرآن بكتاب الأقدس ، وقد اخترعوا كثيرا من التعاليم والعقائد بسبب إصرارهم على نسخ جميع الأديان واستبدالها بشرائع جديدة ، ويمكن ذكر أهم دعاياتهم التي ينادون بها في ما يلي:

1- **وحدة جميع الأديان في الدين البهائي** ، ويتجلى ذلك فيما ادعاه المازندراني من أن جميع الأنبياء جاؤوا للتبشير بالبهاء وأن الله يتجلى فيه وأنه مظهر لله ، فهو قد كان متشبعا بمباديء الصوفية الإلحادية، وهو من كبار القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد التام .

ونتيجة لذلك فلا يعترفون بلاحلال ولا حرام إلا ما قرره البهائي ، ولهذا دعى إلى وحدة الأديان ، بحيث تجتمع على ألوهية البهاء وكتابه الأقدس ويتضح ذلك بقوله : " قل لا يرى في هيكلي إلا

هيكل الله ولا في جمالي إلا جماله ولا في كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته "[468] وهو ماعمل عليه أتباعه حينما قرر ابنه عباس أن المازندراني له طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى، وغيره من النصوص الكثيرة التي تدعوا إلى ذلك[469].

2- **وحدة الأوطان:** بحيث تمحى المفاهيم الوطنية سوى الوطن الذي سيختاره المازندراني ، ويجب أن تمحى الحدود بين البلدان دون النظر إلى أي اعتبار ليتعايش الناس فيها ، يقول أحد زعمائهم وهو عباس أفندي : " ومنذ الابتداء لم تكن هناك حدود بين البلدان المختلفة فلا يوجد جزء مملوك لقوم دون غيرهم"[470].

وهذه الدعوى البراقة لم يبذل البهائيون أي جهد لتحقيقها سوى إلقاء السلاح من أرض الخاء أي أرض الخراب ويقصد بها فلسطين ،وينادي باحترام أرض الطاء التي هي طهران كما جاء في كتابه الأقدس ، وهذا أول تناقضات المازندراني في دعوته "لحب أرض الطاء وبغض أرض الطاء "، فأين دعواه وحدة الأوطان ، ولذلك يقول عن أرض الطاء في كتابه الأقدس : " يا أرض الطاء لاتحزني من شيء قد جعلك مطلع فرح العالمين"[471] ومقصده الأساسي من وحدة الأوطان هو بذل أراضي المسلمين للإنجليز والروس واليهود لاحتلال ما أردوا دون مقاومة من شعوب المسلمين .

وتمم على ذلك بمحو الجهاد حيث يقول في الأقدس : " البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب" [472]

3- **وحدة اللغة : بحيث لا يتكلم الناس أي لغة سوى التي يقررها المازندراني** ، حيث يختار لغة مشتركة للتفاهم ، وهي محاولة مكشوفة لإبعاد المسلمين عن لغة كتاب ربهم .

---

[468] كتاب الأقدس ضمن خفايا الطائفة البهائية ص 126.

[469] شراقات للمازندراني ص 144، نقلاً عن البهائية تاريخها وعقيدتها ص 235، 236.

[470] محادثات لعبد البهاء، انظر: البهائية ص114.

[471] الأقدس ص 163، ضمن خفايا البهائية.

[472] انظر: قراءة في وثائق البهائية ص95.

حيث نجد المازندراني يدعوا إلى توحيد اللغة في كتابه الأقدس فيقول : " يا أهل المجالس في البلاد اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض .." ثم يصرح باختيار هذه اللغة ، وهي اللغة الفارسية حيث يقول : " ياقلمي الأعلى بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء "[473] أي اللغة الفارسية .

هذه اللغة الفارسية التي قال عنها البيروني : " لاتصلح الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية"[474]

وهذه الفكرة هي مجرد ضرب من ضروب الخيال ، إذ لم يدع لها أحد من العقلاء فضلا عن الأنبياء ، فكل نبي يبعث بلغة قومه ليبين لهم ولم يأمرهم بتغيير لغتهم ، وهذا اقتضاء حكمة الله ، ولو اتحدت القلوب على العقيدة الصحيحة لزالت فروق اللغات ، وأمثلة الإسلام خير شاهدة فقد جمع الله بين سلمان الفارسي اللغة وصهيب الرومي اللغة وبلال الحبشي اللغة بأبي بكر وعمر العربي اللغة ، فلم يشعروا بينهم بأي فرق لأن دينهم واحد وعقيدتهم واحدة وهدفهم واحد ، وما تغني اللغة الواحدة إذا كانت العقائد مختلفة والقلوب متباغضة ، فلبنان في وقتنا الحاضر يقتل بعضهم بعضا بأشد أنواع الوحشية على اتحاد لغتهم ، فاللغة بحد ذاتها لا تعلَم الأخلاق ولا الرحمة والموالاة وجمع الكلمة .

4- **السلام العالمي والتعايش بين كل الشعوب ، ويكون ذلك بتطبيق البهائية** ، حيث يظن البهائيون أنهم هم الذين تزعموا الدعوة إلى السلام العالمي وإحلال السلام بين الشعوب وتحريم حمل السلاح ومقدماته من جدال وخصام ، ولو للدفاع عن النفس ، يقول حسين المازندراني : " قد نهيناكم عن النواع والجدال نهيا عظيما في كتاب هذا أمر الله في هذا الظهور الأعظم" .

وقال أيضا : " لايجوز رفع السلاح ولو للدفاع عن النفس " .

وحقيقة دعوتهم إلى السلام هو الدعوة إلى الارتواء من غسلين البهائية وآرائها المتناقضة وحينئذ تمشي البشرية آمنة مطمئنة ، إنه دعوى فوق مستوى عقول البهائية ، فمن يقبل من الناس أن يركن إلى البهائي ومزاعمه دون أن يرى حلولا عملية لتلك المشكلات التي يعج بها العالم[475] .

---

[473] انظر: مجموع ألواح المازندراني ص 113، البهائية نقد وتحليل ص 123.

[474] انظر: البهائية لمحب الدين الخطيب ص29، وقد عزاه إلى مقاله القرآن معجزة بين معجزتين بمجلة الفتح العدد 811 ص 8.

[475] انظر: بهاء الله والعصر الجديد ص 123، نقلاً عن البهائية لإحسان ص 125 و قراءة في وثائق البهائية ص93.

فقد نسي البهائيون أن حل مشكلات الحياة العالمية لا يمكن أن يأتي عن طريق الخرافات والمؤامرات وإنما يأتي عن طريق الاقتناع التام من داخل النفس ، كما صوره القرآن : يقول تعالى : "{ وتعاونوا على البر والتقوى وللا تعاونوا على الإثم والعدوان }سورة المائدة: 2. وقال تعالى : { إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون }سورة الحجرات آية13 وقول النبي ﷺ : " يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى "[476] وقوله : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[477]

ومئات النصوص الأخرى التي جاء بها الإسلام والتي في حلول مباشرة يسلم بها الإنسان ويرى تأثيرها بمجرد أن يمتثل الأمر ولو طبق الناس الإسلام لرأوا كيف يصبح السلام واقعا حقيقيا لا خداع فيه ولا تجبر ولا مكائد ولا دسائس .

أما الدعوة البهائية الى السلام تقوم على أساس أن الرب هو المازندراني وأن الأرض التي يحكمها كل شخص هي له لا حق فيها للآخرين فللإنجليز ما يملكون وللروس ما يأخذون ولإمريكا ماتر يد وعلى الجميع السمع والطاعة لمن قوي ، على شريعة الجاهلية الأولى من عز بز ومن غلب استلب ومن لم يحترف لم يعتلف .

إن كل تجمع على غير هدي الخالق العظيم رب العالمين لا يقدم الحلول المرضية لمشكلات الناس مهما كان إخلاصهم ، ولا نذهب بعيدا فهذا مجلس الأمن العالمي أشبه ما يكون بجسد لا روح فيه ، مقر الخدع والمؤامرات لأصحاب النفوذ والقوة لا يهمه إلا إرضاء الدول الدائمة العضوية كما يسمونه ، وأصبح الفيتو في أيديهم سيفا على رقاب بقية الخلق ، لايجوز الخروج عن طاعته ،فظلمه عدل وقتله رحمه وكلمته فصل .

5- أن المساواة بين الرجل والمرأة ضرورة ولا فرق بينهما ، الكل عبيد البهاء:

فقد حرص البهائيون على استخدام النساء في الدعاية لمذهبهم لأنهن أكثر انخداعا وانجذابا إلى الهوى والخروج عن كل عرف إذا تمكنَ من ذلك .

وقد تزعمت هذه العدوة قرة العين ، التي لم يكبح جماحها دين ولا خلق ولا شرف ولا احتشام .

---

[476] أخرجه الإمام أحمد في المسند 5/ 411.

[477] خرجه البخاري في الإيمان 57/1، ومسلم كذلك في الإيمان 67/1، 68، وغيرهما من أصحاب السنن.

لقد حرصوا على إعطاء المرأة الوعود الخداعة والأماني البراقة ، ولكن فرضوا عليها حكاما تستدعي الشفقة عليها ، فأثبتوا أنهم يريدون من وراء دعوتهم للمرأة جلبها واستجلابها وجعلها مطية لأساليبهم الماكرة في مخالفة الإسلام .

لقد فرضت تعاليم البهائية على المرأة أن لا ترد يد لامس ، ولاترد متعة لكل طامع بل هي من يجب أن تبادر لذلك ، في الوقت الذي أظهر زعماء البهائية نفاقا منقطع النظير في الحرص على المرأة وعلى مكانتها واحترامها ، يقول أسلمنت :" إن إحدى الأنظمة الاجتماعية التي جعل لها بهاء الله أهمية عظمى هي مساواة النساء بالرجال"

وقد كان مدعي النبوة المتصابي بهاء الله كثيرا ما يتأوه لمرأى الفتيات –كما يذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن الوكيل – معللا ذلك بوجوب مساواتها بالرجل .

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل معقلقا على ذلك : " إن جلال النبوة لا تستهيجه أبدا امرأة تتحدى قداسة الفضيلة بفتنتها العارية ولا تستخفه عن وقاره شعور موجة قد تلهب بالحب عواطف الشعراء".

ولا شك أنهم أرداوا من دعياتهم فقأ عين المرأة بيديها لمن انخدعت بهن وكانت هي الخاسرة لدينها وعفتها ودينها وحيائها وزوجها وأولادها .

وأول من كذّب دعوى المساواة هو المازندراني وابنه عباس ، حيث ميزوا بين الرجل والمرأة إذ وكل الرجل بالقيام بكل الأعمال ، وجعل الميراث من نصيبه دون الأنثى حيث يقول : " وجلعنا الدار المسكونة والألبسة المخصوصة للذرية من الذكران دون الإناث إنه لهو المعطي الفياض "

فأين ذهبت مساواة المعطي الفياض للرجل بالمرأة في دعاواه الكاذبة ؟

وكذلكأوجبوا الحج إلى بيت الشيرازي أو البهاء على الرجل دون المرأة ، وأسقطوا حقها في تولي المناصب العليا وجعلوها قاصرا على الرجال ، وأسقطوا عنها الصلاة والصوم ، وغيرها من الأمور التي ناقضوا فيها أنفسهم .

المبحث الثالث:

عقائد أخرى للبهائيين:

سبق ذكر بعض أهم العقائد التي ينادي بها البهائيون ، وإتماما لذلك ولئلا يفوت القارئ الوقوف على آراء هذه الفرقة الشريرة ، والتي بقي كثير منها سرا بينهم وبين زعماء الصهيونية ، كما يقول الدكتور مُحَّد حسن الأعظمي : " إن عقيدتهم المعلنة في كتب مطبوعة ليست هي العقيدة التي يتبعوهها إن أسرار عقيدتهم في كتب سرية لا يتداولونها حتى لا يثيروا نقمة كل الأديان عليهم " [478]

وكل ما يذكر هنا إما أنه يكون مأخوذا من كتاب الأقدس للمازندراني أو من كتب كبار البهائيين وذلك كما يلي :

أ – أن المازندراني هو ربهم وإلههم حيا وميتا ، يقول المازندراني من توجه إلي فقد تتوجه إلى المعبود "[479]

ب– يقولون بالحلول والاتحاد .

ج– لا يؤمنون بما جاء في القرآن والسنة في حق عيسى عليه السلام ويعتقدون أنه قتل وصلب.

د– يعتقدون أن الشريعة البهائية ناسخة للإسلام .

هـ – لا يؤمنون باليوم الاخر حسب ماجاء في الإسلام ، ولا كل الأديان ، حيث يؤمنون بأن القيامة تعني مجيء البهاء في مظهر الله وانتهاء الجور المحمدي وأن سائر أخبار القيامة من حساب وجزاء تقع عند مجي البهاء .

و– يعتقدون أن مُحَّد ليس هو خاتم الأنبياء وأن الوحي لا ينقطع عن البشر ولهذا فالبيان العربي للشيرازي والأقاس للمازندراني وحي من الله حسب اعتقادهم .

ز– أولوا القرآن بتأويلات باطنية .

ح – لا يؤمنون بمعجزات الأنبياء .

ط – لا يؤمنون بالملائكة ولا بالجن .

---

[478] حقيقة البهائية والقاديانية ص 76.

[479] الأقدس ضمن خفايا البهائية ص 173.

ي- لا يؤمنون بوجودج الجنة والنار .

ك – يباح لهم التقية في سبيل خداع الناس .

ل – يقدسون العدد تسعة عشر تقديسا عظيما وأولوا كثيرا من الأمور لتتوافق مع العدد تسعة عشر.

الصلاة عند البهائية :

1- عددها ثلاث مرات في اليوم، وهي تسع ركعات في البكور والزوال والآصال، كل صلاة ثلاث ركعات.

2- تؤدى صلاتهم على انفراد ولا يصح الاجتماع إلا في الصلاة على الميت[480].

3- القبلة هي المكان الذي يستقر فيه البهاء وقد استقرت في عكا .

الزكاة عن البهائية : لا يوجد أي ذكر أو تفصيل للزكاة عند البهائية لجهل المازندراني بها فلم يدرجها في شريعته.

الصوم عند البهائية : الصوم عندهم من 1 الى 19 يوما فقط في مارس يصومون من الصباح الى الغروب ، وليس فيها قضاء على من لم يؤدها ، وقد عفي عن المسافر والمريض والحامل والمرضع والهرم والكسول والحائض ويوم عيدالمولود أي يوم ولادة الشيرازي ، وكذلك يوم المبعث ، أي يوم إعلان الشيرازي لدعوته .

الحج عندهم : يتوجهون فيه الى عكا مدفن البهاء ، إلى الدار التي ولد فيها الشيرازي ، وإلى بغداد في العراق ، في الدار التي عاش فيها ، ولم يبين البهاء متى يتم الحج ولا كيفيته ومناسكه .

الزواج عندهم :

1- لا يصح الزواج إلا بواحدة وإن كان ولا بد فلا يتجوز أكثر من اثنتين ، وحد الزنا بغير تراض تسعة مثاقيل من الذهب تسلم لبيت العدل البهائي والمهر عندهم تسعة عشر مثقالا من الذهب الابريز في القرى مثل ذلك من الفضة ، ومن زاد فلا يتجاوز خمسة وتسعين

[480] انظر: الأقدس ضمن خفايا البهائية ص 141.

مثقالا . وكل هذه المهور من باب وضع العراقيل أمام الزواج ليلجئوا الراغبين في إلى العهر ، خصوصا وأن غرامته نصف مهر الزواج[481] .

2- يحللون المتعة وشيوعية النساء

3- لا يباح زواج الأرامل الا بعد دفع الدية ولا يتزوج الأرمل إلا بعد تسعين يوما والأرملة إلا بعد خمسة وتسعين يوما .

4- لا يجوز الزواج من زوجة الأب وحكم الغلمان مسكوت عنه يقول المازندراني : " إنا نستحي أن نذكر حكم الغلمان"[482] وما دام الرب يستحي من ذكر عقوبة جريمة اللواط ، فمن يبينها إذن .

الطلاق عندهم : مكروه

في المورايث :

1- زعموا أن الرجال والنساء على السواء،ولكن تناقضو بعد ذلك فإذا بهم يحرمون المرأة من ميراثها ويقنصونه على الرجل.

2- ليس هناك قانون تقسيم للمواريث فللشخص أن يوصي بأي شي لصرف أمواله.

3- قرروا أن غير البهائي لا يرث البهائي ، مخالفين قولهم بوحدة الأديان .

أحكام أخرى عندهم :

1- الغسل من الجنابة ليس واجبا، والاغتسال كل أسبوع مرة وغسل الأرض في الصيف مرة واحدة وفي الشتاء مرة كل ثلاثة أيام .

2- لا يجوز الحجاب على المرأة.

3- سن الرشد 15 عاما للذكر والأنثى.

4- ألغوا جميع العقوبات في الإسلام.

5- الجهاد محرم عندهم.

6- إباحة كل أنواع اللباس للرجال والنساء على السواء كالحرير والذهب وغيره.

---

[481] انظر : البهائية نقد وتحليل ص 162.

[482] انظر : الأقدس ضمن خفايا البهائية ص 166.

7- لا يجوز حلق شعر الرأس لأنه زينة[483] .

8- لا يجوز أن يخطب الشخص من على المنبر بل يقعد على كرسي موضوع على سرير ويخطب، ولا يجوز ذكر الله إلا في مكان العبادة.

9- يقدسون العدد 19 ويبنون على أساسه كثيرا من التعاملات بينهم : مثل عدد الشهور وأيام الصوم وأيام الشهر وكتابهم البيان وزكاو اموالهم وعدد شهر السنة وفصول البيان وعدد الطلاق ، كلها تقف عند الرقم 19 ، وإلى آخر ولعهم بالرقم19[484] .

المبحث الرابع :

موقف البهائية من القرآن الكريم والسنة النبوية

أولت الباطنية نصوص القرآن على طريقتها الباطنية الملحدة ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- القيامة عندهم هي قيامة البهاء بدعوته.
- البرزخ عندهم هو المدة ما بين الرسول مُحَمَّد وبين الشيرازي.
- أولوا قوله تعالى: { إذا الشمس كورت } أي انتهت الشريعة المحمدية بالشريعة البهائية .
- قوله تعالى : { وإذا العشار عطلت} أي تركت الابل واستدبدلت بالسيارات والطيارات .
- قوله تعالى { وإذا الوحوش حشرت } أي جمعت في حديقة الحيوانات.
- قوله تعالى : { وإذا الصحف نشرت } أي انتشرت الجرائد والمجلات

إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية الشنيعة لآيات القران الكريم والكذب على الله تعالى دون مبالاة أو خوف لا من الله ولا من انتقاد العقلاء على هذا الصنيع الفاحش [485] .

---

[483] انظر: الأقدس ضمن خفايا البهائية ص 150.

[484] انظر: قراءة في وثائق البهائية ص 191، وانظر: البهائية رأس الأفعى – توسع في أخبارها الرجل البهائي الضال المضل، انظر: 13 – 46. ومن الكتب التي تحدثت عن فضائل العدد 19: 1- الأقدس، 2- البيان، 3- ما كتبه د/ مُحَمَّد رشاد خلفية في محاضرته بالكويت تحت عنوان تسعة عشر؛ دلالات جديدة في إعجاز القرآن، 4- ما كتبه مصطفى محمود من أسرار القرآن فهم عصري للقرآن، 5- ما كتبه العلماء رداً على البهائية مثل كتاب الشيخ إحسان إلهي، ومثل كتاب قراءة في وثائق البهائية، وكتاب البهائية رأس الأفعى.

[485] انظر لهذه التحريفات وغيرها: حقيقة البابية ص126-128، قراءة في وثائق البهائية ص277، عوان ((القيامة البهائية)) إلى ص 302، وكذا عنوان ((قيام الساعة البهائية وانتهاء أجل الأمة المحمدية ص 303 -322.

وهناك تحريفات أخرى كلها تصب في هدف حرب الإسلام وانتزاعه من قلوب أتباعه بطرق ماكرة ، على أنها أقل من أن تعقل لأحد بل هي ضرب من الهذيان .

موقف البهائية من السنة النبوية :

كما أول البهائيون نصوص القرآن الى تأويلات باطنية أولوا كذلك تالسنة النبوية ، حيث زعموا أن كل الأحاديث تدل على انتهاء الشريعة المحمدية بظهور البهاء[486] ، على قلة ما التفتوا الى السنة لالنبوية .

والسنة عندهم لا يجوز الوقوف على ظاهرها بل يعتبر هذلا عتندهم كفر بالرسول ﷺ كما زعم البهائي الحاقد الدكتور مُحَمَّد رشاد خليفة إمام مسجد توسان بولاية أريزونا الامريكية سنة 1982م ، حيث زعم أيضا أن الرجوع الى القران وليس الى السنة وأن المسلمين وثنيون بتعظيمهم الرسول مُحَمَّد علسيه السلام . [487]

المبحث الرابع :

السبب في انتشار التعاليم البهائية :

ليس في البهائية أي شيء يغري لاعتناقها ، فهي أفكار ملفقة من شتى المذاهب والفلسفات والديانات ، ومع ذلك فقد انتشرت انتشارا عظيما في كثير من البلدان ، إلا أن أماكن كثيرة من بلدان العالم الإسلامي تنبهت لخبث البهائية وفساد أنفسهم ومعتقداتهم ، فشنوا الغارات على زعهمائها وأتباعها وتقربوا الى الله بسحقها ، إلا أن البهائيين عمدوا بكل وسيلة ظاهرة وخفية وعملوا المؤامرات والدعايات والإغراءات ونفاق ودعاة في سبيل نشر دعوتهم وكل هذا مما تجيزه شريعتهم .

---

[486] لا يؤمن البهائية بالسنة النبوية، ولا يأخذون من معجزات الرسول ﷺ إلا ما يوافق هواهم مما يتعلق بالفضائل التي يعتبرونها من الأدلة الثابتة على نبوة مُحَمَّد ﷺ، وهي أحاديث موضوعة لا تثبت إلى النبي ﷺ، ومع ذلك فإن البهائيين يتفننون في نشرها، انظر: البهائية للخطيب ص 41- 43.

[487] من كتب البهائية في هذا الموضوع: 1- الحجج البهية، لفضل الله الجرفادقاني، 2- كتاب التبيان والبرهان لأحمد حمدي، وفي كتاب قراءة في وثائق البهائية للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ - مناقشات وردود جيدة على مزاعم البهائية، اقرأ العناوين الآتية:

ص324 ((القرآن والحديث في وثائق البهائية. ((

ص335 ((القرآن والحديث في العلمانية العصرية. ((

ص341 ذكرت دراسة عن أحد كتب البهائية وأباطيل مُحَمَّد رشاد خليفة.

انظر: القرآن والحديث والإسلام في كتاب ((البهائية الجديدة)) ((الطلع الخبيث للشجرة الملعونة

وهناك أسباب ساعدت في اانتشار المذهب البهائي من أبرزها ما يلي :

1- جهل كثير من المسملين بحقيقة المذهب البهائي.

2- تظاهر البهائيون بالإسلام نفاق وتقية.

3- حماية أعداء الإسلام للبهائي وأتباعه .

4- انشغال المسلمين بمشكلات داخلية وخارجية إبان ظهور البهائية.

5- كثرة تحريف النصوص تحريفا معنويا بحث أولوا معانيها إلى معان باطنية[488]

6- تنظيم دعوتهم إلى مذهبهم وتنظيم المحافل التي هي نقطة الانتشار ، وتوددهم إلى الحكام والمفكرين وخداهم لهم بما يظهرونه .

7- أن كثيرا الناس يحبون الانفلات عن الإلزامات الشرعية والميل إلى الشهوات ونبذ القيود ، وهذا الجانب مما تبرز فيه البهائية .

8- كثرة الدعوات البهائية الباطلة وانتشارها بين الأوساط الفقيرة ، حيث يقومون بمساعدة الفقراء وبناء ما يحتاجونه والمقابل نشر معتقداتهم .

المبحث الخامس:

كتاب البهائية الذي يقدسونه

ادعى حسين علي المازندراني الألوهية ، ومن هنا كان لزاما أن ينزل كتبا مقدسة لعباده حسب ما يريد في أوهامه .

فكان أن جاء بكتابه الأقدس بما يستحي منه أي شخص أن ينسب إليه، فكان بحق أحطّ كتاب وأرداه تنفر من معانيه النفوس وتأنف من سماعه الأسماع ورغم ذلك زعم انه أفصح وأشرف كتاب على الإطلاق .

---

[488] وأقرب الأمثلة على هذا تلاعبهم بمعنى الآية الكريمة؛ {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} ؛ حيث صاروا هم والقاديانيون في طريق واحد حول تأويل هذه الآية بأن الخاتم بمعنى ((أفضل)) ، أو أنه كالمهر، أو أنه خاتم الأنبياء أصحاب الشرائع المستقلة، غير ذلك من أكاذيبهم على الله وعلى رسوله، وعلى اللغة أيضاً؛ لأن اللغة لا تساعدهم أبداً على تلك المعاني الباطلة التي اخترعوها.

احتوى على ألفاظ ركيكة وأخطاء لغوية وتراكيب غامضة قراءته مملة ثقيلة على النفس ملأه بالاستكبار والإستعلاء فكله مدح لنفسه ولبهائه وجودة قريحته وإحاطة علمه مخاطبا عباده الملوك والعامة وكل البشر ،كما في قوله : " يا أهل البهاء يا معشر العلماء يا ملاء الانشاء يا عبادي ، يا معشر الملوك قل لي ياملك البرلين اسمع النداء من هذا الهيكل المبين يا معشر الأمراء اسمعو ياشواطيء نهر الرين يا أرض الطاء يا أرض الخاء يا بحر الأعظم قل ياقوم ياملك النمسا ياملوك أمريكا " وغيرها من النداءات المتكرة لملوك أوربا وغيرهم ، يتكلم فيها على أنه هو الله .

ومما جاء في كتابه الأنجس وليس الأقدس علاوة على ركاكته وانحطاطه ما يلي :

1- زعمه أن قد أحاط بعلم ما في اللوح وقرأه والناس غافلون ، حيث يقول : " يا ملاء البيان إنا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون تالله قد قرأناه قبل نزوله "[489]

2- رده وقدحه في المخالفين له))ومنها- أي من الناس- من يدعي الباطن وباطن الباطن، قل: أيها الكذاب تالله ما عندك أنه من القشور تركناها لكم كما تترك العظام للكلاب"[490].

3- يثني على من قرأ كتابهويقول في تفضيل كلامه: ((من يقرأ من آياتي لخير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين، هذا بيان الرحمن- يعني نفسه- إن أنتم من السامعين"[491].

4- يندب حظ من أعرض عن كتابه[492] .

وقد تنبأ البهاء بحدوث أمور غيبية أخبر عنها وقد أخزاه الله ووقع خلاف ماتنبأ تماما[493] فمن ذلك ما يلي :

1- تنبأ أن البهائية يكون مستقبلها مشرق في العراق ، وهذا ما لم يتحقق .

---

[489]الأقدس ص 182.

[490]الأقدس ص 147.

[491]الأقدس ص141.

[492]الأقدس ص 176

[493]لإحسان إلهي رحمه الله في كتابه البهائية نقد وتحليل مقال بعنوان ((البهائية وتنبؤاتها)) يبدأ من ص249 إلى ص 308، توسع في ذكر تنبؤات المازندراني وبين أكاذيبه كلها، ومنه ما أشرت إليه في الفقرات التي ذكرتها، ومن أراد التوسع فليرجع إلى كتاب البهائية نقد وتحليل – الصفحات المشار إليها.

2- تنبأ بأن طهران ستكون بهائية ويحكمها بهائيون ، وهذا كذب فلم يسمح للبهائيون رفع رؤوسهم أو إظهار دعوتهم .

3- تنبأ بأن ديانته ستغلب الأديان كلها ويعتنقها أكثر العالم ، وهذا من الأماني الفارغة التي من المحال أن تتحقق.

وقد أخزاهم الله في الدنيا فلم تتحقق نبوءاته ولم تدخل تلك الدول في ربقة البهائية بل حاربتها فطردت البهائية من إيران والعراق وتركيا ومصر وليبيا وسوريا وقضي عليها في باكستان وأفغانستان ولم يأبه لها العالم الغربي .

المبحث السادس:

أماكن اليهائية

تنتشر الأفكار وتتغلغل بين الناس دون أن يفظن لها المجتمعه لا تحدها الحدود السياسية ولا تمسك بزمامها سلطة ، تسري في الأمة سريان النعاس في جسم الإنسان .

والبهائية من أسس عقائدهم التقية فحينما يخافون يظهرون الوفاق والمتابعة مع الناس وتحت موافقتهم نار الإلحاد والباطنية تتربص شرا وتضمر حقدا بالمسلمين .

وقد انتشرت البهائية في أماكن كثيرة بعضها معلوم وبعضها في الخفاء إلا أنوجودهم الأكبر ومركزهم الرئيسي بيم حلفائهم في أرض فلسطين تحت حماية اليهود .

ويوجد لهم خلايا كثيرة في إيران وإمريكا والعراق ومصر وإمارات الخليج والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومحافلهم كثيرة وأكبرها في شيكاغو وتنتشر كذلك في إسرائيل وكندا وبنما وألمانيا وسويسرا والهند روباكستان وشمال إإفريقيا وأوغندا وأستراليا .

وقد قدر بعض زعمائهم أن عدد البهائيين في العالم ستين مليونا ، ولكن يصعب تصديقهم فهو رقم دعائي ليس إلا .

وقد ساعد انتشارها أعداء الاسلام الذين مافتئوا في سبيل تقوية عودهم ومدهم بأنواع الدعم.

من مراجع البهائية:

1- البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية. تأليف عبد الرحمن الوكيل.

2- حقيقة البابية والبهائية. تأليف الدكتور/ محسن عبد الحميد.
3- البهائية. السيد محب الدين الخطيب.
4- البهائية نقد وتحليل. إحسان إلهي ظهير.
5- حقيقة البهائية والقاديانية. الدكتور/ مُحَّد حسن الأعظمي.
6- البهائية الفكر والعقيدة. صالح عبد الله كامل.
7- الحكم على البهائية. علي رشدي.
8- قراءة في وثائق البهائية. الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطئ.))
9- خفايا الطائفة البهائية. الدكتور/ أحمد مُحَّد عوف.
10- البهائية رأس الأفعى. أول محاكمة شرعية للبهائيين لمجموعة من الكتاب.
11- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
12- دراسات عن البهائية والبابية. تأليف: محب الدين الخطيب، علي علي منصور، مُحَّد كرد علي، مُحَّد فاضل.

وبعد هذه الدراسة عن فرق البهائية عثرت على نسخة مصورة عن هذه الفرقة تسمى موقع البهائيين في الحركات الهدامة، المفسدون في الأرض كتبها ((مُحَّد علي كيوة)) – معاصر – فيها تفاصيل دقيقة وموسعة عن البهائية، ويظهر فيها أن له اطلاعاً واسعاً على خفايا هذه الطائفة ومعرفة خاصة بهم فلترجع إليها إن شئت.

الفصل الثامن :

القاديانية

تمهيد : التحذيير من ظهور دجالين يدعون النبوة بعد مُحَّد عليه الصلاة والسلام :

لقد حذر النبي ﷺ غاية التحذير من ظهور دجالين يزعمون أنهم أنبياء الله بعد ختم الرسالات بمبعث مُحَّد ﷺ.

فقد وردت كثير من النصوص التي تنص على ختم النبوة وتحذر من ادعاء النبوة بعد ختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك قول الله تعالى : { ما كان مُحَّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين }سورة الأحزاب آية40

وقال تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا }سورة المائدة آية3

وجاء في السنة النبوية قول النبي ﷺ :" وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهترا سواء " قال أبو الدرداء : " صدق الله ورسول الله ﷺ ، تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء " [494]

ومنها قول النبي ﷺ : " إنه لم يكن نبي قبلي إلا دل أمته على ما يلعمه خيرا لهام ويحذرهم ما يعلمه شرا لهم " [495]

فقد جمعت هذه النصوص بيان ختم النبوة بمحمد ﷺ وبيان إكمال الدين من عند الله عز وجل حيث بين كل مايحتاج إليه في أمور دينهم ودنياهم ولم يبق لأي متحذلق مجال للزيادة أو النقص.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ختم النبوة نذكر بعضها فيما يلي:

1- عن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ أنه قال: "كانت بنو إسائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي"[496]

---

[494] أخرجه ابن ماجة 4/1

[495] أخرجه أحمد 161,191/2

[496] صحيح البخاري 495/6 ومسلم 509/4

2- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال لعلي حينما خرج إلى تبوك : " ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي" [497]

3- عن جابر بن سمؤرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن بين يدي الساعة كذابين " [498]

4- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال عن الفتن التي تكون قبل قيام الساعة: " وحتى يبعث دجالون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله" [499]

وتوجد أحاديث كثيرة رواها أصحاب المسانيد والسنن كلها تكذب من ادعى النبوة بعد مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ، مهما زخرف صاحبها القول وتفنن في خداع الناس .

وقد أجمعت الأمة وصار معلوما من الدين بالضرورة أن مُحَمَّدا هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده فقد أكمل الله به الدين وصار الدين صالحا للبشرية إلى نهاية هذا الكون ،وةهذه نعمة من أجلّ نعم الله على البشر لتجتمع همتهم على هذا الدين القيم وتطمئن نفوسهم إليه لا تبديل له ولا تحويل .

واتفق المسلمون على أن كل من يدعي النبوة بعد مُحَمَّد عليه السلام إما أن يكون ملحدا كذابا أو مجنونا مهوسا ، وقد ساعد أعداء الإسلام من الصليبيين كثيرا ممن ادعوا النبوة وسعوا إلى نشر دعوتهم

المبحث الأول:

كيف نشأت القاديانية

القاديانية هي إحدى فرق الباطنية الخبيثة[500] ، ظهرت في آخر القرن التاسع عشر المسيحي ، في بلاد الهند ، وتسمى في الهند وباكستان بالقاديانية ، ويسمون أنفسهم في إفريقيا وغيرها من البلدان التي غزوها بالأحمدية تمويها على المسلمين بانتسباهم إلى الرسول ﷺ ، ويمكن إيجاز نشأتها فيما يلي:

---

[497] صحيح البخاري8/112 ومسلم 5/268

[498] مسلم 5/768

[499] البخاري 13/88

[500] ذلك لأخذهم بالمبادئ الباطنية في تأويل النصوص تأويلاً باطنياً، ودعوى أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وتدينهم بكثير من المبادئ الباطنية.

أ- احتضنها الإنجليز حينما كانوا مستعمرين للهند وتبنوها ونصروها بكل ما قدروا عليه ، لما رأوا فيها من تحقيق مآربهم والتمكين لهم في الهند وغير الهند وقد احتضنتها أيضا اليهودية العالمية ومكنتهم من إقامة المراكز التي تنشر الإسلام بزعمهم .

ب- نبعت هذه الطائفة في حين اضطراب وجهل انتشر بين المسلمين فتغلغلت بين صفوف المسلمين حتى قويت وكثر أتباعها خصوصا حينما تولى الوزير الباكستاني القادياني ظفر الله خان الذي مكن القاديانية من الانتشار والظهور .

ت- صارت قاديان ثم الربوة عاصمة القاديانيين ، وبدأت توجه دعوتها للبلاد الإسلامية والعربية . وبدأت تظهر في العراق وسوريا واندونيسيا[501] وبعض بلدان إفريقيا[502] وتتمنى لو توجد في الجزيرة العربية – حرسها الله –

ث- وقف ضد هذه الفرقة علماء أجلاء من علماء الهند وباكستان وغيرهم من بلاد المسلمين إلا أن نشاط القاديانية في تزايد بين جهلة المسلمين وشبابهم من الذين بذل لهم المال للرضى بحكم الانجليز والإيمان بنبوة القادياني آنذاك ، ولا زال تواجدهم مستمر ونشاطهم مستمر في كثير من بدان العالم .

المبحث الثاني:

زعيم القاديانية

ترجم الميرزا لنفسه في أخر كتابه ضميمة الوحي وجاء بخلط عجيب ومن أبرز ما ذكره عن نفسه ما يلي :

أ- **اسمه:** غلام أحمد القادياني ، واسم والده غلام مرتضى واسم أمه جراج بي بي[503] .

ب- أسرته: تضاربت أقواله فمرة قال إن أسرته فارسية[504] ومرة من المغول ومرة أن أصوله صيبنية الأصل ومرة من بني فاطمة بنت الرسول ومرة من سمرقند ومرة يرجع إلى بني إسحاق[505] ، وكل تلك المرار كانت بوحي الله – كما يزعم[506]– .

[501] انظر: بحث بعنوان " القاديانية في إندونيسيا" للشيخ مشفق أمر الله بن شمس الدين.

[502] انظر: بحث بعنوان "القاديانية في غانا" للشيخ سحنون تاج الدين.

[503] انظر: القاديانية دراسة وتحليل ص205 نقلا عن يعقوب القادياني، حياة النبي 1/141-142

[504] انظر: القادياني والقاديانية ص20

ج- **ولادته**: ولد عام 1256هـ في قرية قاديان من قرى البنجاب ، حوالي سنة 1839م[507] .

د- **ثقافته**: قرأ مبادىء العلوم والمنطق والعلوم الجينية على بعض الأساتذة منهم فضل إلهي وفضل أحمد وكل علي شاه وقرأ الطب على والده الذي كان طبيبا ماهرا[508] ، وكان يكثر القراءة إلا أن كل معلوماته كانت مشوشة عن الدين الإسلامي[509] .

هـ- **أعماله**: توظف في بداياته في محكمة حاكم المديرية في مدينة سيالكوث في باكستا وبقي على ذلك أربع سنوات من عام 1864م إلى عام 1868م ، وأقبل فيها على تعلم الإنجليزية ، والتحق بدراسة الحقوق ، ثم استقال سنة 1868 م .

وقد بدأ حياته بتقشف كما يقول ، ثم اختاره الله للنبوة حين يقول : " ما كنت من المعروفين فأوحى إلي ربي وقال : اخترتك"

فلما تبوأ الزعامة الدينية أقبلت عليه الدنيا والهدايا الكثيرة من الناقمين على الإسلام ومن بعض الجهال زاعما أنها من فضل الله ودليلا على نبوته حيث يقول : " وانهالت علي الهدايا كأنها بحر تهيج في كل آن موجا ، هذه آيات الله "

وصار ينفقها في المأكل والشرب وأنواع المسكرات والخمور وكان يغضب حينما يسأل عن كيفية إنفاق أمواله.

ويذكر الغلام عن نفسه أن الله قد عاجله بكثير من الأمراض كالسكري والصداع المزمن والمراق وأوجاع كثيرة ذكرها أهل العلم نقلا عن أقوال الغلام أو عن أكابر أصحابه .

وأما خلفاء الغلام فقد ملئوا حياتهم بالفسق والفجور والخمر وتصيد الفتيات كما يذكر ذلك عنهم الأستاذ عبد الرحمن مصري مدير كلية تعليم الإسلام في قاديان الذي كان من كبار علماء القاديانية قبل أن ينقلب عليهم ويبين فجورهم وخفاياهم المعادية للإسلام .

---

505 ذكر تلك الأخبار إحسان إلهي ظهير في كتابه القاديانية ص 125-126 نقلا عن كتب الغلام: كتاب البرية ص 134 وحاشية الأربعين ص 17 وضميمة الوحي ص77 وتحفة كولرة ص29

506 انر: حاشية الأربعين ص27 رقم(2) ، القاديانية ص 125

507 انظر: القاديانية ص 15 نقلا عن المجدد الأعظم ص 16-17

508 انظر: ضميمة الوحي ص28

509 انظر: كتاب البرية ص 149 والقاديانية ص128

و– صفاته وأخلاقه:

يذكر عنه أنه كان قليل الفطنة تبدوا عليه البساطة والغرارة وقيل إنه كان لا يحسن ملء الساعة وعد الأرقام ولا يميز حذاءه اليمين من الشمال[510].

وفي رأيي أنه كان يتظاهر بهذه الغفلة والسذاجة لأشياء في نفسه منها أنه كان يمهد للايحاء إلى الناس بأنه وهو في قوته في المناظرات والاحتجاج والتأليف ليبين أنه ملهم من الله .

وهذا من دهائه ومكره ، وإلا فكيف وهو قد مدح الإنجليز بما يملأ 50 خزانة وهو لا يعرف أرقام الساعة وحذائه اليمين من الشمال ولا يستطيع أن يفرق بين السكر والملح كما يذكر عنه [511].

وقد وصف الغلام بالبذاءة وسوء الأخلاق وطول اللسان والهجاء القاذع وكان مصداق الحديث" وإذا خاصم فجر " وكان يسب مخالفيه بمثل : فلان الغوي الجاهل الخليع الكلب الأحمق الضال الكذاب اللعين ابن الزنا والبغي الشيطان الغوي ، وأمثال هذه الكلمات .

وكثيرا م مايسب العلماء الذين يخالفونه بأنهم أنجس من الخنازير حينما يكتشفون بعض كذبه في تنبؤاته التي لم تحصل .

ووصف كل مخالفيه بقوله : " بعضهم كالكلاب وبعضهم كالذئاب وبعضهم كالخنازير " ويخاطب الشيخ ثناء الله الأمر تسري بقوله : " يا كلب يا آكل الجيفة "[512]

بل تعدى كل الحدود حينما تجرأعلى أنبياء الله الأطهار فسبهم حيث يقول عن عيسى عليه السلام : " رجل خمار وسيء السيرة " [513]

وحين تمادى في إيذاء الناس رفعوا أمره إلى المحكمة وقد أخذ عليه تعهد في المحكمة الجنائية أن لا يستعمل مرة أخرى تلك الألفاظ القبيحة والسب والشتم والقذف ضد مخالفيه كما يذكر هو ذلك عن نفسه[514]

---

[510] انظر: القادياني والقاديانية ص23، نقلاً عن ترجمة الميرز المعراج الدين عمر القادياني، ملحقة بكتاب براهين أحمدية1/ 67.

[511] انظر: كتاب القاديانية والمصادر التي أخذ عنها ص16 – 19.

[512] انظر: القاديانية لإحسان إلهي ص 140، نقلاً عن أنجام آتم للغلام ص21.

[513] ست بجن للغلام ص172، القاديانية لإحسان إلهي ص143.

[514] مقدمة كتاب رب البرية ص13 للغلام، القاديانية ص144.

، ولكنه لم يف بذلك . فهذا هو يقول في ضميمة الوحي في معرض تعداده للنعم الوافرة عليه– يقول: ((ويطرد –أي الله– أعداءه المؤذين كالكلاب ويؤتيه ما لم يؤت أحداً من المعاصرين"[515]

وقد عرف عنه أيضا التناقض في القضية الواحدة والاحتيال لأكل أموال الناس وعدم الوفاء بالتزاماته كما في قصة الخمسين مجلدا التي زعم أنه سيؤلفها وأخذ ثمنها مقدما ثم لم يؤلف إلا خمسة وكانت حجته أن لافرق بين الخمسة والخمسين سوى الصفر[516] .

المبحث الثالث :

عمالة القاديانية وأسرته للإنجليز

لقد جرّت بريطانيا على المسلمين مصائب وفتنا عظيمة ، ولا يزال المسلمون يجترون آثارها إلى اليوم في بلاد الهند وفي بلاد العرب ، حيث فرقت جمعهم وشتت كلمتهم وأوهنت قواهم وأوجدت عملاء لها في كل مكان من بلدان المسلمين ، ونشرت الفساد والخلاعة ومكنت للمنصرين .

وقد استعمرت بلاد الهند ورأت العميل المناسب لها هو القادياني خير عميل فكان من أبرز مظاهر ذلك ما يلي :

أ- أظهر القادياني أفكارا هدامة حارب بها الإسلام والمسلمين ، وخان نفيها أمته وأخرج كثير من المسلمين عن دينهم .

ب- تعلق القادياني بالإنجليز وقدم طاعتهم على طاعة ربه ودينه .

ت- مكن الإنجليز للقادياني وهيأت له ولأتباعه المناصب وأغدقت عليهم الأموال ودافعت عنهم بضراوة .

ث- منع القايداني جهاد الإنجليز أيام الاستعمار حيث يقول : " لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة ولي – أي الانجليز – من الكتب والإعانلات مالو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة"[517].وقال أيضاً في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة: ((لقد ظللت منذ حداثة سني–وقد ناهزت

---

[515]ضميمة الوحي ص31. مترجم.

[516] انظر: تتمة حقيقة الوحي ص68، عن القاديانية لإحسان إلهي ص138، 139.

[517]شهادة القرآن ص3، القادياني والقاديانية ص94، 95.

اليوم الستين- أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها وألغي فكرة الجهاد"[518]

ج- ناصب أهل السنة العداء وكان يثبط أهل السنة بكل ما أوتي من قوة لنصرة أعداء الإسلام والمسلمين .

ح- كان يظهر هو وأتباعه الفرح والسرور بسقوط أي دولة إسلامية بيد الإستعمار ويحتلفون به ويعتبرونه عيدا من أعيادهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها فرحهم حين استولت بريطانيا على العراق واحتلت القدس حيث يقول ابن الغلام – محمود أحمد - : نحن نشكر الله ألف وألف مرة على فتوحات بريطانيا .."[519] وغيرها من النصوص الكثير بمختلف اللغات العربية والفارسية والإنجليزية .

المبحث الرابع:

ختم النبوة وموقف القادياني منه

حاول القادياني التلاعب بعقول المسملين وإيهامهم بأن نبوته لا تتعارض مع القول بنبوة مُحَّد صلى الله عليه وسلم مستعملا في تحقيق ذلك شتى أنواع التأويلات الباطلة للتموية والتعمية على نبوته الجديدة.

ثم ادعى النبوة وزعم أن النبوة لا تنقطع بل تتنقل في أشخاص دون انقطاع واستدل على ذلك بعدة تأويلات باطلة منها حين يقول الغلام القادياني : " أن الله تعالى حين يكرم أحدا من أمة مُحَّد ويوصله إلى درجة الوحي والإلهام والنبوة فإنه ومع تسميته نبيا لا يتعارض هذا المفهوم مع مفهوم ختم النبوة إذ أن الشخص لا يزال من أمة مُحَّد ومن أتباعه ، ولكن ينتقض هذا المفعهوم إذا أرجعناه إلى شخص من غير أمة مُحَّد فحينئذ يتعارض قوله تماما مع ختم النبوة "[520].

ولهم كلام كثير حول هذا[521] ، ويظهر المغالطة في هذا الكلام من عدة وجو منها ما يلي:

[518]تبليغ رسالة 10/7، القادياني والقاديانية ص95.

[519]جريدة الفضل 23 نوفمبر سنة 1918 م.

[520] مفهوم نص أورده المودودي في كتابه القاديانية ص33 نقلا عن كتاب العين المسيحية للميرزا غلام أحمد ص 41

[521] انظر: ضميمة الوحي حاشية18 ودعوة الأمير- معتقدات الجماعة الاحمدية الإسلامية ص32 "مترجم" ويريد بهذا المفهوم مشابهة قول الباطنية : أن الناطق لا يكمل إلا بوجود السر والصامت.

1- أن النبوة لا تأتي من فيض أحد بل هي تفضل من الله تعالى على من يشاء من خلقفه

2- لماذا لايكون المؤهلات التي احتكرها القادياني لدعوى النبوة تكون عامة في البشر ؟ وهو لم يذكر مبرر لذلك الاحتكار.

3- أنه فسر معنى ختم النبوة بمعنى باطل وهو أن من " تمت عليه كمالات النبوة وأنه لا يأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ، وأنه لا نبي من غير أمته"[522] ولكن الغلام ناقض ذلك واخترع له ولأتباعه شريعة جديدة.

4- أنه ادعى أن طاعة النبي مُحَمَّد تمنح كمالات النبوة، وإذا كان كذلك فإنه يحق لكل شخص متبع للنبي مُحَمَّد أن يتصف بصفة النبوة ، والصحابة من أولهم، وهذا ما لم يحصل .

5- أنه معنى ختم النبوة عنده هو تأخير النبوة بعد مُحَمَّد مدة ثلاثة عشر قرنا لتظهر عظمة مُحَمَّد ، ثم يأتي من بعده من يكون نبيا لتظهر عظمة الإسلام في نظره .

6- ادعى الغلام أنه هو ظل الرسول فلا تأثير لنبوته على ختم نبوة مُحَمَّد .

7- ادعى أن القول بانقطاع النبوة وختمها بمحمد ينافي حاجة الناس إلى الرسل الأنبياء ، واتهام الله بأن خزائنه تنفد .

تعقيب :

حقا ، لقد كفر القاديانيون وبكل جرأة بما جاء عن الله وعن رسوله ، من نصوص صريحة تنص على ختم النبوة بمحمد ﷺ ، على الرغم من تسلط أهل التأويلات الباطنية عليها بمختلف التأويل ، قال تعالى : { ماكان مُحَمَّدج أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين }سورة الأحزاب آية40 فالآية صريحة وواضحة المعنى في دلالتها على انقطاع النبوة بمحمد ﷺ .

فجاء القادياني وأولها تأويلات باطنية لاتمت إلى معانيها بصلة كقوله أن الخاتم بمعنى الختم الذي يختم على المعاملات الرسمية من كونة زينة لهم ونحو ذلك ، ولما رأى ضعف هذا التأويل فسرها بأنه خاتم النبيين أصحاب الشرائع المستقلة[523]، ومن المعلوم في اللغة أن خاتم الشيء معناه آخره ونهايته[524].

---

[522] عين المعرفة للغلام ص9

[523] انظر: دعوة الأمير – معتقدات الجماعة الأحمدية ص34

[524] انظر: كتب اللغة مادة "ختم"

فتبين أن القادياني لايؤمن بختم النبوة بمحمد ﷺ وأوّل النصوص الواردة في ذلك تأويلات باطنية حتى تتناسب مع مايدعوا إليه وهذا كله من أبطل الباطل، ولا يقبلها إلا غافل فارغ العلم جاهل باللغة العربية وجاهل بالدين الإسلامي.

المبحث الخامس:

كيف وصل القادياني إلى دعوى النبوة

تدرج الغلام أحمد لدعواه النبوة وسلكك مسالك عديدة ومراحل متفاوتة بينها اختلاف واضطراب كل مرحلة مرحلة بنت وقتها،ويظهر ذلك فيما يلي:

أولا: اتجاهه إلى التأليف :

كان الميرزا في بدء حياته خامل الذكرلا يُعبأ به ولا يذكر بخير ولا شر، ثم اتجه إلى التأليف والمناظرات التي كانت ملتهبة في شبة القارة الهندية آنذاك ، ويظهر ذلك في النقاط التالية :

أ- بدأ حياته مناظرا جلد عن الإسلام والمسلمين ، مع تمجيد نفسه وغلوه فيها بين الفينة والأخرى ، وكان علمكاء المسلمينه منه ما بين مستبشر وحذر من أن تكبجح به جماح فرسه .

ب- بدأت الأنظار تلتفت إليه بعد أن ذاع صيته ، وأعجبته مواهبه ، فطلب من الناس أن يبايعوه ، ولقب نفسه بـ " المأمور من الله شبيه المسيح في دعوته إلى الله وأحواله الشخصية " .

ت- أعلن أن دبأ في تأليف كتاب يضم خمسين مدلا في الذب عن الإسلام والرد على مختلف المخالفين من أصحاب الدياناتكالديانات السائدة في الهند كالمسيحية والآرية[525] والبرهمية والبرهموسماجية[526]وغيرهم وسماه : براهين احمدية " وتكفل فيه بأن يجمعه ثلاثمائة دليل على صدق الإسلام في خمسين مجلد ، ولكنه لم يكتب الا خمسة ملئها بكشوفاته وزغالهاماته

[525]فرقة من النهادك اسهها ((ديانند سرسوتي)) في القرن التاسع عشر المسيحي، تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط في الدعوة والمناظرة والرد على المسلمين، وتدعو إلى الأخذ بتعاليم ((ويدا)) ونصوصه، ورفض البدع والمحدثات الداخلة في الديانة البرهمية، وتقول بقدم العالم وقدم الروح والمادة، انظر: القادياني والقاديانية ص35.

[526]ديانة هندية جديدة، ظهرت في القرن التاسع عشر، تحاول الجمع بين تعاليم الإسلام والبرهمية وتقر التوحيد وتنكر النبوة والإلهام، ومؤسسها ((راجه رام موهن راي)) انظر: القادياني والقاديانية ص36.

وتزكياته لنفسه ، وفي الجزء الثالث والرابع نص فيه على أن جهاد الإنجليز حرام وأنهم من نعم الله .

ث- ثم أعلن أنه المسيح الموعود لأنه ألهم بـ " إنك أنت المسيح الموعود"[527].

ج- في سنة 1900م بدأ خواصه يلقبونه بالنبي صراحة وكان يعجبه ذلك ولكنه يظهر لمخالفيه شيء من التواضع كقوله " النبي الجزئي " أو " النبي المحدث " أو النبي الناقص"[528]

ح- في سنة 1901م أعلن أنه النبي الكامل.

خ- في سنة 1904م احتقر النبوة وادعى أنه كرشنا إله الهندوس.

ثانيا: ادعاؤه الإلهام:

ادعى الميرزا أنه ملهم من الله وأنه يوحى إليه عن طريق ذلك الإلهام .

ودعوى أي شخص بأنه أُلهم من الله كذا وكذا من الأمور اليسيرة غير أن الخطر يكمن في النتائج، ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

أ- ما يحصل للنفس من إلهام له موارد ، فإما أن يرد عليهمن الله وهنا لا بد من أهلية صاحبه وتقواه وصدقه وإخلاصه لربه وصافاء توحيده ، وإما أن يرد عليه من وساوس الشيطان إذا كان صاحبها لائقا بذلك بعيد عن الله .

ب- إلهامات القادياني كلها من النوع الثاني وقد ظهر كذبه في نواحي كثيرة .

ت- كثرت إلهامت القادياني التي زعم أنها وحي من الله ، وزعم أن الذي يأتيه بالوحي هو صورة شاب إنجليزي.

ث- زعم أن الوحي ينزل إليه مرة بالعربية ومرة بالفارسية ومرة بالأردية وأحيانا بالإنجليزية إتماما للنعمة.

ج- كل ما أتى به الغلام القادياني زاعما أنها وحي الله ، هو في حقيقته في غاية الركاكة والتهافت والاقتباس الغير منظم من القرآن الكريم كقوله : " قل إني أمرت أن أكون أول

---

[527]نظر: القادياني والقاديانية ص35-42، ومن 50- 56، 65، 72، ومراجعه التي نقل عنها من كتب الغلام بالأردية، وانظر: القاديانية للحموي ص17.

[528]انظر: المراجع السابقة.

المؤمنين قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا كل بركة من محمد فتبارك من علم وتعلم .. "[529].

وكقوله في تخويف أصحاب مطابع الكتب لئلا يردوا طباعة كتبه حيث يقول : " قيل ارجعوا إلى الله فلا ترجعون وقيل استحوذوا فلا تستحوذون ولا يخفى على الله خافية ولا يصلح شيء قفبالإصلاحه ومن رد من مطبعة (كذا) فلا مرد له "[530] .

د- كتاب ضميمة الوحي الذي ألفه القادياني مليء بالترهات التي زعم أنها وحي الله وإلهامه .

ذ- تحدى الغلام القادياني أن يأتي البؤر بصفحة من مثل كلامه ورد على كل من قال إنه سرق من القرآن حيث يقول : " أتقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقة كمثلها في التزام الحق إن كنتم تصدقون "[531].

ر- ثم تحدى الغلام أن يأتي البشر بآية من تلك الآيات التي تلقاها عن الله بزعمه حيث يقول : "والله لو اجتمع أولهم وآخرهم وخواصهم وعوامهم ورجالهم ونساؤهم ما استطاعوا أن يأتوا بآية كما نعطى من ربنا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " [532].

ثالثا: دعواه أنه المسيح الموعود :

بعد أن ادعى القادياني الإلهام له ، ادعى بعد ذلك أنه هو المسيح الموعود حيث قال في ضميمة الوحي : " وأتى المسيح الموعود مهاجرا بأمر الله العلام ليظهر الله ضياءه التام على الأنام بعد الظلام "[533].

وقد كان وزر ادعائه هذا يعود إلى صديقه الحكيم نور الدين الذي اقترح عليه أن يدعي أنه المسيح الموعود فرد عليه برسالة يظهر في تواضعه عن ذلك[534].

---

[529] ضميمة الوحي ص 11.

[530] انظر لذلك: كتاب الغلام براهين أحمدية 3/239- 242، 4/509، ص554-556، نقلاً عن القادياني والقاديانية ص42-44.

[531] ضميمة الوحي ص 10

[532] ضميمة الوحي ص 24.

[533] ضميمة الوحي ص 12

[534] انظر: مكتوبات احمدية 5/85 نقلا عن القادياني والقاديانية ص 52

ويظهر أن رده هذا يعود إلى مخافته من مغبة هذه الدعوى أو أنه يريد أن يستثبت آراء الناس أو أنه قيلت له قبل اختمارها في ذهنه.

وإلى جانب صديقه نور الدين الذي بين له كيفية تأويل النصوص لتوافق مبتغاه ، كان للإنجليز أيضا دور بارز في إضرام هذه الفكرة لإطفار نور الإسلام من قلوب المسلمين ، فاقتنع بهذه الفكرة وألف كتبه في إثبات ادعائه هذا .

دور صديقه الحكيم نور الدين في دفعه إلى الأمام :

كان لصديقه نور الدين اليد العليا في تمهيد الصعاب له وإبراز القضايا الخطير وحلها وتوجيهها ، من ذلك تأويل لفظ دمشق الوارد في صحيح مسلم أن المسيح يتنزل فيها ، حيث أولها بأنها ليست دمشق المعروفة ولكن المراد بها قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية – أي قاديان – فاتفقت في الوصف مع دمشق الشام حيث يقول : " وإنه لما كانت قرية قاديان شبيهة بدمشق أنزلني فيها لأمر عظيم أي قاديان – بطرفي شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد "[535] أي مسجده في قاديان الذي بناه .

تأويل الرداء الأصفرين:

سار القادياني على نفس منهج الباطنية في تأويل نصوص كثيرة بتأويلات باطنية ، فمن ذلك تأويله لحديث نزول المسيحوأنه ينزل وعليه رداءان أصفران ، فأولهما القادياني بأنهما المرضان اللذان كانا يلازمانه وهو الصداع الشديد والدوار الذي في مقدم رأسه ، وكثرة البول الناتج عن السكر الذي أصابه[536] ومن أبرز تأويلاته للنصوص التي أولها في المسيح ما يلي :

1- سخر من الأحاديث التي تنص على نزول المسيح وزعم أن ما ألقي على مُحَمَّد علما إجماليا بشأن المسيح.

2- قرر أن قبر المسيح موجود في كشمير.

---

[535] ماهي القاديانية ص 38-40 والقادياني والقاديانية ص 58

[536] انظر: براهين احمدية ص 201 وسيرة المهدي 238/2 عن القاديانية دراسة وتحليل.

3- أنه ادعى أنه مثل المسيح وليس نبيا ، ثم ادعى أنه هو المسيح وأمه أيضا ، حيث زعم أن كلمة مريم تعني حالة ووضعا خاصا من أوضاع المؤمنين في مرحلة من مراحل حياتهم ثم ينتقلون إلى العيسوية[537] ، وهذا من تأويلاته الباطنية .

رابعا: ادعاؤه النبوة :

ادعى القادياني النبوة في مرحلته الأخيرة من مراحل تدرجه إلى مقام النبوة ، حيث صال وجال وراهن على صدق نبوته وصدق نفسه أن نبي ، آملا في أن يتحول المسلمون إلى القاديانية وتصبح قاديان مهوى أفئدتهم بدلا من مكة ، وعندما ادعى النبوة زعم أن الله أسند إليه مهمات منها ما يلي :

1- زعم أنه جاء ليجدد الدين ويكسر الصليب ويطفي نار النصرانية وأنه هو المسيح حيث يقول : " أنا على بصيرة من رب وهاب بعثني الله على رأس المائة لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفيء نار النصرانية وأقيم سنة خير البرية ولأصلح ما فسد وأروج ماكسد وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود من الله علي بالوحي والإلهام وكلمني كما كلم رسله الكرام "[538] .

2- زعم أن النبوة جاءته على كره منه حيث يقول : " فأخرجني الله من حجرتي وعرفني في الناس وأن أكره من شهرتي وجعلني خليفة لآخر الزمان "[539] وهذا خلاف فرح الأنبياء بتكليم الله لهم أو باصطفائهم.

3- تدرج في دعواه النبوة من الكلام عن الإلهام والعلم الباطني والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة متابعة النبي والاضمحلال فيه على طريقة الصوفية، فتدرج إلى القول بنبوته وقد وقع هذا عام 1900م حيث ألقى إمام مسجده ويسمى عبد الكريم خطبة زعم فيها نبوة القادياني فاندهش المصلون الذين لم يكونوا يعلمون عنه إلا أنه منافح عن الإسلام ضد خصومه ، فعاد عبد الكريموألقى خطبة ثانية قال فيها بعد أن التفت إلى الغلام : " أنا أعتقد أنك نبي ورسول فإن كنت مخطئا نبهني على ذلك " .

---

[537] انظر: إزالة أوهام ص 190وص659 ، ماهي القاديانية ص 41

[538] ضميمة الوحي ص22

[539] خاتمة رسالته ضميمة الوحي ص86

ولما قضيت الصلاة حصل بين المصلين ارتفاع النقاش والجدال ، فخرج عليهم القادياني وهو يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا ترفقعوا أصواتكم فوق صوت النبي"[540].

4- بعد أن ادعى النبوة تدرج في التلطف مع مخالفيه إلى أن جاء الحكم الأخير عليهم بالكفر والنار حيث زعم أن الوحي نزل عليه يقول : "كل رجل لا يتعبك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفا لك هو عاص لله ورسوله وهو من أصحاب النار "[541].

المبحث السادس:

نبوءات الغلام المتنبي وادعاؤه تفضيل نفسه على الأنبياء

المطلب الأول :

تنبؤات الغلام المتنبي

ظن الغلام أنه بمجرد إخباره بالمغيبات تثبت نبوته ، وتناسى مصداق ما يقع مما يخبر به النبي على وفق ما أخبر ، وقد خانه الحظ السعيد في أغلب أخباره ، فكانت نتائجه تأتي سلبية وبعكس ماأخبر به تماما مرة بعد مرة ، وقد عانى هموما شديدة من ذلك .

وتنبؤاته كثيرة ومتنوعة بعضها يعود إلى حياته الشخصية وبعضها إلى غيره من الناس ، وبعضها إلى الأحوال الطبيعية والتغيرات المستمرة في الكون،وقد قال هو في بيانه لكثرتها : "وإنها أنباء كثيرة منها ما ذكرنا ومنها ما لم نذكر وكفى هذا القدر للأتقياء"[542].

ومن الأمثلة الكثيرة على كذب إلهاماته التي ادعى تحقيقها وتوعد من يخالف كل إلهام بقوله : " إن لم يتحقق هذا النبأ فأكون أخبث الخبثاء أيها الحمقى "[543] ومن الأمثلى على ذلك ما يلي:

---

540 محاضرة السيد سرور شاه القاديانية – صحيفة الفضل القاديانية عدد(51) مجلد 410 يناير 1923م ، القادياني والقاديانية ص 66-67 ، والآية من سورة الحجرات ص2

541 حجة الله : محاضرة للميرزا ألقاها في لاهور، منقولة من كتاب النبوة في الإسلام لمحمد علي اللاهوري ص 214، ماهي القاديانية؟.

542 ضميمة الوحي ص5

1- قصة غرامه لامرأة تسمة مُحَّدي بيكم ، حيث ادعى أن الوحيأخبره أنه سوف يتزوجها وزعم أنهلابد من تحقيق ذلك ، وأن من يتزوجها لابد وأن يموت خلال سنتين ، فرفض والدها تزويجه إياها وتزوجت رجلا آخر وأنجبت أبناء ولم يتحقق ما ذكر.

2- كثير ما يتنبأ الغلام بموت مخالفيه حيث يحدد المدة بقول سيموت بعد كذا وكذا ، فينعكس الحال تماما ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أ- تنبؤه بموت رجل نصراني اسمه عبد الله آتم ، بعد فوز النصراني عليه بعد مناظرات جرت بينهما ، حيث حدد مدة موته بعد خمسة أشهر من 5 مايو عام 1893م ، حيث قال : " وإن لم يتحقق ذلك فأكون مستعدا لكل جزاء يسود وجهي وأذلل ويجعل في جيدي حبل وأشنق ، وأنا أقسم بالله العظيم أنه يقع ما قلت ولا بد له أن يقع " ولما لم يمت النصراني ادعى هو أتباعه أن النصراني رجع وتاب[544] .

ب- تنبؤه عن رجل اسمه عبد الحيكم من المسلمين بعد مناظرة جرت بينهما حيث زعم أن عبد الحكيم سيموت قريبا[545] ، فلم يمت بل عاش حتى بعد وفاة القادياني.

ت- زعم موت الشيخ ثناء الله الأمر تسري بعد وقوف الشيخ ضده ، فدعى على الكاذب أن يموت في حياة الصادق بموت الكوليرا فأمات الله القادياني في زمن الشيخ رحمه الله[546].

ث- إخباره بأن زوجته تلد ولدا جميلا فتلد أنثى وحدث هذا مرارا.

ج- تنبأ بأن الطاعون لا يدخل قاديانا مادام هو فيها، ولكن دخل الطاعون وفتك به ومات هو بالطاعون[547] .

ح- تنبؤه لأحد أتباعه ويسمى منظور مُحَّد أن زوجته ستلد ولدا مباركا والنتيجة ولدت بنتا ثم لم تلد حتى ماتت[548] .

---

543 ضميمة إنجاد آتم للغلام ص 54 .نقلاعن القاديانية لإحسان إلهي ظهير.

544 الحرب المقدسة ص188 عن القادياني والقاديانية.

545 انظر: القاديانية لإحسان إلهي ظهير ص 185

546 انظر: القاديانية ص 154-195

547 انظر: ضميمة الوحي ص9 وص 19

548 انظر: مجلة الفضل سنة 1906م ص 122، ماهي القاديانية.

خ- تنبؤه بأن الله أوحى إليه أن سيتزوج بعد سنة 1886م نساء ذوات بركة وخير ينجبن أولادا صالحين [549] والنتيجة أنه مات قبل هذا التاريخ.

د- تنبؤه لمولود اسمه مبارك أحمد سيكون له شهرة عالمية ويكون أفضل العالمين والنتيجة أن ولده مات وعمره ثمان سنين[550] .

ورغم كل ما يقع للقادياني من حرج نتيجة كذب تنبؤاته وادعاءاته إلا أنه لم يتعض بل كان يشفع الكذب بكذبة أخرى ويجمع المبررات تلو المبررات في حال عدم وقوع ما تنبأ به، وكان أتباعه كالبهائم التي تساق خلف الراعي حيث لم يرتابوا في تنبؤاته الكثيرة التي كذَّب الله فيها الغلام.

المطلب الثاني:

غلوه وتفضيل نفسه على الأنبياء

لم يقتصر الميرزا على التنبؤ بل حمله غروره على ذكر أمور جعلها لب دعوته الساقطة وهي كما يلي:

أ- أنه فضل نفسه على أكثر الأنبياء والمرسلين، وانه جُمع له ماتفرق في أنبياء كثيرين.

يقول القادياني: " لقد أرد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد من العالمين "[551]، وزعم أنه هو ذلك الشخص .

وله نصوص كثيرة في تفضيله نفسه على سائر البشر ، بل أفضل من أولي العزم من الرسل ، وقد نقل ذلك أحد أتباعه وهو خليفته الثاني الميرزا بشير الدين محمود حينما يقول : " إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل "[552]

ومما يبرز اداعاءاته تلك ما يلي:

ب- أنه فضل نفسه على جميع أمة مُحَّد ﷺ ابتداء بالصحابة الكرام فمن بعدهم ، لم يستثن أحداً منهم، فقد أداه الغرور إلى أن يقول : "لا شك أنه ولد في أمة مُحَّد ﷺ آلاف من الأولياء والأصفياء ولكن ما كان أحد مثلي".

---

[549] انظر: تبليغ رسالة 85/1 ، ماهي القاديانية.

[550] انظر: ترياق القلوب ص 43 ، ماهي القاديانية.

[551] آئينة كمالات إسلام ص90

[552] حقيقة النبوة للميرزا بشير الدين محمود ص 257

وقد تطاول أحد أقرباء الغلام وقال في جرأة شريرة: " أين أبو بكر وعمر من غلام أحمد، إنهما لا يستحقان أن يحملا نعليه"[553] .

ح- ثم ادعى الغلام أنه عين محمَّد ﷺ فقال: "من فرق بيني وبين المصطفى **فما عرفني وما رأى**"[554].

خ- ادعى كذلك أنه مظهر "لكرشنا" وأنه برز فيه وتجلى ، وكرشنا هو إله من آلهة الهندوس ، ويبدو من قوله هذا أنه أراد التقرب من الهندوس وجذبهم إليه[555] .

د- ثم ادعى أنه ابن الله وأن الله ألهمه: "أنت مني بمنزلة أولادي"، وخاطبه الله مرة بقوله: "اسمع يا ولدي "[556] .

ذ- يرى بأن مدحه لنفسه من الأمور الجيدة، فقال يصف شخصه ويقارن بينه وبين الأماكن المقدسة: "وإني والله في هذا الأمر كعبة المحتاج، كما أن في مكة كعبة الحجاج، وإني أنا الحجر الأسود الذي وضع له القبول في الأرض والناس بمسه يتبركون"[557].

وهذه الإلهامات والكشوف والوحي الذي ادعاه في أقواله السابقة إنما تدل على جهله المطبق وجهل أتباعه، وعدم معرفة الغلام قدر الأنبياء العظيم الذي لا يصل إليه أحد غيرهم، وتدل كذلك على عدم معرفته بنفسه أيضاً ، وتعالى الله عن هذا المعتقد الجاهلي فإن الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فهو منزه عن الصاحبة والولد: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِإِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً {93} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً {94} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً}سورة مريم آية 93-95بل هو قول عظيم جداً: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً}سورة مريم آية9.

ولقد أخبر الله أن كل من نسب إلى الرحمن ولداً فإنه كاذب، كما قال تعالى: {أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}سورة الصافات آية 51.

---

[553] المهدي لمحمد حسين القادياني ص57 رقم 304

[554] جريدة الفضل 17يونيو سنة 1915م.

[555] محاضرات الميرزا في سيالكوت في 1904/11/2م ص 34

[556] البشرى 49/1

[557] ضميمة الوحي ص 45"مترجم"

ومن الغريب حقاً أن القاديانيين حينما يزعمون أو يزعم الغلام لنفسه أن له هذا الفضل الذي لا حد له يأبى الله إلا أن يظهره على حقيقته، فإذا به يوصف بأنه كان سكيراً عربيداً يحب الأفيون حباً شديداً حتى جعله في شريعته نصف الطب، يقول عنه ابنه محمود أحمد: ((إن الأفيون يستعمل في الأدوية كثيراً حتى كان أبي يقول: إن الأفيون نصف الطب)) ، ثم يقول محمود عن تحليله: "ولذا استعماله للتداوي يجوز، ولا بأس به"

ويذكر كذلك أن والده صنع من الأفيون دواءً إلهياً بإلهام منه عز وجل، فقال بعد كلامه السابق:

((وأنه صنع دواء باسم ترياق إلهي بهدى الله وأعينه، وكان الجزء الأكبر في هذا الدواء الأفيون، وكان يعطي هذا الدواء لخليفته الأول نور الدين، كما كان يستعمله هو أيضاً حيناً بعد حين لمختلف الأمراض)) [558]

وكان الغلام يشتري خمراً خاصاً يأتي من بريطانيا يسمى وائن؛ هو أقوى المسكرات فكيف ساغ لهذا الحشَّاش–كما سماه إحسان إلهي رحمه الله– أن يفضل نفسه على آدم والأنبياء والمرسلين وجميع أمة محمد ﷺ!؟ .

المبحث السابع :

أهم عقائد القاديانية

لقد تخبط القادياني وأتباعه في متاهات عديدة وجاءوا بأفكار شاذة غريبة، وتناقضوا في أقوالهم وأفعالهم.

ومن الأمور التي تظهر في معتقدات زعيمهم القادياني مبادئ كثيرة ننبه إلى أهمها بإيجاز فيما يلي:

أ- **التناسخ والحلول:**

اعتقد القاديانيون فكرة التناسخ والحلول، وأن الأنبياء تتناسخ أرواحهم وتتقمص روح بعضِهِم وحقيقَتُه جَسَد وحقيقَةَ آخرين، وتظهر في مظهر الجسد الآخر تماماً، وقد قال بهذا ليصل إلى تثبيت بعثته ونبوته.

ومن هنا قرر أن محمد عليه الصلاة والسلام هو إبراهيم بعادته وفطرته ،ولد في بيت عبد الله بن عبد المطلب ، ومثل هذه الولادة حصلت لعيسى حينما ظهر بمظهر القادياني .

---

[558] انظر: مكتوب الإمام باسم الغلام ، للطبيب محمد حسين القادياني ص5 ومقال محمود أحمد في جريدة الفضل 19 يونيو سنة 1929م.

وقد قال بتجلي الحقيقة المحمدية "في مئات الناس وكانوا يسمون عند الله بطريق الظل مُحَّدا وأحمد " [559]

وتأثره بعقيدة التناسخ كان لسببين :

أحدهما: هو بعده عن الدين وجهله لمصير الروح بعد الموت .

والثاني: هو مجاورته للهندوس وتأثره بهم .

ولذلك تأثر بعقيدة التناسخ ، بل الأدهى من ذلك حينما ادعى حلول الله فيه حيث قال:" إن الله أنزل فيّ وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها"[560]

ب- **التشبيه :**

للقادياني أقوال كفرية في وصف الله تعالى ، فهو يزعم أن الله " يصلي ويصوم ويصحو وينام وأنه يخطي ويصيب" .

يقول القادياني : " قالي لي الله : إنني أصلي وأصوم وأصحو وأنام"[561]وكان يزعم أنه يقدم أوراقا إلى الله ليوقع عليها ، وكان يوقع عليها بقلم أحمر[562]، وكان يصف الله مثل الأخطبوط بأن له أياد وأرجل كثيرة وأعضاء بكثر لا تعد ولا تحصى[563] وغيرها من أقواله في الزيغ والضلال .

---

[559] انظر: آئينة كمالات إسلام ص 346وكتاب البرية للميزا غلام، ص75

[560]كتاب رب البرية للغلام ص57

[561] البشرى للقادياني 97/2

[562] انظر: ترياق القلوب للميرزا غلامص33

[563] انظر: توضيح المرام للميرزا غلام ، ص57

المبحث الثامن:

علاقة القاديانية بالإسلام وبالسلمين وعلاقتهم بغير المسلمين

وموقف علماء الهند وباكستان منهم .

أولا: علاقتهم بالإسلام والمسلمين:

أ- ابتعد القادياني عن الإسلام والمسلمين وزاحمت القاديانية الإسلام، وأرادت أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة.

ب- يجعلون القادياني كالرسول مُحَمَّد وأصحاب الغلام كأصحاب مُحَمَّد ﷺ، ويعقدون بينهما المقارنات، فقد جاء في صحيفة الفضل القاديانية : " لم يكن فرق بين أصحاب النبي ﷺ وتلاميذ الميرزا غلامأحمد"[564].

ت- جعلوا الحج الأكبر زيارة قاديان وقبر القادياني.

ث- المسجد الأقصى عندهم هو قاديان .

ج- اخترعوا أشهرا غير الأشهر الإسلامية وهي : " الصلح ، التبليغ ، الأمان ، الشهادة ، الهجرة ، الإحسان ، الوفاء ، الظهور ، تبوك ، الإخاء ، النبوءة ، الفتح" .

ونتيجة لذلك عاملوا المسلمين على أسس قرروها وهي كالآتي :

1- أن المسلمين كفار إلا إذا دخلوا القايانية.

2- إذا مات المسلم فلا يجوز للقادياني الصلاة عليه ولا دفنه في مقابرهم.

3- لا يجوز نكاح المسلم بالقاديانية ويجوز للقادياني نكاح المسلمة.

4- لاتصح الصلاة خلف غير القادياني مهما كانت منزلته وإذا فعل ذلك تقية فعليه إعادة الصلاة.

5- لايجوز حضور اجتماعات المسلمين كأفراحهم أو أتراحهم.

6- لاتجوز الصلاة على من يصلي من القاديانيين خلف المسلمين أو يتعامل معهم.

ثانيا : علاقتهم بغير المسلمين :

---

[564] انظر: جر يدة الفضل عدد_92) 28 مايو سنة 1918م.

1- قامت بين القاديانيين وبين الدولة المعادية للإسلام علاقات قوية خصوصا بريطانيا وإسرائيل ، وقد أعطتهم إسرائيل أمكنة لفتح مراكز ومدارس وأغدقت عليهم الأموال.

2- رحب القوميون من الهنود بالقاديانية وفرحوا بها وتحمسوا لها ، وذلك لأن هؤلاء الهندوس يحقدون على الإسلام كحقد اليهود والنصارى ، فرأوا أن توجه الناس إلى قاديان انتصارا للقومية الهندية على الإسلام الأجنبي عن بلادهم ، يقول الكاتب الهندوسي د/ شنكر داس مهرا : " إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون لها ... وفي هذا اليأس يظهر شعاع النور .. وهي حركة الأحمديين" يعني القاديانيين.

ومما يوضح ذلك ما حصل من دفاع رئيبس وزراء الهند آنذاك جواهر لال نهرو ، فقد وقف مدافعا عن القاديانية وقال : " لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن الإسلام ، وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة ".

فأجابه الدكتور مُحَمَّد إقبال : " .. إنها أشد خطرا على الحياة الإجتماعية الإسلامية في الهند من عقائد " أسفنورا" الفيلسوف الثائر على نظام اليهود " .

ثالثا: موقف علنماء الهند ويباكستان من القاديانية:

من الجدير بالذكر أن لعلماء الهند وباكستان مواقف مشرفة في الدفاع عن الإسلام من القاديانية وبيان خططهم ومحاولة دحرها ، ومن تلك الجهود ما قررته محكمة باكستان بشأن فرقة القاديانية ، فقد صدر كتابا مترجما من الأردية إلى العربية ، بتعريب الأستاذ مُحَمَّد بشير باسم : المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر : القاديانية فئة كافرة "

وكانت هذا المحكمة مؤلفة من سيادة القاضي فخر عالم ، رئيس القضاة ، والقاضي شودري مُحَمَّدج صديق ، والقاضي ملك غلام علي، والقاضي عبد القدوس القاسمي ، وأصدرت قرارات تعاقب كل من مس شعائر المسلمين بأذى من فرقة القاديانية ، منها معاقبة بالسجن سبع سنين لكل من أظهر طريقة النداء للعقائد القاديانية بأي طريقة ، ومنها السجن ثلاث سنوات لأي تعبير يشعر بتدنيس اسم من أسماء أزواج النبي مُحَمَّد ﷺ ، وغيرها من العقوبات والأحكام في 188 صفحة .

المبحث التاسع:

أسباب انتشار القاديانية

إن البشر ليسوا على درجة واحدة من الفهم والذكاء ولا قوة الإيمان وضعفه ، ولهذا فكل صائح له صدى ، وكل داع يجد له أتباعا . والقاديانية ودعوتها الشريرة وجدت له من يتقبلها ، ويمكن أن نوجز أهم تلك الأسباب التي أدت لقبول دعوتهم فيما يلي :

1- جهل كثير من المسلمين بحيقة دينهم .
2- وقوف الاستعمار إلى جانب هذه الدعوة الخبيثة تأييدا لها ماديا ومنويا .
3- استغلال القاديانيين لبعض فقراء المسلمين بمساعدتهم لبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وتوزيع الكتب وغير ذلك .
4- نشاط القاديانيين وذهابهم إلى الأماكن النائية من بلدان المسلمين.
5- تمويه القادياني على سذج المسلمين بأن القاديانية والإسلام شيء واحد .
6- عدم قيام المسلمين بالتوعية الكافية ضد القاديانية وغيرها من الطوائف الضالة .

هي أهم الأسباب وربما توجد أسباب أخرى كثيرة ساعدت في نشر القاديانية في أماكن كثيرة من بلدان المسلمين.

على أنه قد وجد بعد ذلك نوع من اليقظة الإسلامية ووجد علماء أوقفوا القاديانية عند حدها في بعض بلدان المسلمين .

ومع ذلك ، فقد فقد انتشرت القاديانية في هذه الأيام وبدأت تستعيد أنفاسها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي.

فقد انتشرت في أماكن متفرقة في إفريقيا وأوربا ، وقد عزى الشيخ إحسان الهي ظهير أهم تلك الأسباب التي أدت إلى انتشارها في إفريقيا كما يلي :

- مساعدة الإستعمار بشتى أشكاله في نشرها.
- قلة وجود علماء مسلمين حقيقيين.
- جهل أكثر المسلمين لحقيقة القاديانية الأصلية.

- غفلة العالم الإسلامي عن إفريقيا.
- وجود مئات المبلغين القاديانيين الذين يتجولون في أنحاء إفريقيا.
- أقيمت في إفريقيا 47 مدرسة ، وبنوا 260 مسجدا قاديانيا[565] .
- فتحوا كثيرا من المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية[566].

ومن أبرز نشاط القاديانية في إفريقيا وغيرها من الدول في مجال الصحافة فقط ما يلي:

أ- لهم في نيجيريا مجلة أسبوعية باللغة الإنجليزية.

ب- في غانا مجلة شهرية باللغة الإنجليزية.

ت- في سيراليون مجلة شهرية باللغة الإنجليزية.

ث- في كينيا مجلة كل ثلاثة أشهر باللغة الإنجليزية.

ج- في شرق إفريقيا مجلة شهرية باللغة السواحلية.

ح- في موريشيوس مجلة شهرية باللغة الفرنسية والإنجليزية.

خ- في سيرليون مجلة شهرية باللغة الإنجليزية.

د- في إندونيسيا مجلة شهرية باللغة الإندونيسية.

ذ- في إسرائيل مجلة شهرية باللغة العربية.

ر- في سويسرا مجلة شهرية باللغة الألمانية.

ز- في لندنمجلة شهرية باللغة الإنجليزية .

س- في الدنمارك مجلة شهرية باللغة الدانمركية.

بالإضافة إلى الكتب الكثيرة والمبالغ الضخمة التي ترسلها دائما إلى بلدان كثيرة لنشر القاديانية.

كما بنوا 343 مسجدا في أمريكا وهولندا وسويسرا وبورما وفي كثير من بلدان العالم ، وجعلوا مساجدهم مراكزا للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية .

---

[565] لقد زاد عدد المساجد القاديانية إلى أكثر من هذا العدد كما ذكر النجرامي في كتابه أباطيل القاديانية في الميزان ص 105

[566] انظر: القاديانية دراسة وتحليل ص 15 ولعل هذه الأرقام التي ذكرها هي في وقته، وربما زادت في عصرنا الحاضر زيادات لا يعلمها إلا الله ومنها ظاهر ومنها خفي.

المبحث العاشر:

وفاة القادياني وأبرز زعماء القاديانية بعده

أ- وفاة القادياني:

وقعت عام 1907م بين القادياني وبين العلامة ثناء الأمر تسري مناظرات خرج الغلام منها مدحورا ، فدعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل الطاعون ، وفي شهر مايو 1908م أجيبت دعوته فأصيب بالكوليرا في لاهور فمات في بيت الخلاء وكان جالسا لقضاء حاجته ، وتقلت جثته إلى قاديان حيث دفن في المقبرة التي سماها بمقبرة الجنة بهشتي مقبرة[567]، وعاش ثناء الله بعده أربعين سنة في نضال القاديانيين والرد عليهم .

ب- بعض زعماء القاديانية :

برز كثير من زعماء القاديانية وكبرائهم متخذين من حيل القاديانية وضلالاته منهجا لهم ، وطمع بعضهم في مكانة النبوة التي ادعاه القادياني إلا أن بريطانيا وقفت حائلا دونهم ، وذلك خوفا من من ذهاب تأثير القادياني في نفوس أتباعه مما يستدعي فتور الناس عن التصديق وذلك أحجموا عن دعوى النبوة .

ومن أبرز زعمائها بعد الميرزا غلام ما يلي:

1- الحكيم نور الدين البهيروي :

هذا الرجل هو الشخصية البازرة بعد الغلام وصار هو الخليفة بعد موته ، وكان محبا للعز والجاه بأي ثمن ، فالتحق بالغلام وصار من أكبر أتباعه .

ولد سنة 1258م في بهيره من مديرية شاه بور في البنجاب غربي باكستان ، وأبوه غلام روسل كان إماما في مسجد بهيره .

عين أستاذا للفارسية في مدرسة راو لبندي الحومية عام 1858م ثم عين مديرا لمدرسة إبتدائية لمدة أربع سنوات ثم تركها ولازم بعض المشايخ ثم سافر إلى لكهنو ودرس الطب ثم سافر إلبهوبال ثمإلى الحجاز في تلقي العلم ثم عين طبيبا خاصا في ولاية جمون كشمير الجنوبية وفيها تعرف على الميرزا غلامأحمد ، وكان من المحرضين للميرزا على ادعاء النبوة .

---

[567] انظر: القادياني والقاديانية ص26-27

وتوفي عام 1914م في 13 مارش حينما سقط عن فرسه وجرح واعتقل لسانه قبل موته ، وقد استخلف الميرزا بشير الدين محمود نجل الميرزا غلام أحمد .

صفاته :

كان قلق النفس ثائر الفكر كما يصفه الندوي ، عقلي النوعة تأثر بالمدرسة التي تنزل العقيدة والشريعة للعلوم الطبيعة والتي دخلت على يد الإنلجيز الى شبه القارة الهندية[568] .

2- مُحَّد أحمد :

وهو ابن الميزرزا غلام أحمد ، وقد أعلن أنه خليفة لجميع أهل الأرض وقد ادعى أن لقمان المذكور في القرآن هو والده وأنه هو ابن لقمان ، وسيرته مملوءة فحشا وشناعة وفجورا مما جعل حتى القاديانيين يتألمون منه ، وقد قاسى أنواع الأمراض قبل موته سنة 1965م .

3- الخواجة كمال الدين :

ادعى لنفسه أنه مثل الغلام في الإصلاح والتجديد وقد انتهب كثيرا من الأموال وذهب إلى إنجلتر لتبليغ القاديانية وسكن في ووكنج مشن ، ومال إلى انتهاب اللذات والبيوت الفاخرة .

وكان إذا سمع أن شخصا أسلم ادعى فورا أنه أسلم على يديه على الطريقة القاديانية ، وكان لا يتورع عن أكل الخنزير وعمل كثير من المنكرات[569] .

4- **هناك شخصيات أخرى قاديانية** مثل مُحَّد أحسن أمر الذي كان مصدر عون للقادياني ، حيث كان يصلح مسودات كتب القادياني ثم يرسلها إلى الغلام ، ومنهم مُحَّد صادق ، وكان مفتيا للقاديانية ، وعبد الكريم السياكوتي إمام مسجد الغلام وخطيبه ، ومنهم بىار مُحَّد من مؤسسي القاديانية ومنهم عبد الله تيمابوري ادعى النبوة حسب بشارات الغلام ، وهناك الكثير غيرهم من الزعماء للقاديانية وقد خذلهم الله في أماكن كثيرة وانبرى لهم أتباع مُحَّد ﷺ يردون عليهم ويبينون للناس خروجهم من الإسلام ويحذرون منهم .

[568] انظر: ترجمة هذا الشخص فيما كتبه الندوي في الفصل الثالث ص 28 من كتابه القادياني والقاديانية.

[569] انظر: جريدة الفصل 21/ أغسطس / سنة 1924م ومجلة حقيقة إسلام لاهور يناير سنة 1934م ، انظر: كتاب القادياني والقاديانية للندوي ص 154 فصل" دعاية وتهريج"

5- الفرع اللاهوري القادياني :

كان أمير هذا الفرع هو مُحَمَّد علي ، من أوائل المنشئين صرح القاديانية ، ومن أشد المخلصين للقادياني وللإنجليز، وبعد وفاة الغلام استفحل الخلاف بينه وبين أسرة القادياني وذلك لخلافهم حول اقتسام الأموالالتي حصلوا عليها جراء شركة النبوة.

ويرى بعض العلماءء أن مُحَمَّد علي أختير من قبل الإنجليز لإتمام مخطط القاديانية بحيث يتحاشى فيها مصادمة طوائف المسلمين فتظاهر بعدم قبول نبوة الغلام ليجتلب إليه اكبر عدد من المسلمين[570] .

بينما يرى بعض العلماء أيضا أن مُحَمَّد علي وطائفته كانوا يرون أن الميرزا غلام أحمدلم يدع النبوة، وهذا لم يرض أتباع الغلام فسموهم بالمنافقين[571].

ولعل رأي من رأى من العلماء أنه كان يتظاهر بعدم قبوله دعوى نبوة الغلام هو الأصح ، خصوصا وأن مُحَمَّد علي كان متقلبا في اعتقاده في الغلام حسب املاءات الإنجليز ، ولذلك نرى مُحَمَّد علي يصرح بقوله : " نحن نعتقد أن الغلام أحمد مسيح موعود ومهدي معهود وهو رسول الله ونبيه " .

قام مُحَمَّد علي بنشاط كبير في عرض القاديانية لعل من أهمها ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية[572] حيث ملئه بالأفكار القاديانية مما جعل الكثيرين يقعون ضحية تلك الترجمة ظنا منهم أنها ترجمة رجل مسلم ، وقد تلاعب فيها بمعاني النصوص وأولها إلى تأويلات باطنية كثيرة .

من أهم مراجع القاديانية:

1- ما هي القاديانية/ أبو الأعلى المودودي.
2- القادياني والقاديانية/ أبو الحسن علي الندوي
3- القاديانية دراسة وتحليل/ إحسان إلهي ظهير.
4- القاديانية/ عبد الله صالح الحموي.

---

[570] انظر: ماكتبه إحسان إلهي ظهير في كتابه القاديانية دراسة وتحليل ص 242

[571] انظر: القاديانية والقاديانية للندوي ص 144 وجريدة الفصل 411 ولماذا تركت القاديانية ص 31

[572] يذكر مُحَمَّد أختر الذي كان قاديانيا ثم انفصل عنهم أن تلك الترجمة ليست من صنع مُحَمَّد علي كلها وإنما هي للحكيم نور الدين البيهيروي ونسبها مُحَمَّد علي لنفسه، انظر: كتابه لماذا تركت القاديانية ص23 ترجمة مُحَمَّد كليم الدين.

5- معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية/ بشير محمود أحمد.

6- لماذا تركت القاديانية؟ / ميرزا مُحَمَّد سليم أختر.

7- المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية تقرر: ((القاديانية فئة كافرة)) تعريب الأستاذ مُحَمَّد بشير.

8- القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام/ د. أحمد مُحَمَّد عوف.

9- حب العرب إيمان/ للميرزا غلام أحمد–خطبة جمعة.

10- أباطيل القاديانية في الميزان/ د. مُحَمَّد يوسف النجرامي.

11- دعوة الأمير (معتقدات الجماعة الأحمدية الإسلامية) للميرزا بشير محمود أحمد.

12- ضميمة الوحي/ للقادياني.

13- توجد بحوث عن القاديانية منها:

14- القاديانية في إندونيسيا للشيخ شفيق أمر الله شمس الدين.

15- القاديانية في غانا للشيخ سحنون تاج الدين

كما أنني قدمت أثناء الكتابة عن القاديانية ما ترجمه المشائخ: أبو الأعلى المودودي، والشيخ الندوي، والشيخ إحسان إلهي، على ما ترجمه غيرهم؛ للثقة القوية بغزارة علم هؤلاء، وإحاطتهم بمفاهيم القاديانية كلها، وعظيم شرفهم في الخلق والدين، فالاعتماد على ترجمة هؤلاء أولى من غيرهم في نظري، خصوصاً لمن لم يعرف اللغة الأردية.

الفصل التاسع

الصوفية

تمهيد: في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة :

نبحث هنا عن الصوفية التي خرجت عن الحق إلى الغلو متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة ، والتي طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي ، وبروز علماء السوء المغرمين بالخرافات وحب الزعامة .

لقد تنوعت مصادر المذهب الصوفي في تلفيق أفكاره من شتى المذاهب فكذبوا على الله وعلى رسوله ﷺ لتقوية مبادئهم وتأييدها .

وطرقوا كثيرا من المسائل التي ليست من الاسلام في شيء ولم يقل بها أحد من المسلمين وأظهروها بزخرفهم على أنها من الإسلام، وذلك بما قدموه من قلب الأدلة وإثارة الشبه والفتن في الاستدلال والجواب ، وقالوا بوحدة الوجود والإتحاد ووحدة الشهود والكشف والقطب والغوث وغير ذلك من الأمور التي طرقها كبار زعمائهم مثل الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس من الذين اعتقدوا وجوب اتصاف الخلق بصفات الخالق[573] .

وقد قامت في هذا العصر الدعوة الصوفية على نطاق واسع، وذلك بسبب عدة عوامل أبرزها مايلي:

أ- جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم من ناحية، ثم الجهل بحقيقة الصوفية أيضا من ناحية أخرى .

ب- مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية لأنهم يعرفون مكاسبهم التي سيجنون ثمارها إذا على سلطان الصوفية في العالم الإسلامي، وأعداء الإسلام فريقان :

1- فريق عداوته ظاهرة ، وهم المستعمرون ومن يبيتون النية لهدم الإسلام .

2- فريق آخر متلبس بلباس الدين ويحكمون كثيرا من العالم الإسلامي وهؤلاء يدعمون الصوفية خوفا من عودة الوعي الإسلامي السلفي الذي يصطدم مع ميول ورغبات هؤلاء وشهواتهم

لأجل هذه الأمور كان تنبيه طلاب العلم إلى خطر هذا المذهب الرديء واجبا يحتمه النصح لكل مسلم يحب حماية نفسه ودينه من الإنزلاق في وحل الشبهات والأفكار المبثوثة بين صفوف المسلمين .

---

[573] انظر: التصوف، المنشأ والمصدر ، إحسان إلهي ظهير . ص6

المبحث الأول:

التعريف بالصوفية لغة واصطلاحا

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافا كثيرا قلما يوجد له مثيل، حتى إن بعض العلماء قد ذكر أنها تصل إلى الألفين ، يقول مُحَّد طاهر الحامدي : "الأقوال المأثورة في التصوف قيل : إنها زهاء ألفين"[574] وقد ذكر الشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه "التصوف ، المنشأ والمصدر" كثيرا من الأقوال في تعريف الصفوية[575] ، وفيما يلي نلقي الضوء على ذلك بإيجاز :

أ- **تعريف الصوفية في اللغة** : يطلق علماء اللغة تحت مادة " صوف" في معاجمهم على عدة معان: منها أنها تطلق على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، ومنها من صوفان أو صوفانة وهي بقلة قصيرة، وتطلق في بعض دلالتها على الميل فيقال صاف السهم أي مال[576] .

ب- **تعريف الصوفية في الاصطلاح** : مرت الصوفية بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، ولهذا وقع كثير من الجدل بين العلماء في تعريف الصوفية ، وكلها لا تخرج عن وصفها بأنها بدعة محدثة في الدين ، وفيما يلي ذكر أهم التعريفات من الصوفية أو من مخالفيهم :

1- منهم من عرفه بأنه تجريد العمل لله والزهد في الدينا وترك دواعي الشهرة والميل إلى التواضع وإماتة شهوة النفس ،ولكن هذا لا يصدق إلا على التصوف في عهد الأول الذي كان عبارة عن انقطاع للعبادة لله وحده والزهد دون أن يلبسوه بسلوك مشين .

2- نسب كثير من العلماء هذه التسمية إلى لبس الصوف، ويورد عليها القشيري بأن القوم لم يختصوا بلبس الصوف.

3- يرى بعضهم أنه مأخوذ عن الصفاء، أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملاتهم مع الله [577]،إلا أن القشيري في الرسالة ضعف هذه النسبة من ناحية اللغة وقال " بعيد في مقتضى اللغة" حيث يقال صفائي أو صفاوي[578].

---

[574] انظر : التصوف المنشأو والمصدر ص 37

[575] انظر : ص 36-48 "الفصل الثالث"

[576] انظر: معاجم اللغة في مادة "صوف"

[577] انظر : دراسات في الفرق ص 98

[578] الرسالة القشيرية 550/2

4- ينسبه بعضهم إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة ، ولكنها ضعيفة أيضا من ناحية اللغة حيث لا يقال في النسبة إليها صوفي وإنما يقال صُفّي[579].

5- يرى بعضهم أنها نسبة إلى الصف الأول، ولكن هذا المعنى ضعيف من ناحية اللغة فلا تنسب بكلمة صوفي وإنما يقال صَفّي[580] .

6- يرى بعضهم انها نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهي قبيلة كانت حول البيت في الجاهلية، وتنسب إلى رجل يقال له صوفة، كان قد انقطع للعبادة في الحرم.

والحقيقة فإنه لا أحد يرضى من المتصوفة أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام ، بالإضافة إلى أن هذه التسمية لم تعرف بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة[581].

7- يرى بعضهم أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله، ولكنها ضعيفة أيضا من ناحية اللغة حيث لا يقال في نسبتها صوفي وإنما يقال صفوي.

8- زعم الكاتب النصراني جورجي زيدان أن كلمة التصوف في العربية تعادلها كلمة "سوفيا" في اليونانية والتي معناها الحكمة[582] ، وقد أبطل هذا الزعم كثير من العلماء ربما لأن التصوف ظهر بعد الإسلام ، ولكن لا يمنع أن تتأثر به الصوفية بشيء من التأثيرات، بل هو الصحيح، ولكن ليس بالمفهوم اليوناني الكامل .

وهناك غير هذه التعريفات[583]والراجح والله أعلم أن النسبة إلى الصوف هي الأقرب الى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب إلى ذوق الصوفية وحالهم وتمسكهم بلباس الصوف ، وقد رجحه شيخ الإسلام

---

579 المصدر نفسه.

580 المصدر نفسه .

581 انظر: الصوفية والفقراء ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص13-14

582 انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 23

583 انظلا: الرسالة القشيرية 550/1 وانظر : الصوفية معتقدا ومسلكا ص 19-36 ، والصوفية المنشأ والمصدر ص 20-39

ابن تيمية[584] وقد قال بذلك السهروردي أيضا من الصوفية لموافقته في اللغة ولما كان عليه حال الصوفية[585] .

المبحث الثاني:

هل توجد علاقة بين المتصوفة وأهل الصفة

تعتبر هذه القضية من القضايا التي خاض غمارها المتصوفة من جانب، وغير المتصوفة من الجانب الآخر حول الصلة بين الصوفية وأهل الصفة .

والجواب:

على الرغم مما بذله المتصوفة من ربط العلاقة بين أهل الصفة والصوفية إلا أن ذلك لم يجدهم شيئا، فقد زعم بعض المتصوفة كالمنوفي والسهروردي وغيرهما من كبار الصوفية بوجود صلة بين أهل الصفة والصوفية، وأن أهل الصفة سلف المتصوفة، بل استدل بعضهم بفعل الرسول ﷺ وتحنثه في غار حراء .

فالسهروردي يرى ان أن العلاقة بينهما تتمثل في حب التفرد والعزلة عن الناس والشوق إلى الله تعالى[586] .

وأما المنوفي فيرى أن الرابط بينهم عدم ركونهم إلى العروض الفانية من الدنيا، وصفاء أنفسهم من الأكدار وغلبة الفقر عليهم[587]، ويمكن بيان بطلان ما ذهبوا إليه من خلال الإيجاز التالي :

أ- أن السهروردي وغيره من المتصوفة لم يستطيعوا أن يأتوا برباط واحد، أو قاسما مشتركا صحيحا مقبولا بين حال أهل الصفة رضوان الله عليه وبين الصوفية.

ب- ربط بعضهم بين حال الرسول الله ﷺ وحبه للخلوة وبين حال الصوفية.

---

[584] انظر: الصوفية والفقراء ص 15

[585] انظر : عوارف المعارف ص 45-49

[586] انظر: عةارف المعارف ص 47

[587] انظر: جمهرة الأولياء 131/1

وقد فاتهم أن حب العزلة والإنفراد والخلوة لا يصلح دليلا لهم، فإن أقل ما ينقضه هو أن تلك الخلوة كانت بعناية الله ليستعد لحمل أعباء الرسالة فيما بعد، وهذا قبل أن يكلف بدعوة الناس وإقامة شعائر الدين، بخلاف مقاصد الصوفية وأحوالهم.

ج-ومما ينقضه أنه منذ أن اختار الله نبيه لتبليغ رسالته كان محط أنظار الناس في كل لحظة من لحظات عمره وإلا فكيف انتشر الإسلام وشرائعه، فلم يفضل الخلوة والانعزال بل بذل كل حياته لنشر تعاليم الإسلام.

د-أن استدلالهم بمحبة الفقر والخرقة[588] من أهل الصفة والانزواء في الزوايا غير صحيح، فإن الثابت أن أهل الصفة كانوا في مجملهم يشتكون حالهم إلى رسول الله ﷺ على أمل أن يساعدهم في حياة طيبة، وقد أخبر الله عنهم أنهم يتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

هـ-أنه قد تحقق لمعظمهم مال وفير بعد الفتوحات الإسلامية عملا بقول الله: {ولا تنس نصيبك من الدنيا} واجتمعت لبعضهم ألوان من الأطعمة لعلمهم أن هذا لا ينافي الزهد وقد قال عليه الصلاة والسلا:" اليد العليا خير من اليد السفلى"[589] .

و-أن استدلالهم بمحبة أهل الصفة للفقر كما زعم السهروردي والمنوفي فهي محض خيال، فأهل الصفة ما كانوا يحبون الفقر ولا يحبون الانفراد والعزلة عن الناس كيف وهم في أكثر مكان يتجمع فيه الناس، ولم تكن بمحض إرادتهم وإنما هي حالة طارئة، وما كان أحد منهم يحمل الزنبيل على ظهره ويطوف بالبيوت في طلب رزقه متكاسلا عن العلم متَّكلا على ما في أيدي الناس[590] .

ز-أن زعم المنوفي أن الله اختار أهل الصفة ليكونوا فقراء وأن أهل الصفة اختاروا الفقر ، فهو زعم باطل يكذبه القرآن والسنة ، فقد كان منهم من تولى الإمارة ومنهم من أصبح غنيا ومنهم من أصبح قائد الجيوش وهم في قمة الزهد والورع .

---

[588] ذكر السهروردي للبس الخرقة حقوقا لا يحتملها إلا من كان موفقا غاية التوفيق، انظر: عوارف المعارف ص 52

[589] أخرجه البخاري 377/5

[590] كما وصفهم بذلك السهروردي في عوارف المعارف ص 49

المبحث الثالث:

أسماء الصوفية وسبب تسميتهم بها

من أشهر الأسماء لهذه الطائفة اسم "الصوفية" ولهم أسماء أخرى أطلقت عليهم أو أطلقوها هم على أنفسهم وهي كما يلي:

أ- الصوفية: وهو الاسم المشهور الذي يشمل كل طرقهم وهم يفرحون بالانتساب إلى هذا الاسم.

ب- أرباب الحقائق: لزعمهم أنهم وصلوا إلى حقائق الأمور وخفاياها[591].

ت- الفقراء: وقد زعم السهروردي أن الله سماهم بهذا الاسم[592] واستدل بقوله تعالى: {للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله}[593] .

ث- شكفتية: ويطلق عليهم هذا الاسم في خراسان ، وهو نسبة إلى الغار لأن منهم طائفة يؤوون إلى الكهوف والملغارات كما يذكر السهروردي[594] .

ج- جوعية: ويطلقها عليهم أهل الشام[595] .

ح- الملامية أو الملامتية: وهي من الأسماء التي تطلق عليهم كما يذكر زعماؤهم، وهي أن يأتي الصوفي بما يلام عليه لأجل أغراض سامية فيما يزعمون[596] .

وقد عرفه السهروردي بقوله : هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا "[597] ويعللون لهذا بأنه مع الناس في اا‌لظاهر ومع الله في الباطن، مهما كانت أفعال الشخص في الظاهر .

وهذا من التلاعب بعقول الناس والترويج للباطل بأبطل منه وقلب للحقائق، ومتى كانت دعوة الصالحين تقوم على مراءاة الناس ومداهنتهم؟ .

---

591 انظر: الصوفئية معتقدا ومسلكا ص31

592 انظر: عوارف المعارف ص 42

593 سورة البقرة آية 273

594 انظر: عوارف المارف ص 48

595 المصدر السابق .

596

597 انظر: عوارف المعارف ص 54

ولهذا فإن من الثابت عندهم أن كل ما يصدر عن الصوفي ينبغي أن يفسر بخير حتى وإن كان فعل الفواحش فيجب الاعتقاد أنه لم يفعل ذلك إلا لحكمة جليلة كما بين ذلك الشعراني في طبقاته وغيره في تراجمهم لسادتهم عتاة الصوفية . ويذكر الدباغ أن الملائكة لا تنفر من الولي إذا انكشفت عورته ، لأن فعله ها يكون لغرض صحيح فيترك ستر عورته لما هو أولى منه . ويذكر الفوتي كثيرا من الواجبات في حق المشايخ والأولياء منها عدم الاعتراض على الشيخ في أي شيء يفعله ، وأن يكون المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل .

ويرى ابن عربي في فتوحاته المكية أن هذا الاسم أطلق عليهم لأنهم أخفوا مكانتهم الشريفة في العامة ، وقد شبههم المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء بأهل الكهف[598] .

وقد قسم شيخ الإسلام الملامية إلى قسمين :

1- ملامية : يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم .
2- ملامية : يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصرون على الملام في ذلك وهم أهل الملام المذموم[599] . وقد أشار ابن الجوزي إلى مسلك من مسالك الملامية وهو ارتكاب المعاصي بحجة عدم لفت الأنظار إلى صلاحهم ، وهذا كله من الباطل الذي لبس عليهم ولبسوا به على الناس[600] .

المبحث الرابع:

متى ظهر المذهب الصوفي

تضاربت أقوال العلماء حول الوقت الذي ظهرت فيه الصوفية.

والواقع أنه لا يعرف بالتحديد الدقيق متى بدأ التصوف في المسلمين ولا من هو أول متصوف، وفيما يلي عرض موجز لأهم آراء العلماء في تحديد نشأة الصوفية :

أ- أن هذه التسمية عرفت قبل الإسلام ويريدون بها أصحاب الفضل.
ب- أنه ظهر سنة 150هـ .

598

599 مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 61/1

600 انظر: تلبيس إبليس ص 363

ت- أنه ظهر سنة 189هـ .

ث- أنه ظهر بعد المائتين من الهجرة .

ج- أنه ظهر قبل المائتين من الهجرة، وهذا قول السهروردي في جمهرة الأولياء.

ح- أنه ظهر بعد القرون الثلاثة الأولى، أي في القرن الرابع الهجري، -كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية – ويذكر أن التصوف أول ما اشتهر كان في البصرة فكان بعضهم إذا سمع القرآن يخر ميتا ، وقد أنكر على ذلك من كان موجودا من الصحابة ﷺ .

خ- أنه اشتد بعد النصف من القرن الثامن والتاسع والعاشر .

د- أنه كان معروفا في زمن النبي ﷺ ، وهذا قول الهجويري من الصوفية وهو أبطل الأقوال[601] .

فالعلماء متضافرون على أن التصوف ليس له وجود في زمن النبي ﷺ على الصحيح من أقوالهم فمن المحال أن يتشرف أحد من الصحابة بالانتساب إلى غير الصحبة ، وقد نص السهروردي على أن التصوف عرف بعد المائتين من الهجرة، ونص المنوفي على أنه عرف في القرن الثاني[602] أما ابن تيمية فقد نص على أن التصوف لم يعرف في القرون الثلاثة الأولى[603].

والذي يظهر أن التصوف ظهر بعد الإسلام في شكل زهد ورغبة في الدار الآخرة ، وكبح جماح النفس في حب الدنيا.

ثم لحق هذا المفهوم حب التطوير وإدخال مفاهيم بقصد تهذيب الفكرة بغض النظر عن مطابقتها للحق ، ولم يبعد أقطاب التصوف عن شتى التيارات والأفكار المخالفة للإسلام والتأثر بها فظهرت جلية في معتقداتهم وسائر سلوكهم .

---

[601] انظر: كشف المحجوب للهجويري ص 772 ةالتصوف الإسلامي وتاريخه ، تأليف نيكلسون ترجمة (أبو العلاء العفيفي) ص3 ودائرة المعارف الإسلامية 266/5 واللمع للطوسي ص 42 والرسالة القشيرية 3/1 وعوارف المعارف للسهروردي ص 63 والصوفية والفقراء ص5 وانظر: الفكر الإسلامي ص33-36والتصوف المنشأ والمصادر ص 40-48 والصوفية معتقدا ومسلكا ص 53 .

[602] انظر: عوارف المعارف ص48 وجمهرة الأولياء 269/1

[603] انظر: مجموع الفتاوى 5/11

وقد تصدى علماء الإسلام للتصوف وبينوا بطلان معتقداته كشيخ الاسلام ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة وتلاميذه ابن القيم وابن كثير والحافظ الذهبي والحافظ المزي وغيرهم من العماء وممن جاء بعدهم كالشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر ، حيث بينوا

انحراف المتصوفة عن الحق وبطلان معتقداتهم.

المبحث الخامس:

حقيقة التصوف

مضى زمن رسول الله ﷺ وزمن الصحابة وزمن التابعين لهم بإحسان ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والنسبة إليهما.

ثم أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم ، وأخذ كل فريق يعبر بما يراه عن التصوف من أقطابه ، كالجريري والجنيد وعمرو بن عثمان المكي ومُحَمَّد علي القصاب ومعروف الكرخي والسهروردي والشبلي والشاذلي والتيجاني والبسطامي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم .
ويمكن إيجاز حقيقة التصوف عند الصفوية ثم عند غير الصوفية فيما يلي:

أولا: حقيقة التصوف عند الصوفية :

سبق القول بأن أقوال زعماء التصوف لم تتفق على مفهوم محدد للتصوف بل اختلفوا في اطلاقات كثيرة حسب ذوق كل فريق وحاصل عامة أقوالهم تلتقي حول فكرة معينة ، وهي :

القرب من الله وترك الاكتساب والتمسك بالخلق الرفيع والجود ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم حين يتصلون بالله ويصلون إلى درجة اليقين .

وقد أورد القشيري في رسالته كثرة كاثرة من الأقوال التي نقلها في تعدد مفهوم التصوف ومن أبرزها ما يلي:

1- من يعنى بباطنه فقط ، وهو تعريف الجنيد حيث يقول : " إذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب" .
2- من كان فقيرا مجردا من الأسباب وكان مع الله بلا مكان، وهذا تعريف ابن الجلاء.
3- من كنس الله أرواحهم بالمزابل، وهذا تعريف أبو علي الدقاق.

4- هو الإعراض عن الاعتراض، وهذا تعريف أبي سهل الصعلوكي.

5- أن أساس التصوف هو الفقر، وهذا تعريف السهرودي والشبلي . إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة[604].

ثانيا: حقيقة التصوف عند غير الصوفية :

اختلفت وجهات نظر العلماء في بيان حقيقة التصوف عند الصوفية ، وأبرز ما قيل عنه ما يلي:

1- أن أساس التصوف مستمد من الكتاب والسنة، وهذا القول قريب من أقوال المتصوفة.

2- أنه ليس إسلامي النشأة ، وإنما وفد على البيئة الإسلامية عقب الفتوحات الإسلامية[605]، ويرجعون نشأة التصوف إلى أنه فارسي أو هندي أو يوناني أو مسيحي أو أنه مزيج من هذا كله.

وفي الحقيقة: إن طريقة المتصوفة قد تأثرت كثيرا بالآراء والأفكار المخالفة للإسلام حيث تظهر بوضوح الأفكار الهندية والفارسية واليونانية والمسيحية.

وقد كان التصوف في بدء أمره عند بعض المسلمين زهد في الدنيا ورغبة في الآخرة وقتل هوى النفس إلى أنه تطور في الإنحدار وبعد عن حقيقة الإسلام في كثير من الأمور التي طرقها التصوف فأصبح مذموما ينفر عنه أهل الحق.

---

[604] انظر: الرسالة القشيرية 2/55-57وعوارف المعارف ص 40-44

[605] انظر: لمزيد من التفصيل : الصوفية معتقدا ومسلكا ص 47-48

المبحث السادس:

أقسم المتصوفة وذكر طرقهم – التجانية نموذجا–

أولا: أقسام المتصوفة:

الصوفيون طرائق عديدة وأهواء متباينة شأن سائر أصحاب البدع، وقد اختلف العلماء في عدّ أقسامهم فبعضهم يقسمهم إلى قسمين وبعضهم يعدها إلى ثلاثة أقسام وبعضهم يوصلها إلى ستة أقسام.

وسبب هذا الاختلاف ما يلي :

أ0 تنوع مصادر الصوفية وتنوع أفكارهم:

1- فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي الذي يدعي أن المعرفة والعلم تُقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية، فيحصل لها فيض وإشراق، وهذا يشبه المذهب البوذي ، وهو قسم من الصفوية .
2- وقسم آخر يزعمون أنهم صفوا من الكدر وامتلئوا من الفكر على طريقة الفلسفة الهندية .
3- وقسم ثالث قائلون بالحلول وأن الله حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية ، ومن أكابر هذا المذهب الرديء الحلاج .
4- القائلون بوحدة الوجود وبأن الموجودات كلها تمثل الباري عز وجل ومن أكابر هذا المذهب ابن عربي.

وقد قسمهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام وهي :

1- صوفية الحقائق .
2- صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الأوقاف .
3- صوفية الرسم : وهؤلاء همهم اللباس والآدب وغير ذلك، أي أنهم متشبهون بالصوفية في الظاهر وهمهم جمع المال والاحتيال على الجهال[606] .

[606] انظر: الصوفية والفقراء ص33

وهذا التقسيم واضح غير أنه ليس فيه توضيح وبيان مدى ما وصلت إليه الصوفية فيما بعد .

ثانيا : تعدد طرق الصوفية :

يصعب الحكم على الصوفية بحكم يشمل جميع فرقهم المتشعبة، فقد تعددت طرقهم والتي هي عبارة عن التزام مجموعة من الأتباع أو المريدين بشيخ يجعلونه قائدا لهم وينفّذون ما يوجبه عليهم من أذكار وسلوك .

وقد عدَّ الشيخ أبو علي العجيمي الحنفي أربعين طريقا للصوفية ، وبعضهم عدها أكثر من ذلك، وعدها المنوفي اثنان وخمسون طريقا في جمهرة الأولياء وأوصلها الدكتور صابر طعيمة إلى ست وستون طريقا ، ويقول الدكتور علي الدخيل : " والحق أن الطرق الصوفية كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها"[607] وقد ذكر المنوفي 52 طريقة في كتابه جمهرة الأولياء[608] وعدها الدكتور صابر طعيمة ما مجموعه 66 طريقة، وقد ذكر أنه في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري بلغ عدد الطرق في بلد واحد أكثر من مائة طريق[609].

ومعظم تلك الطرق ناتجة عن الهوى ونابعة منه ومبنية على الرغبة في الزعامة والعلو في الأرض واستعباد الناس .

ثالثا : الطريقة التجانية :

أ- اسم مؤسسها وأبرز مزاعمه الشخصية :

انتشرت هذه الطريقة وأتباعها في كثير من أقطار بلاد إفريقيا بخصوصها، وهي نسبة إلى شخص يسمى أحمد بن مُحَّد بن مختار التجاني ولد سنة 1150 هـ بقرية عين ماضي وينسب إلى بلدة بني تجين من قرى البربر[610] .

وقد أكثر التجاني من دعاواه الباطلة مما يطول سرده ، وفيما يلي نوجز أهم تلك الادعاءات :

1- ادعى أنه خاتم الأولياء حيث زعم أن الولاية تختم كالنبوة .

---

[607] انظر: التجانية ص28 وقد كر من طرق الصوفية أربعا وثلاثين طريقة.

[608] انظر: جمهرة الأولياء 1/275-277 صدرها بقوله :" وها بيانن بشيوخ الطرق الصوفية في عصرنا"

[609] انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 41-43

[610] انظر: الفكر الصوفي ص351

2- زعم أنه الغوث الأكبر في حياته وبعد مماته .

3- زعم أن أرواح الأولياء لا يأتيها العلم والفتح إلا بواسطته منذ عهد آدم إلى وقت ظهوره .

4- زعم أن قدمه على رقبة كل ولي منذ خلق آدم إلى النفخ في الصور .

5- ادعى أنه أول من يدخل الجنة هو وأصحابه .

6- زعم أن الله شفعه في كل الناس الذين يعيشون في قرنه حتى الكفار.

7- أن الرسول أعطاه ذكرا يسمى صلاة الفاتح يفضل عن القرءان ستين ألف مرة وهذا نصه : " اللهم صل على سيدنا مُحَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقادره العظيم "

8- ادعى أن أتباعه لا تكتب لهم سيئات مهما عملوا، بل يدخلون الجنة دون حساب ولا عقاب ولو عملوا أعظم الذنوب بضمانة رسول الله .

9- ادعى التجانية أن من رأى التجاني يومي الإثنين والجمعة فإنه يكون من أهل الجنة إكراما للتجاني حتى وإن كان الرائي كافرا ، وهذه الدعوى لم تحصل لأشرف الخلق وغيره من الرسل .

10- زعم التجاني أنه يرى الرسول في كل وقتا يشاء وأن الرسول يعايشهم[611] .

وكما ترى ، كل هذه المزاعم هي محض افتراءات استحسنها هوى التجاني وأتباعه وقالوها بغير علم ولا عقل ، فملئوا أذهانهم بالشركيات وجنوا على عقائد المسلمين بالخرافات الجاهلية .

ب- أبرز آراء التجانية العقائدية :

نستعرض فيما يلي أبرز آراء التجانية من خلال أهم كتبهم كجواهر المعاني لعلي حرازم ورماح حزب الرحيم للفوتي والهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية وذلك كما يلي:

- **نسب التجاني**: ذكر علي حرازم في كتابه جواهر المعاني أن الرسول قال للتجاني يقظة أنت ولدي حقا ، كررها ثلاثا[612] .

[611] انظر: جواهر المعاني ،' علي حرازم 26/1

[612] نفس المرجع 26/1

- **التجاني يرى الأنبياء** : أورد علي حرازم كثيرا من الرويات التي تنص على لقيا التجاني للرسول صلى الله عليه سلم وسؤاله كثير من الأسئلة في الفقه وغيره والنبي يجيبه بغاية التلطف[613] .
- **المشابهة بين التجاني في حال سكره وبين حال النبي في تلقيه للوحي**: حيث يذكر على حرازم أن التجاني في حال سكره مشابه لحال تلقي الوحي من حيث امتلاء بدنه وتهلل وجهه وثقل الأمر عليه وأمور أخرى[614] .
- **التجاني يعلم الغيب** : حيث يعرف الظاهر والباطن ومازاد وما نقص ، ويعلم عدد أنفس الإنسان وأن عددها أربعة وعشرون ألفا وأن عدد خواطر الإنسان سبعون ألف خاطرة وغير ذلك من المغيبات[615] .
- **أن التجاني يعلم الاسم الأعظم والاسم الخاص بعلي بن أبي طالب**، وقد رتب علي حرازم نقلا عن التجاني أجورا مضروبة في أعداد كبيرة لكل من قرئه[616] .
- **أن من رأى التجاني فهو في الجنة** ،كما ذكر ذلك علي حرازم نقلا عن التجاني.
- **أن ثواب صلاة الفاتح لما أغلق تعدل القرءان ستة الآف مرة**، وتعدل كل تسبيح الكون، وتعدل ستمائة ألف صلاة، وأربعمائة غزوة، وكل صلاة بزوجة من الحور العين وغيرها من الأجور، وأنها أمر إلهي لا مدخل للعقول فيه[617] .
- **أن الشيخ الواصل يرى الله علانية في كل وقت** : يقول التجاني فيما نقل عنه الشعراني : " حقيقة الشيخ الواصل هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا"

وقد قسّموا مراتب النظر إلى الله حيث ذُكر أن " أوله مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف، ثم مكاشفة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق، ثم مشاهدة ، وهو تجلي الحقائق بلا حجاب

---

[613] نفس المرجع 47/1
[614] نفس المرجع 50/1
[615] نفس المرجع 54/1
[616] نفس المرجع 72/1
[617] نفس المرجع 26/1

بخصوصية، ثم معاينة وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب بلا خصوصية وهو مقام السحق والدك وفناء الفناء ، وهو معاينة الله"

وهذا المقام الأخير فيه ستر حال الولي ، فلو فعل الولي الفواحش هنا هو من باب تخيل الناظر ، حيث نص علي حرازم أن الولي قد يفعل الفواحش لستر حاله من الناس " من الزنا والكذب الفاحش، والخمر ، وقتل النفس ، وغير ذلك من الدواهي" وهو من باب تخيل الناظر ليستر حاله[618] .

- **دعاء التجاني في طلب الاتصاف بالألوهية** : حيث كان من أدعيته : " اللهم حققني بك تحقيقا يسقط النسب والترب والتعينات والتعقلات والاعتبارات .."[619]
- **إهانة القرآن الكريم** : حيث نص علي حرازم أن الصلاة على النبي بكيفية معينة أفضل من تلاوة القرآن الكريم[620] .
- **أن الرسول هو السر في وجود هذا الكون ومصدره:** حيث نقل حرازم عن التجاني أن الله خلق لنفسه مُحَّدا وكل الخلوق مخلوقون لأجل مُحَّد[621].
- **تلاعب بمعاني النصوص،** حيث أولوا نصوصا كثيرة حسب محض هواهم .
- **الحلول والاتحاد** : يقول التجاني: فهو تعالى مع كل شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل" [622].
- **الولاية والألوهية وأنه لا يوجد فرق بينهما**: يقول حرازم : حقيقة الولي أن يسلب من جميع الصفات البشرية ويتجلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا"[623] .
- **تملك أقطاب الصوفية بتفويض من الله:** نقل حرازم عن التجاني: " أن الله ملكهم الخلافة العظمى واستخلفهم على مملكته تفويضا عاما " .

---

[618] نفس المرجع

[619] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص 146

[620] نفس المرجع 154/1

[621] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص173

[622] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص 215وص350

[623] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم 67/2

- **صلاحيات الولي أعلى من صلاحيات النبي:** حيث نص حرزم عن شيخه أن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي " ونص على أن " الخليفة الولي أو سع دائرة في الأمر والنهي والحكم من الرسول" .
- **رغبة الصوفية في تجهيل الخلق بربهم:** حيث نقل التجاني عن الشبلي والبسطامي أقوالا تفيد برغبتهم اقتصارهم معرفة الله عليهم دون الخلق.
- **التوحيد عند التجاني** : هو شعور الشخص أنه هو الله وأن ينسى جسمية نفسه، فقد نقل حرازم عن التجاني أن التوحيد هو " توحيده لنفسه بنفسه عن نفسه "[624].
- **كلمات غامضة كثيرة للصوفية:** مثل التجلي الأول وهو الله، والتجلي الثاني هو ظهور مُحَّد قبل الخلق، والتجلي الأخير: هو ظهور آدم[625].
- **نزول الوحي على الولي:** وذلك يكون بواسطة الحقيقة المحمدية كما ذكر ذلك علي حرازم ، ولذلك نص التجاني فيما نقل عنه حرازم أنه لولا علماء الظاهر لأتى الأولياء بما أتت به الأنبياء[626].
- **اعتبارهم أن التوحيد إلحادا:** وقد أقر التجاني قول ابن عربي من وحد فقد ألحد ، أي من وحد بتوحيد العامة ،كما نص على ذلك .
- **أن الجنة لا قيمة لها في نظر الصوفي:** حيث نقل حرازم عن التجاني أن أهل التجلي الأكبر " لاحظ لهم في الجنة فهم عنده تعالى مقيدون في حضرة قربه "[627] والبديل عندهم هو النظر إلى المشايخ حيث نص التجاني أن " الجلوس بين يدي ولي أفضل من عبادة ألف سنة"[628] .
- **كيفية خلق الكون عند الصوفية بواسطة روح سيدنا مُحَّد:** حيث ذكروا أن أول موجود أوجده الله هو روح سينا مُحَّد ثم خلق نسل أرواح العالم من روحه ومنه خلقت الأجسام النورانية كالملائكة وغيرهم وكذلك الجنة وهي النسبة الأولى من روحه.

---

[624] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم 97/1

[625] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم 100/2

[626] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم 107/2

[627] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم 131/2

[628] انظر: الهادية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص 135

وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية كالشياطين وسائر الأجسام فقد خلقت من النسبة الثانية من روحه —كما ذكر ذلك التجاني في الهداية الربانية[629] – .

- **تطاول التجاني على الصحابة ومن بعدهم** وانه أفضل من كل الصحابة والأولياء.
- **ادعى أنه الوحيد الذي يدخل الجنة يغر حساب** ولا عقاب دون سائر الخلق.
- **زعم التجاني أن الصوفي له قوة الخلاق العظيم**: ويكفي في خلقه للأشياء توجه الإرادة واختلفوا في قول كن، يقول التجاني : " إذا تجلى الله لسر عبد ملكه جميع الأسرار وكان له تصرف ذاتي متى توجهت إرادته لأي شيء خارق فكان انخراق له في الحين إلا أن بعضهم يضيف كلمة كن وبعضهم بمجرد الإرداة"[630] .
- **ادعى التجاني أن من أخذ أوراده وداوم عليها إلى الممات يدخل الجنة بغير حساب** وأن من نظر إليه يوم الجمعة والإثنين يدخل الجنة بغير حساب.
- **أوراد التجاني تذكر بعبارات متكلفة وغامضة وأساليب ركيكة مرذولة**: وقد أكثروا من ذكر تلك الأوراد المرذول ونذكر مثالا عليها مما اخترعه التجاني والمسماة بياقوتة الحقائق في التعريف بحقيقة سيد الخلائق ونصها : " الله الله الله اللهم أنت الله الذي لا إله إلا انت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك التي شئت فيه بوجود شؤونك ... برتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم أن تصلي وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور الساري المحدود ..لله لله لله آه آمين ، هو هو هو آمين" ويقصدون باللوح المحفوظ هو مُحَمَّد ﷺ[631].
- **مراتب الصوفية عند التجانية** : وقد بينها علي حرازم وهي :

الأولى : مرتبة الاستهتار بذكر الله : حتى يقع صاحبها في الذهول عن الأكوان والطمأنينة بذكر الله .

الثانية: لباس الحلة الملكية : وهي اتصاف صاحبها بأحوال الملائكة .

الثالثة: لباس الحلة الإلهية ، وهي ضرب من النبوة أو هي النبوة بعينها ويطلق على صاحبها اسم الصديق ولا يعلمها إلا من ذاقها[632].

---

[629] انظر: الهادية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص 135

[630] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص170

[631] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص 216

[632] انظر: جمرة الأقلياء، علي حرازم ص 249

- **اختراع التجاني صلاة جوهر الكمال**: كما يسميها التجانيون وأولها " الله صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة .." ويذكرون لها خواص زاعمين أن الرسول قد ذكرها وهي : أنها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات، وأن من قرأها سبع مكرات فأكثر يحضره روح الأنبياء والخلفاء، وأن من لازمها أزيد من سبع مرات يحبه النبي .

ومن أدعيتهم حزب البحر وهو : " رب سهل ويسر ولا تعسر علينا يا ميسر كل عسير أبت خدذ رزط ظكل منص صعغ فقس شهولاي .. " إلى آخر تلك الخزعبلات[633] .

- **الخضوع التام لأقطاب التصوف**: حيث لا يجوز الإنكار عليهم ولا سؤالهم بـ لم ، وقد ذكر الفوتي في كتابه رماح حزب الرحيم :" اعلم أن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة وأنه في لعنة الله"
- **التصدر للمشيخة بدون إذن شيخ صوفي خطر عظيم**: وأنه يكون سببا لسوء الخاتمة ومن لم يتب يكون كافرا .
- **تهوين الفاحشة** : ذكر الفوتي كثيرا من الأمور التي تهون ارتكاب الجرائم والمعاصي وقصص كثيرة تهدف إلى طاعة المشايخ طاعة عمياء ولو أمر الشيخ المريد بفعل الفواحش وقتل النفس فعليه التنفيذ لأنه لا يعرف الحكمة من وراء ذلك إلا الشيخ .

ونص على أن التلميذ لا ينبغي أن يشك في شيخه ولو رآه يشرب الخمر ويزني ويقتل[634] .

- **وجوب تمسك المريد بالآداب مع الشيخ**: وهي كثيرة جدا نذكر طرفا منها : منها تعظيم الشيخ ظاهر وباطنا وعدم الاعتراض عليه وأن لا يقعد والشيخ واقف ولا ينام بحضرته إلا بإذنه وألا يكثر الكلام بحضرته ولا يسافر ولا يتزوج إلا بإذنه وأن يحب كل ما أحبه الشيخ ويبغض من كان يبغضه الشيخ ولا يزور الشيخ إلا وهو على طهارة ويحسن الظن بعه في كل حال ولا يكتم عن الشيخ شيئا في باله ولا يلبس ثوبا لبسه الشيخ ولا يخون الشيخ وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي المغسل ويحرم الاعتراض على الشيخ وأن الولي ينظر إل الظاهر كما ينظر إلى الباطن ، وغيرها من الأمور الكثيرة التي تركناها خشية الاطالة[635] .

---

[633] نفس المرجع ص 254

[634] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي ص 114

[635] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي 1/94-140

وهذه في حقيقتها أغلال وليست آداب مما يبعث الأسى والحزن على أولئك الذين أصبحوا ضحايا الجشع الصوفي .

- **التثليث الصوفي وهو الشيخ والله والرسول** –كما نص على ذلك الفوتي– .
- أن أقطاب التصوف لهم القدرة على استنباط الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات ، وهذه نظير الاحكام الظاهرة [636] .
- **حجرهم على أتباعهم** ونهيهم مجالستهم لغيرهم من المشايخ .
- **أن عدم طاعة الولي تستلزم العقوبة** وقد ذكروا قصصا كثيرة في ذلك .
- **الوالد المعنوي هو الشيخ عند التجانية** وهو أرفع وأولى بالبر والتوقير من الوالد الحسي كما ذكر ذلك الفوتي[637] .
- **أن جزاء المشايخ لا يبلغه احد** ولو وقف المريدون على الجمر بين يدي أشياخهم مذ خلق الله الدنيا إلى انقضائها[638] .
- **أن ذكر الله يسقط عند الصوفية** : إذا صار الحق مشهوده وذلك بعد كثرة الذكر حتى يحصل له الحضور ثم يكثر الذكر مع الحضور فيصبح الحق مشهوده .

  وفي هذه الحال ينمحي الذاكر والذكر ويصبر حاله لو نطق فإنه سيقول : "أنا الله لا إلا أنا وحدي" لاستهلاكه في بحار التوحيد وفي هذا الحال المعكوس يقول أحدهم :

  بذكر الله تزداد الذنوب   وتنطمس السرائر والقلوب
  فترك الذكر أفضل كل شيء   وشمس الذات ليس لها غروب[639]
- **مستند الصوفية في وجدهم ورقصهم على بعض الأفعال من الصحابة** كفعل جعفر بن أبي طالب حين رقص، وذكر الفوتي أن هذه القصة (أصل في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم)[640]

[636] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي ص 153/1
[637] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي ص 162
[638] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي ص 165
[639] انظر: رماح حزب الرحيم للفوتي ص 171-179
[640] انظر: رماح حزب الرحيم ص 179

وهذا الاستدلال مملوء بالمغالطة والكذب فأين اهتزاز جعفر وخفَّته في حال سماعه قول الرسول ﷺ من رقص الصوفية وتمايلهم طربا لا يمت إلى الخشوع بصلة يرددون كلمات ويترنحون بها يمنا وسمالا بكلمات لامعنى لها كقولهم : أأأأ أو هوهوهو أو لالالالا أو آآآآآآ أو أأأأأأ أ أه أه أه أه أه أو هاهاهاها [641].

مع تخبط وتصرفات هوجاء هي في حقيقتها عار على الإسلام بل عار على العقل والادراك .

- **أن طريقة ذكر الله محتكر على أقطاب الصوفية** : فالذكر المأخوذ من غير شيخ أو شيخ غير مفتوح عليه فيه هلاك لصاحبه لا سيما أسماء الله تعالى –كما ذكر ذلك الفوتي– .

وسبب ذلك كما بينه أحد كهنة الصوفية وهو عبد العزيز الدباغ هو أن كل اسم من أسماء الله معه نوره الذي يحجب الشيطان، وإن لم يكن معه نوره ضرك الشيطان وهذا لا يتأتى إلا على يد الشيخ .

- **أن الأولياء يرون النبي يقظة لا مناما** : وأنه يحضر كل مجلس أو مكان أراده بجسده وروحه ويحضر الديوان الصوفي وصلاة جوهر الكمال، ويحضر وهو مغيب عن الابصار كالملائكة فإذا أراد الله لعبد أن يراه رفع عنه الحجاب[642].

- **بعض مزاعم التجاني لنفسه:**

أما لنفسه فقد زعم مزاعم كثيرة على لسانه منها قوله : أخبرني سيدج الوجود بأني أنا القطب المكتوم ، وكذلك قوله لا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا، ووقوله كذلك أن الله ينادي أهل المحشر أن التجاني إمامكم ، ومنهاة أن قرنه أفضل القرون سوى القرون الثلاثة ومنا أن رجليه على رقبة كل ولي من لدن آدم إلى النفخ في الصور[643].

- **بعض مزاعم التجاني لمن سار على طريقته :**

وهي كثيرة جدا نقلها خليفته الفوتي منها أنهم يخفف عليهم سكرات الموت ولا يرون في قبورهم إلا ما يسرهم، وأن الله يغفر كل ذنوبهم، وأن الله يظلهم بعرشه، وأنهم يسقون من الحوض المورود، ويدخلون الجنة بغير حساب، وأن أذيتهم تعتبر أذية لرسول الله، وأنهم يمرون كطرفة العين على

---

[641] انظر: رماح حزب الرحيم ص 180

[642] انظر: الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية ص 21 ورماح حزب الرحيم للفوتي ص 212-214

[643] انظر: جواهر المعاني، علي حرازم2/4-36

الصراط، وأن كل واحد منهم أكبر من الأولياء، وغيرها من العطايا التي أعطاها لأتباعه دون دليل أو برهان سوى محض الافتراء والكذب[644] .

– تفضيلهم العلوم الباطنية على العلوم الإسلامية:

ولذلك يتساءل الفوتي بقول : " ما الفائدة من الالتجاء إلى علم الشريعة أي علم الظاهر مع أن علم العلم الباطني أفضل؟ ثم يجيب مبينا أنه " وسيلة إلى المقصود بالذات الذي هو علم الحقيقة" [645].

المبحث السابع:

الخلوات الصوفية

أورد الفوتي في رماحه المعوجة إيضاحات لكثير من خلوات الصوفية والتي ساهمت في تقهقر الأمة نكتفي بذكر أبرز ذلك فيما يلي:

أولا: الدليل على الخلوات الصوفية بزعمهم :

يستدلون بما ورد في البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : " أول ما بدئ برسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد .."[646]

يقول الفوتي: " فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله ﷺ هو الأصل في إثبات المشائخ للخلوة "[647]

ويجاب عن استدلالهم هذا بما يلي:

أ- أن هذا الحديث بينه وبين خلوات الصوفية فراق لا لقاء معه ، فهو تهيئة الله له لحمل الأمانة العظمى .

ب- أنها كانت قبل أن يؤمر بتبليغ الناس بالإسلام.

---

[644] انظر: رماح كب الرحيم ص 127

[645] انظر: رماح حزب الرحيم ، للفوتي ص 147

[646] انظر: صحيح البخاري مع الفتح 22/1

[647] انظر: ماكتبه الفوتي في رماح حزب الرحيم ص 161-168

ت- لم يأمر بها النبي ولا أشار إليها ولا استحسنها لأمته على الطريقة الصوفية.

ث- لم يفعلها أحد من الصحابة وهم أحرص الناس على اتباع هديه.

ج- تنافي ما هو ظاهر في الإسلام من دعوة الناس ومخالطاتهم وقد قال تعالى {بلغ ما أنزل إليك من ربك}وقال:{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}.

ثانيا: مدة الخلوات الصوفية:

ذكر الفوتي أن أكثرها لا حد له، لكن السنة بزعمه تشير إلى أربعين يوما كمواعدة موسى.

ثالثا: شروط الخلوة الصوفية:

ذكر الفوتي ستة وعرين شرطا لصحة الخلوة، وهي في حقيقتها خليط من الوثنيات السابقة على الإسلام نذكر منها ما يلي:

1. أن يعوّد نفسه قبل دخولها على السهر وخفة الأكل.
2. أن يدخلها بحضور الشيخ لمباركته المكان.
3. أن يعتقد أن دخوله بقصد أن يستريح الناس من شره.
4. أن يدخلها كما يدخل المجد مبسملا متعوذا بالله مستعينا بأرواح مشايخه.
5. أن يركع الشيخ في ركعتين قبل دخول المريد.
6. أن يعتقد أن كل ما يتجلى في خلوته من الصور ويقول له أنا الله فليقل سبحان الله.
7. ألا يتلهف كثيرا على ظهور الكرامات.
8. ان يكون غير مستند إلى الجدار ولا متكئا عليه مطرقا برأسه مغمضا عينيه ويجعل خيال شيخه بين عينيه.

إلى غير ذلك من الشروط التي لفقها علماء التصوف مثل علي حرازم والسهروردي والشيخ نجم الدين البكري وغيرهم من عتاة التصوف ، والتي استمدوها من مبادئ خارجة عن الإسلام وإلا فأين مستندهم من القرءان والسنة على تلك الرهبنة، إنها جناية على العقل والدين أيما جناية .

رابعا: أقسام الخلوات الصوفية:

أبرزها ما يلي:

1- خلوة الأربعين يوما وقد تقدم ذكرها.

2- خلوة فاتحة الكتاب وهي تكون بعد صيام أربعين يوما مع تجنب أكل الحيوان وما يخرج منه، إلى غير ذلك من التشابه مع الوثنيات.

3- خلوة البسملة ومدتها تسعة عشر يوما.

4- خلوة الفاتحة وهي أن يلازم قراءتها أربعين يوما في الخلوة.

5- خلوة الياقوتة الفريدة ومدتها عشرون يوما تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مرة[648].

خامسا: تثبيط الصوفية لأتباعهم عن الجهاد في سبيل الله وتسميته بالجهاد الأصغر:

ويسمون مجاهدة النفس في الخلوات وغيرها بالجهاد الأكبر، وقد علل الفوتي لذلك بتعليلات كثيرة من أبرزها: أن جهاد النفس فرض عين وأنها أعدى الأعداء لصاحبها ولأن ضرر الكفار مقصور في الدنيا بخلاف النفس، إلى غيرها من التعليلات.

ولكن من الواضح أن كل تعليلاته التي ذكرها تردّها نصوص الكتاب والسنة كما في سورة براءة والأحاديث من السنة التي تبين فضل الجهاد في سبيل الله وتمني الشهيد الرجوع في الدنيا ليقتل مرة أخرى لما رأى من النعيم ثم إن جهاد الكفار هو أعلى جهاد للنفس وأشرف جهاد لها، وإلا فكيف ترخص النفس في سبيل الله.

ولو ان المسلمين أطاعو الصوفية وجلسوا في الزوايا وتركو القتال لانتهكت أعراض المسلمين وأخذت أموالهم وقتلوا على أيدي أعدائهم[649].

المبحث الثامن:

مغالطات لجنة جماعة الصوفية في مدينة " ألورن" في نيجريا

أخرجت جماعة الصوفية في مدينة ألورن في نيجيريا كتابا اسمه رفع الشبهات عما في الاقلادرية والتحجانية من الشطحات" وقد قام بترتيبه كل من الحاج مُحَمّد إبراهيم القادري والحاج علي أبو بكر التجاني، وقد دافعا فيه عن التجانية بكل وسيلة وأولوا كثيرا من الأدلة على غير معانيها الصحيحة.

[648] انظر: رماح حزب الرحيم ص 170

[649] انظر: رماح حزب الرحيم ص 217

ولذا ينبغي التحذير من قراءة مغالطاتهما قبل الاطلاع على مباديء الصوفية والردود عليهم لا لغزارة علم فيها، وإنما لكثرة المغالطات والتأويلات وإيراد الأدلة غى غير معانيها الصحيحة.

من أبرزها أنهم أوجبوا عدة أمور لقراءة صلاة الفاتح، كإيجابهم للوضوء لقراءتها ووصفهم النبي بالأسقم وأنه محاط بالنور المطلسم وأنه يحضر بنفسه عن قراءة جوهرة الكمال وغيرها من الأمور الباطلة، والكلمات النابية التي لم ترد في الشرع ودعاوى لا تستند إلى أدلة شرعية وإنما هي محض هوى[650].

المبحث التاسع:

كيفية الدخول في المذهب الصوفي

شروط دخول المريد في التصوف:

تعددت طرق الصوفية ومسالكهم الخاصة في التبريية حسب منهجهم نوجزها فيملا يلي:

أ- أن يختار المريد أو المريدين شيخا لهم يسلك بهم رياضة خاصة للوصول إلى معرفة الله.

ب- أن يتبّع الشيخ اتباعا مطلقا حتى وإن كان في تحليل الحرام أو العكس.

ت- أن يردد ما يردده شيخه من الأذكار.

ث- أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل يقلبه كيف شاء.

ج- أن يعتقد أن جميع ما يفعله الشيخ هو الصواب وإن رآه يشرب الخمر أو يزني، لأنه إنما يفعل ذلك بروحه لا بصورته البشرية.

ح- أن يجتاز الخلوة المفروضة.

خ- أن يتصور صورة الشيخ ماثلة أمامه في كل حين، وأن يعلم أن الشيخ يعلم ما دق وخفي من شؤونه.

د- ألا يغير شيخه بشيخ آخر.

ذ- ألا يزور أولياء آخرين مادام في أول امره.

ر- أن يمشي في الطريقة منزلة منزلة حتى يصل إلى القطبانية.

---

[650] وهذا الكتاب يتكون من 32 صفحة مع مقدمة آدم عبد الله الالوري التجاني القادري مدير المركز العربي في نيجريا.

ز- ألا يخالط المقصرين والبطالين.

س- ألا يظن بماله لو طلبه الشيخ.

ش- أن يرضى بالذل الدائم وحرمان النصيب والجوع الدائم والخمول وذم الناس له، قالى الجيلاني: " فمن لم يرض بهذا ويوطن نفسه عليه فلا يكاد أن يفتح عليه ويجيء منه شيء"[651]

مراحل الداخل في الطرق الصوفية:

أول المنازل في الطريق الصوفية يسمى فيها الداخل مريد، أي يريد السير في الطريقة وتؤخذ عليه العهود السابقة، ويسمى بعد توجهه وإرادته المذهب سالكا، وبعد مواظبته وسلوكه على الأوراد التي يلقنها إياه الشيخ ينتقل إلى مرتبة العبودية[652]، وفيها يكثر التضرع والإلحاح إلى الله.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى مقام العناية الإلهية وينتقل بقلبه إلى العشق لله، وفيها يكثر الرياضة والعزلة والندم والأوراد التي توصله إلى ربه حتى يتملكه مقام يسمى مقام "الوجد[653] والهيام" وهو أسمى من مقام العشق وفيه تتوارد على قلب السالك النفحات الربانية.

ثم يترقى السالك إلى مقام يسمى مقام الحقيقة ويعرفها المنوفي بأنها مشاهدة الربوبية[654] ، وهي في حقيقتها وصول إلى أعماق الوثنية .

ثم يظل يرتقي إلى أن يحقق ثلاث منازل وهي الفناء واللقاء والبقاء[655] ، والفناء هو أن يفنى العبد عن كل شيء في الله تعالى، ويصير كما قال الحلاج : " ما في الجبة إلا الله" ، فالوجود عنده كله يمثل الله ، وخصوصا النساء فإنه يمثل فيهم بصورة أكمل.

وأما اللقاء والبقاء: فيقصدون به أن العبد من خلال تلك المنازل تتجلى عظمة الخالق على قلب السالك فلا يرى أمامه إلا الله، وتمحى آثار الموجودات من أمام عينيه.

---

[651] ذكر الجيلاني في باب ما يجب على المبتديء في هذه الطريقة أولا إلى آخر ص 169 ، حيث ذكر الآداب التي تجب على المريد والآداب التي تجب على الشيخ.

[652] عرفها المنوفي بقوله:"العبادة غاية التذلل للعامة، والعبودية صدق القصد للخاصة" جمهرة الأولياء 306/1

[653] يقول المنوفي : الوجود : وجدان الحق بذاته ، ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود" جمهرة الأولياء 312/1

[654] جمهرة الأولياء302/1

[655] عرفه المنوفي بأنه قيام الأوصاف المحمودة بالله" جمهرة الأولياء 301/1

وقد فصل في تلك المقامات زعماء الصوفية كالسهروردي في كتابه عوارف المعارف والمنوفي في جمهرة الأولياء وغيرهما[656] .

وقد أوصل منوفي الدرجات إلى سبعين درجة يكاشف العبد في آخرها إذا ترقى فيها مقاما مقاما[657] ولا طائل من سردها هنا.

غير أنه يقال: إنها أفكار لم تسترشد با الكتاب ولا السنة ولا أقوال علماء الأمة أصحاب العقول النيرة الذين أعرضو عن تكلف ما ليس لهم به علم من الأمور الغيبية التي لا يصح الحكم فيها إلا لله ولرسوله ﷺ .

المبحث العاشر:

أصول الصوفية

يزعم المتصوفة كغيرهم أن ما هم عليه من خرافات وأفكار هو نابع من تمسكهم بالكتاب والسنة، إذ دعوى التمسك بالكتاب والسنة سهلة لكن التطبيق يصدّق ذلك أو يكذبه.

يقول محمود أبو الفيض المنوفي وهو من أعلامهم: " والتصوف الإسلامي نبعه القرآن أولا وسنة الرسول ثانيا والفقه في الدين فروعا وأصولا ثالثا.."

وهناك مستند ثان لهم بزعمهم وهو مشاهدة الملائكة وأرواح الأنبياء، يقول الغزالي فيما نقل عنه المنوفي: " حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد".

وهذا الكلام بين البطلان إذا لو صح ذلك لكان هذا من تلاعب الشياطين بهم .

ومن مستنداتهم أيضا هو علم الباطن الذي أفضى به الرسول ﷺ إلى علي بن أبي طالب – بزعمهم – وعلي أفضى به إلى الأئمة المذكورين في كتبهم، وهو علم الحقيقة.

والواقع أن تاصفوية جانبوا الصواب، فلا يوجد في القرآن والسنة نص واح يدل على شرعية غلو التصوف وشطحاتهم وترنيمتاهخم وورقصاتهم وليس في علوم الفقه الإسلامي وأصوله شيء من هذا القبيل، وهم لم يذكروا أصلا أدلة من القرآن تؤيد دعاواهم

---

[656] انظر: جمهرة الأولياء 190/1 في عنوان " المقامات والأحوال" وانظر: عوارف المعارف ص 330-338انظر: جمهرة الأولياء 190/1 في عنوان " المقامات والأحوال" وانظر: عوارف المعارف ص 330-338

[657] جمهرة الأولياء 147/1

المبحث الحادي عشر:

إيضاحات لبعض الآراء الاعتقادية للصوفية

1- عقيدة المتصوفة في الإله عز وجل:

الله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصمد خلق المخلوقات وأوجدها وأمر الثقلين بأوامر ونهاهم عن نواهي، اتصف بصفات عليا وأسماء حسنى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير مباين لخلقه قريب منهم بإحاطته وعلمه، وأمرنا أن نصفه بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله غير معطلين ولا مكيفين ولا محرفين .

أما الصوفية فيعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته، معبود لم يرد في الشرع، ولم يدل عليه العقل، وهو يظهر في صورة العابد الذي وصل إلى مرتبة النيابة عن الله في تصريف أمور الكون والتحكم فيه لارتفاع الإنية بينه وبين الله، والله في منظورهم يظهر أحيانا في صورة شاب وأحيانا في صورة الآكل والشارب وغير ذلك من الصور[658].

2- الحلول:

هو من لوازم الصوفية الغلاة ومن المبادئ الأساسية عندهم، ويعرفونه بعدة أقوال، فمنهم من قال : هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد.

ومنهم من قال: هو اختصاص شيء بشيء بحيث الإشارة إلى أحدهما هي عين الإشارة إلى الآخر.

واستعمل لفظ الحلول بعض الصوفية ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد أو اللاهوت والناسوت بمعنى ان الله يحل في الأجساد الخاصة، وهذا مبدأ نصراني وأول من أعلنه من الصوفية هو الحلاج .

ومنهم من قال بالحلول الخاص، أي ان الله يحل في خصوص بعض الأجساد، ومنهم من قال بالحلول العام أي أن الله يحل في كل مكان .

ومن أبرز من يقول بالحول العام من الصوفية أبو يزيد البسطامي حين يتحدث عن رفع الله له وأقامه بين يديه فكان مما قاله : " زيني بوحدانيتك ..حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك.."

---

[658] انظر: عوارف المعارف ص353 والفتوحات المكية498/3 وكتاب ابن عربي الصوفي ص 270 نقلا عن العلم الشامخ ص 550

وليس هذا فقط بل يختلط عليهم الحابل بالنابل فيصبح عين المخلوقات هو عين الخالق تعالى يقول البسطامي :

فمن ليلى ومن لبنى   ومن هند ومن بثنة

ومن قيس ومن بشر   أليسوا كلهم عينه [659]

ومن هنا نشأ عند بن الفارض الفوضى الفكرية في تداخل جميع الأديان حقها وباطلها حتى صارت كلها شكلا واحدا ، وكلها على حق كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنية والإسلام وهذا يتضح جليا في تائيته المشهورة التي منها قوله :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت   كما جاء في الأخبار في ألف حجة

فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم   سواي وإن لم يعقدوا عقد نيتي

رأوا ضوء ناري مرة فتوهموه   نارا فضلوا في الهدى بالأشعة [660]

ويرى ابن عربي أن النساء أعظم الشهود وأكمله ولذا أوجب الله الغسل من الجنابة لكمل شهود الحق فيهن[661] .

ومن هذا المفهوم الباطل تجرأ على رسول الله ﷺ وأساء الأدب في حقه وأنه يميل إلى النساء لكمال شهود الحق فيهن ، وهذا دليل على جهله بحق الرسول وتعظيمه لربه وخشيته وإنابته وخوفه ورغبته ورهبته لربه تعالى .

وقد قرر زعماء الاباحية والزندقة كابن عربي وابن الفارض أن الله يتجلى في كل صورة حسنة في صورة الرجل والمرأة فيكون فاعلا منفعلا[662] تعالى الله عن قولهم.

3- وحدة الوجود:

---

[659] انظر: الفتوحات المكية 521/3

[660] تائية ابن الفارض .

[661] انظر: كتاب ابن عربي الصوفي ص 270 نقلا عن العلم الشامخ ص550

[662] انظر: ترجمان الأشواق لابن عربي وفصوص الحكم له وانظر ما ينقله عنهم د/ صابر طعيمة في الصفحات 165-183

وهي عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أن لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق وأن وجود الكائنات هي عين وجود الله.

وقد اقسم أصحاب هذا المبدأ الإلحادي إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن الله تعالى روحا وأن العالم جسما لذلك الروح فإذا سما الانسان التصق بالروح أي بالله.

الفريق الثاني: يزعمون أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله، فكل شيء في زعمهم هو الله، تجلى فيه [663].

تعقيب:

إن الإسلام بريء من هذه الأفكار المنحرفة الخرافية فالله تعالى {هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم}

ومنشأ الغلط عندهم هو اعتقادهم بأن الله هو أصل الوجود هو الله فكأن الموجودات في حكم العدم، والوجود الحقيقي هو الله تجلى في أفعاله ومخلوقاته ، وبالتالي فالعقائد كلها عندهم صحيحة .

ولهذا اهتم المستشرقون بدراسة التصوف لما رأوا فيه الملاذ الآمن لنشر الفرقة بين المسلمين ونشر الإلحاد وإنكار النبوات ونبذ التكاليف الشرعية والدعوة إلى القول بوحدة الأديان.

وحكم القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود كفر وارتداد، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: " إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب"

وهذه جملة من أبرز القائلين بوحدة الوجود:

أ- ابن عربي : حيث صحح الأديان كلها حين يقول :

عقد الخلائق في الاله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وله في كتابه فصوص الحكم وكتابه الفتوحات المكية كثير من الأقوال في وحدة الوجود ونفي الفرق بين الخالق والمخلوق.

---

[663] انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 206-207 نقلا عن التصوق الإسلامي والإمام الشعراني للأستاذ طه عبد الباقي سرور 89/1

ب- ومنهم ابن الفارض وقد ملأ تائيته الشهيرة بذلك وأن الله متحد بالموجودات وأنه هو نفسه ممثل عن الله في صفاته وأفعاله، يقول عن معنى سجود الملائكة لآدم:

وفيَّ شهدت الساجدين لمظهري ،،، فحققت أني كنت آدم سجدتي.

ويشرحها القاشاني الصوفي برد معانيه إلى الحلول والاتحاد[664]

ت- ومنهم الجيلي صاحب كتاب " الإنسان الكامل" وقد أطال الشعراني في ترجمته وقد ذكر من أقواله الباطلة الشي الكثير في نفي الفرق بين المخلوقات والخالق[665]، وهو صاحب قصيدة طويلة ملئها بالندقة والقول بعد الفرق بين الخالق والمخلوق منها قوله:

لي الملك والملكوت نسجي وصنعتي ،،، لي الغيب والجبروت مني منشاه[666].

ث- ومنهم أبو حامد الغزالي ، وإن كان قد خفي أمره على معظم الناس وقد تأثر به الناس تأثرا كبير لأنه كان يداري أصحاب كل طائفة بما يعتقدونه –كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن الوكيل- .

ونذكر مثالا على ذلك من أقواله، وذلك قوله في ذكر مراتب التوحيد في كتابه إحياء علوم الدين حيث ذكر توحيد العوام ثم مقام المقربين ثم ذكر الثالثة وهي الأعلى فقال : " ألاّ يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد.."[667]

ج- ومنهم عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين حيث حاكى تائية ابن الفارض فيقول في مقدمة قصيدته :

تجلى لي المحبوب من كل وجهة ... فشاهدته في كل معنى وصورة

نظرت فلم أبصر سوى محض وحدة ... بغير شريك قد تغطت بكثرة

[664] انظر: كشف الوجوه الغرّ على هامش شرح الديوان89/2 نقلا عن هذه هي الصوفية ص 33

[665] انظر: طبقات الشعراني ص 126-132

[666] انظر: الإنسان الكامل ص 22-23 نقلا عن هذه هي الصوفية ص 42

[667] إحياء علوم الدين245/4-246

ذ- ومن أولئك أيضا جملة كبيرة من الذين سلكوا هذا المسلك ذكرهم الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه منهم مُحَّد ابن إسحاق المشهور بالقونوي[668] وعبد الغني بن اسماعيل المشهور بالنابلسي[669] وعبد السلام بن بشيش الشاذلي[670] ومُحَّد الدمرداش المحمدي[671] وأحمد بن عجيبة الادريسي[672] وحسن رضوان[673] وغيرهم.

4- وحدة الشهود: وتسمى الفناء أيضا:

وهو بدأ الأمر في مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ، ويترقى في هذه المرحلة إلى أن يصل إلى درجة الحلول والاتحاد[674] .

يقول حرازم في وصف ذلك المقام :" إلى أن ينتقل إلى المشاهدة وهي الاستهلاك في التوحيد وغاية المشاهدة ينمحق الغير والغيرية فليس إلا الحق بالحق للحق عن الحق فلا علم ولا رسم ولا عقل ولا وهم ولا خيال ولا كيفية ولا كمية ولا نسبة انتفت الغيرية كلها"[675]

العلاقة بين وحدة الوجد ووحدة الشهود:

للعلماء رأيان في التفريق بينهما وإيجازهما فيما يلي:

أولا : يرى بعض العلماء أن هناك فرقا كبيرا بينهما فوحدة الوجود هي الاعتقاد بالحلول والاتحاد، بينما وحدة الشهود هي مراقبة الله تعالى بحيث يعبده كأنه يراه .

ثانيا : يرى بعض العلماء أن وحدة الشهود هي الدرجة الأولى إلى وحدة الوجود .

وفي الواقع أن التفريق بينهما ليس له أساس ثابت ولا دليل عليه إلا الذوق الصوفي ، ولم ينطق بهذه المصطلحات خير البشر ولا استعملها في كلامه ﷺ .

---

[668] له تائية ابن عامر.

[669] له كتاب مراتب الوجود ، مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم 5895.

[670] رسالة اسمها "حكم شطح الولي" مخطوط بالظظاهرية بدمشق رقم 4008.

[671] له كتاب القول الفريد.

[672] له كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم .

[673] له كتاب روض القلوب المستطاب.

[674] انظر : جواهر المعاني 135/1 .

[675] جواهر المعاني ص 13.

وومن يرى هذا الرأي الشيخ عبد الرحمن الوكيل فيقول في رده على الغزالي: " أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود أو وحدة الشهور سمها ما شئت فعند الكفر تلتقي الأسطورتان ، لا تقل إن وحدة الوجود أنشودة البداية ووحدة الشهود أغرودة النهاية فكلتاهما بدعة صوفية بيد أنها غايرت بين الإسمين وخالفت بين اللونين"[676]

5-اعتقادهم في الرسول ﷺ:

لهم كثير من الاعتقادات الباطلة في الرسول ﷺ وذلك كما يلي:

أ- يعتقدون أن الله كان في السماء جدون تعيين. فأراد أن يتعين، فتعين في صورة مُحَمَّد، أي أن مُحَمَّدا هو الله ذاتا وصفة ، وقد قرر لك الكشخانلي ومُحَمَّد الدرماس والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وحرازم والشعراني[677].

ب- أن الذي هاجر من مكة إلى المدينة هو الله متجليا في صورة مُحَمَّد كما نص على ابن عربي[678].

ت- أن الرسول يحضر كل مجلس يريده بجسده وروحه، وله التصرف كيف يشاء في أقطار الأرض[679].

ث- أن كل الموجودات وجدت من نور مُحَمَّد ثم تفرقت في الكون[680] ، وقد قرر ذلك الفوتي ووغيره ، يقول ابن عطاء الله السكندري : " جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة"[681] .

ج- يعتقد ابن عربي أن الرسول كان يعرف القرآن قبل نزوله بل إنه هو الذي علم جبريل ثم يوحيه إلى مُحَمَّد ثانية[682].

---

[676] هذه هي الصوفية ص 50

[677] انظر: النصوص عن هؤلاء في كتاب هذه هي الصوفية ص 73-92

[678] انظر: هذه هي الصوفية ص 77

[679] انظر: ما كتبه الفوتي في رماحه 219/1 ،هامش جواهر المعاني، وانظر: جمهرة الأولياء 12/2

[680] هنا مربط الفرس في العقيدة الصوفية فقلما يخلو كتاب عن تقرير هذه العقيدة.

[681] لطائف المنن ص 55

[682] انظر: هذه هي الصوفية ص 89 ينقله عن كتاب الكبرين الأحمر للشعراني ص 6

ح- من الصوفية من يعتقد أنه أفضل من الأنبياء كما قال البسطاني : " خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله"[683] .

ولا يخفى أن هذه الأكاذيب والمزاعم منزه عنها نبينا مُحَمَّد ﷺ وأنه عبد رسول كسائر الأنبياء اصطفاه الله لأداء الرسالة وحمل الأمانة .

5- الولاية وبيان بعض مصلحات الصوفية :

تطلق كلمة ولاية في اللغة العربية على عدة معان، منها التابع والمحب والصديق والناصر[684] .

أما معناها عند الصوفية فهي تنتهي أخيرا في مصب وحدة الوجود.

وقد عرفها الصوفية بعدة تعريفات نذكر بعضا منها فيما يلي:

تعريف المنوفي: هي تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علما ووعينا وحالا وأثرا ولذة وتصرفا.

تعريف الجرجاني: هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواضب على الطاعات المتجنب للمعاصي المعرض عن اللذات والشهوات.

وله تعرف ثاني وهو : قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه[685] .

تعريف السهروردي: هم الذين صلحوا لحضرته بتحقيق الفناء عن خليقته[686] .

أما الولاية في القرآن الكريم فقد وردت مرادا به المدح وأحيانا مرادا بها الذم وذلك حسب اطلاقها، لأن صاحبها إما ان يكون وليا لله أو وليا للشيطان وبينهما من البعد ما لا يخفى على مسلم .

أما الصوفية فقد أخرجوها عن حقيقتها وأطلقوها على الرجل المتصوف أو من ينسب إلى آل البيت ثم ألبسوها كبار أئمتهم ثم أخرجوها في مذاهب الحلول والاتحاد ثم أطلقوها على العلم اللدني الذي أخذه

---

683 انظر: شطحات الصوفية ص 31

684 انظر: مادة ولي ، تهذيب اللغة للأزهري447/15 ونزهة الأعين النواظر ص 614 والمختار من الصحاح ص 583 وغير ذلك من كتب اللغة .

685 انظر: كتاب التعريفات ص 254

686 انظلا: عوارف المعارف ص 84

علي بن أبي طالب من الرسول كما في زعم الشيعة والصوفية وأنهم ورثوه ببركة الولاية، وقد تكلم القشيري في تعريفات الولاية ونقل عن أكابر مشائخهم آرائهم فيها وأهميتها وعلاماتها وكيفية الحصول عليها ومسائل أخرى[687].

أقسم الولاية عند الصوفية :

قسم الصوفية الولاية إلى أقسام كثيرة[688]، ونذكر هنا تقسيم المنوفي حيث قسمهم إلى ما يلي:

أ- الملامتية : وهم الذين لا يظهرون للخلق أعمالا وأسرارا بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم .

ب- الغوث الأكبر: هو ذات الحق باعتبار تجريدها من الاسم والصفة .

ت- الأوتاد الأربعة : وهم حفظة العالم كل واح منهم في ركن من أركا العالم وهم أقل رتبة من الأبدال.

ث- الأقطاب السبعة: لحفظ القارات السبعة والقطب الواحد هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، والقطبانية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن النبوة للرسول.

ج- النجباء: وهم الأربعون القائمون بإصلاح شؤون السالكين.

ح- الأفراد: هم المفردون الغرباء، لتفردهم عن الخلق بشهود الحق وغربتهم من أهل زمانهم غير منحصرين في رتبة معينة ولهم كشف خاص وعلوم إليهة غريبة على الناس[689].

خ- أخيرا وصلوا بالولاية إلى رتبة النبوة، فلها ختم كما للنبوة فختم الأنبياء هو مُحَمَّد وخاتم الأولياء مجموعة من الكذابين حيث أول من ادعاها الحكيم الترمذي واسمه مُحَمَّد بن علي بن الحسين في آخر القرن الثالث الهجري.

ثم دعاها ابن عربي في سنة 638هـ ثم ادعاها مُحَمَّد عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة 1268هـ ثم ادعاها أحمد التجاني في فاس بالغرب سنة 1230 هـ وكل واحد ادعى كرامات وغيرها لتثبيت دعوى ختم الولاية به .

---

[687] انظر: الرسالة القشيرية520/2

[688] ولا فائدة من إطالة شرحهم لها ، انظر: ما كتبه الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه الفكر الصوفيص219 وانظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 92-101

[689] انظر: جمهرة الأولياء 311,306,121/1

المبحث الثاني عشر:

الكشف الصوفي

من أصول الدين الإسلامي أن الله تعالى هو وحده علام الغيوب وأن الخلق لا يعلمون الغيب إلا من شاء الله أن يطلعه على الغيب على ما أراد سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، أما الصوفية فقد اخترعوا أمرا أسموه بالكشف.

وتعريف الكشف الصوفي عندهم هو : رفع الحجب من أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم بعد ذلك كل ما يجري في هذا الكون .

وترقوا في هذه الدعوى وبالغوا على النحو التالي:

1- ادعوا أن الصوفي يكشف له عن معان جديدة في الكتاب والسنة والآثار والرسوم لا يعلمها علماء الشريعة لأنهم يأخذون علمهم عن الله.

2- ثم ادعوا أن لهم علوما لا توجد في الكتاب ولا السنة يأخذونها عن الخضر الذي هو على شريعة الباطن بزعمهم.

3- ثم ادعوا أنهم يتلقون علمهم من ملك الإلهام كما تلقى الرسول علومه من ملك الوحي.

4- ثم ادعى بعضهم أنهم يتلقون علومهم عن الله رأسا بلا وساطة حيث تنطبع هذه العلوم في نفوسهم .

5- ثم ادعى بعضهم أن الرسول هو الذي يخبرهم بأذكارهم وعباداتهم يقظة لا مناما.

6- ثم ادعوا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة أوائل السور على حقيقتها وأنهم يجتمعون بالأنبياء ويسألونهم إلى غير ذلك من الخرافات، وعتاة هذه الدعوى ابن عربي والدباغ والبسطامي والتجاني والمرسي وغيرهم[690] .

وقد ملأ الجيلي كتابه الإنسان الكامل بكثير من الخرافات التي يمجها السمع وينفر عنها الذوق ، وقد كانت دعوى الكشف هي المقدمة الأولى في نظري إلى الادعاء بوحدة الوجود والحلول ، فالكشف مبالغة فاحشة، ولكنها مهدت لما هو أفحش وهو ادعاء الاتصاف بالله والأخذ منه.

[690] انظر: الفكر الصوفي ص 143، الفصل التاسع.

المبحث الثالث عشر:

الشطحات الصوفية

وصل الصوفية في شطحاتهم إلى حد لا يقدم عليه إلا من تزندق وألحد وخرج عن الدين ، فلما رأوا ذلك أرادوا أن يخرجوا أنفسهم من تلك الموارد الوخيمة فلم يجدوا منها مخرجا فادعوا أنهم إنما قالوا تلك الكلمات الكفرية في حال سكرهم بالله وغيبوبة عقولهم عن الإحساس إلا بالله .

وهذا العذر من أقبح الأعذار وأسمجها، فهل هم أحب لله من الأنبياء ومن أتباعهم الخلص ، ولم يعثر على أحد منهم أن تلفظ بما تلفظ به هؤلاء الذين امتلأت نفوسهم زندقة وحقدا على الإسلام .

ويمكن ذكر بعض الأمثلة على شطحات الصوفية فيما يلي:

أ- قال أبو يزيد البسطامي واسمه طيفور بن عيسى : " سبحاني سبحاني" وقال مرة : " ضربن خيمتي بإزاء العرش " وقال يخاطب الله : " قد مكنت لي مرآة فصرت أنا المرآة " وقال: " لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة " وقال: " ما الجنة.؟ لعبة صبيان"

ب- قال الشبلي :" لو التفت سري إلى العرش والكرسي لاحترق" وقال : " لو خطر ببالي أن الجحيم تحرق مني شعرة لكنت مشركا" وقال مرة بعد أن سمع قارئا يقرأ{ قال اخسئوا فيها ولا تتكلمون} قال: " ليتني كنت واحدا منهم" وقال: " إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها "

ت- قال أبو الحسن النوري بعد أن سمع مرة نباح كلب ومرة رغاء شاة : "لبيك وسعديك ياسيدي"

وهذه العبارات غيض من فيض ، فهناك الآف الشطحات[691] في حال سكرهم بالله كما يزعمون، والحقيقة أنها صادرة عن أناس يدعون الحلول والاتحاد وهم في كامل وعيهم وشيطنتهم ، وعندهم تمام الجرأة على الكذب على الله وهوانهم عليه .

---

[691] انظر لتلك الشطحات وغيرها : كتاب شطحات الصوفية ص 28-32 نقلا عن اللمع السراج ص 380-394 وعن ماسنيون في مجموع نصوص ابتداء ص 27 فما بعدها ، وحلية الأولياء 41/1 وقد نقل الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية الجزء الأول ، نقل أقوالا كثيرة في شطحات الصوفية.

المبحث الرابع عشر:

التكاليف في نظر الصوفية

يعتقد غلاة الصوفية أن الصلاة والصوم والزكاة والحج هي عبادات العوام، وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة .

ولأجل ذلك اخترعوا لهم عبادات خاصة ومناهج وطرائق خاصة ومفاهيم مختلفة خصوصا بعد وصول أحدهم إلى درجة اليقين كما يزعمون .

وهم يتفقون فيما شرعوا لأنفسهم ويختلفون إلا أن كل صاحب طريقة يجعل على أتباعه أغلالا وحواجز شديدة بحيث لا يمكن لأحدهم أن يغير طريقته ولا ذكره إلا بإذن الشيخ .

وأهل وحدة الوجود عندهم لا يحرمون شيئا فالخير والشر والحسن والقبح إنما هي أفعال لا فروق بينها لاحتواء الذات لها كلها، فوقع كثير منهم في الفواحش كالإلحاد والزنا واللواط وغيرها، وهم يعتقدون في ذلك كله أن الفواحش تقع بالجسم لا بالروح، وهي أجلُّ من فعل ذلك .

ويعتقدون كذلك أن شيخهم يأخذ مباشرة بالتلقي عن الله ، ولذا فليس عنده خوف من نار أو رغبة في جنة وإنما يعبدون الله حبا كما تبجح بذلك بعض أساطينهم كالبسطامي وغيره .

وقد قسم المنوفي مراتب الناس وقربهم من الله تعالى إلى ثلاثة أقسام وهي :

الأول: هم ذو الأمزجة الكثيفة والأفهام الضعيفة الذين يعسر عليهم محاولة التعلم من طريق التعليم، فطريقهم يستقيم بالقيام بالعبادات والتنسك كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها حتى يترقوا لأرفع المعارج ومواطن تنزلات المعارف.

الثاني: طريقة أهل الخصوص من أهل الأفهام اللوذعية والأخلاق الرحبة والهياكل النورانية وحالهم في مجاهدة النزوات إلى أن ترجع فطرتهم السليمة.

الثالث: هم ذوو النفوس الرضية والعقول الزكية والفطرة الصديقية وطريقتهم طريقة المطلوبين إلى الله والطائرين إليه وهي طريقة المحبوبين من رب العالمين وملاك السير فيها صفاء القلب وصدق الحب ظاهرا وباطنا.

ثم صرح بأن التصوف زبدة الديانات فقال: " وبما أن التصوف زبدة الديانات ولبها وليس مجرد تقاليد وطقوس وقواعد ظاهرية كان لكل ديانة تصوفها"[692].

وهذا تصريح منه بأن التصوف ليس منبعه من الإسلام، بل من ديانات شتى، مع أنه من المعلوم كمال وشمولية الإسلام.

وقد هوَّن الصوفية من شأن العبادات أيما تهوين، بل جعلوا الوصول إلى درجات الكمال ليس عن طريق العبادة ، يقول أبو سليمان الداراني : " لم يبلغ الأبدال ما بلغوا بصوم ولا صلاة ولكن بالسخاء والشجاعة وذمهم أنفسيهم عند أنفسهم"[693]

وقال أيضا: " إن الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي" [694]

وقد أورد الشعراني جملة كبيرة من قصص استخفاف الأولياء – بزعمهم — بالعبادات كما في ترجمته للشريف المجذوب من أنه كان يأكل في نهار رمضان ويقول: "أنا معتوق أعتقني ربي" وكذلك ما كان من بركات الخياط الذي كان لا يصلي الجمع ولا الجماعات[695].

وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تبرهن على استخفاف هؤلاء الناس بما افترضه الله عليهم.

المبحث الخامس عشر:

الأذكار الصوفية

اخترع الصوفية أورادا فر وها على من سار على طريقتهم ما أنزل الله بها من سلطان بل اشتملت على الكفر والزندقة والكذب على الله وعلى رسوله وكلمات سريانية وحروف مقطعة لا يعرف المراد منها .

وكل صاحب طريقة يدعي أنه يأخذ تلك الأذكار عن الله أو عن نبيه يقظة لا مناما في أحيان كثيرة، ورتبوا عليها الأجور العظيمة بزعمهم .

---

[692] انظر: جمهرة الأولياء 1/157-158

[693] جمهرة الأولياء 2/175

[694] الرسالة القشيرية 2/606

[695] انظر: الطبقات الكبرى للشعراني 2/144-150

فمنها أذكار التجاني ومنها أذكار البسطامي والرفاعي والجيلاني والشبلي وأبو العباس المرسي والشاذلي والإدريسي وآخر ين كثيرين وزعم كثير من أصحابها أنهم تلقوها عن الرسول أو عن الخضر أو عن الله[696].

ومدار أذكارهم على الإثبات بزعمهم فهم يقتصرون على لفظة " الله" بدلا عن لا إله إلا الله ، خوفا من أن يموت الشخص عند ذكر النفي ، ولا ندري كيف يقرؤون قول الله :{ فاعلم أنه لا إلا الله} وماذا يفعل المؤذن في الشهادتين وحال الدخول في الإسلام ، كل ذلك مما يبطل وساوس الصوفية .

ومن أعاجيب أمرهم ما ذكره السكندري في وصف أسماء الله حيث رتب لكل اسم ذكرا خاصا به ، فمن ذلك مثلا اسم العفو يليق بالعوام واسم الباعث يذكره أهل الغفلة واسم الغافر لعوام التلاميذ واسم المتين يذكره أرباب الخلوة وهكذا في كل اسم.

وفيما يلي نوجز ماذكره عبد الرحمن الوكيل في بيان كيفية الذكر الصوفي وذلك كما يلي:

1- إذا جاء وقت المولد يجتمع الرجال والنساء أو الدراويش والدرويشات.
2- بعد الأكل يصفق شيخهم الكبير إيذانا ببدأ الذكر.
3- يخرج من شفتيه ومنخريه اسم الله ملحدا في الحروف والنطق.
4- ثم يتمايلون يمنة ويسرة في حركات صاخبة مصحوبة بآهات وزفرات وقبل مع إظهار الحماس.
5- كل واحدج من الحاضرين يستحضر صورة شيخه أمامه إن لم يكن موجودا أو يستمد منه العون.
6- ينبغي لكل واحد أن يلتزم بطريقة الذكر وهي أن يبدأ بـ " لا" يمينا ويرجع بـ"إله" فيتوسط ثم يختم بـ " إلا الله " يسارا قبلة القلب، وإذا ذكر اسم الله مفردا فلا بدَّ أن يضرب بذقنه على صدره، ويجب أن ينتع الكلمة من سرته إلى قلبه في حركات بهلوانية.
7- لا يبدأ المريد بدعاء أي اسم لله إلا إذا سمح له الشيخ بذلك.

[696] انظر: الفكر الصوفي ص 284.

8- أن هذه الطريقة بهذه الصفة قد تأثرت باليهود فقد ورد في سفر المزامير : "ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود هللوا سبحوا الله في قدسه سبحوه برباب وعود سبحوه بدف ورقص سبحوه بأوتار ومزمار سبحوه بصنوف الهتاف" [697]

ومدار أدعيتهم تحوم حول الدعاء بالاتحاد باللح والحلول والتعدي في الدعاء فمن أمثلة ذلك قول أبي الحسن الشاذلي: " يا عزيز يا رحيم .. أسقط البين بيني وبينك .." وقول القطب أحمد المرسي : " اللهم اهدني لنورك... وهب لي علما يوافق علمك... وارفع الحجاب فيما بيني وبينك"[698].

وكذلك مثالا التعدي في الدعاء قول السكندري :" وتالله لئن لم ترعني بعينك وتحفظني بقدرتك لأهلكن نفسي ولأهلكن أمة من خلقك .."[699]

ومثل الأدعية الغير معقولة ولا مفهومة من أدعية الطريقة الشاذلية وهو : " سقفاطيس سقاطيم آمون قاف آدم حم هأ آمين كدكد كردد ده بها بهيا بهيا بهيهات لمقفنجل يا أرض خذيهم "[700] .

نعم يا أرض خذيهم إنهم مأساة حقيقة حين استبدلوا الأدعية المأثورة الكثيرة التي وردت عن نبينا صلى الله عليه وسلم كسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله بهذه الأدعية التي تقشعر منها الأبدان وتشمئز منها النفوس.

المبحث السادس عشر:

الوجد والرقص عند الصوفية

للغرام والرقص والتمايل عند الصوفية مكانة ثابتة بل صار هذا من أقوى الشبكات التي يصطادون بها من قلت معرفتهم بالدين الحنيف.

فعند الصوفية في أوقاتهم الخاصة مجالس يجتمعون فيها رجالا ونساء على الرقص والتصفيق والصياح بأصوات منكرة يمزقون فيها ثيابهم ويتمايلون في طربهم في حركات لا يفهم منها أي إشارة إلى الخوف من النار أو الرغبة في الجنة.

---

[697] انظر: ما كتبه عبد الرحمن الوكيل عفا الله عنه ص 141-145 وانظر: العهد القديم – المزامير، مزمور 641.

[698] لطائف المنن ص 343-354

[699] انظر: لطائف المنن ص 355-365

[700] انظر: الفكر الصوفي ص 292 نقلا عن أبي الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص 210.

وأصبح الرقص الصوفي عند معظم الطرق الصوفية مكوّن أساسي في احتفالاتهم في أية مناسبة بحيث يجتمع الرجال والنساء معا ويجلس كبارهم على الموائد يشربون الدخان ويقرؤون شيئا من الخرافات المنسوبة إلى مقبوريهم[701] ، وشيئا من القصائد التي تلتهب شوقا وغزلا وغراما وحزنا زعما أنها هي الطرق التي توصلهم إلى ربهم ، مخالفين بذلك هدي السنة وهدي الصحابة ومن تبعهم بإحسان .

أدلتهم على جواز ذلك والرد عليها :

حاول الصوفية أن يوجدوا لتلك الأفعال أدلة مشروعة وهذه بعضها فيما يلي:

أ- زعمهم أن سليمان لما سمع قول الله حينما نزلت الآية {وإن جهنم لموعدهم أجمعين}سورة الحجر آية 43، صاح ووقع على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام.

ب- احتجوا بقول الله لأيوب {اركضبرجلك} سورة ص آية 42.

ت- احتجوا بفعل بعض الصحابة لما قال الرسول ﷺ لعلي" أنت مني وأنا منك" فحجل ، وقال لجعفر " أشبهت خلقي وخلقي" فحجل وقال لسلمان " أنت أخونا مولانا " فحجل.

ث- احتجوا بحديث الجاريتين اللتان كانتا تغنيان بحضر النبي وهو مسجى فانتهرهما أبا بكر فقال: " دعهما فإنها أيام عيد" .

ج- ومما احتجوا به أن الحبشة زفنت والنبي ينظر إليهم في المسجد.

ح- ومنها أن عمر كان ربما يقرأ الآية فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت يومين مريضا.

خ- ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلملأبي موسى الأشعري: " أوتي مزمارا من مزامير آل داود".

د- ومنها استحسان النبي لشعر النابغة حتى قال له: " لا يفضض الله فاك"

ذ- ومنها رؤية بعض الصالحين للخضر وسؤاله عن السماع الصوفي فقال:"هو الماء الزلال" .

ر- ومنها رؤية بعض أوليائهم للنبي في المنام ولم ينكر عليهم السماع .

ز- ومنها أن الخضر تواجد حتى سقط على جبهته وسال الدم منه .

---

[701] انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 230.

وغر ذلك من الأدلة الكثيرة التي أودها السهروردي كمشي بعض الصالحين على الماء في حال تواجدهم أو لم يحترق بالنار وبعضهم يرتفع أذرعا من الأرض[702] .

هذه أهم الحجج التي يتمسك بها الصوفية في مشروعية الرقص والتواجد الصوفي.

الرد عليهم :

يمكن أن نوجز الرد باختصار على هذه الأدلة الواهية والاستدلالات الغير مقبولة فيما يلي:

أولا: أما احتجاجهم بفعل سلمان عندما حجل فقد رويت هذه القصة بلا سند ، والآية نزلت بمكة باتفاق ، وسلمان قد أسلم في المدينة .

ومن المعلوم أن الصحابة كان يخشون الله تمام الخشية والخشوع فتذرف عيونهم وتخاف قلوبهمو لم يصعق أحد منهم وهم أعرف بالله وأنقى وأكثر اتقيادا، وقد كان الرسول ينهى عن التأثر في غير حدود الشرع فقال لرجل سمع موعظة منه وصعق : " من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقا فقد شهر نفسه وإن كان كاذبا فمحقه الله"[703] .

ثانيا: احتجاجهم بقول الله لأيوب اركض برجلك ، فهو من باب فعل السبب لشفائه ولم يأمر بأن يضرب رجله رقصا وطربا، ولم يفعل ذلك ابتداء بل تنفيذا للأمر.

ثالثا: احجاجهم بحجل علي وجعفر وزيد ، فالحجل هو نوع من المشي يفعل عند الفرح وارتياح النفس ليعبر الإنسان عن فرحه دون قصد الرقص والتمايل ، وهي حالة عارضة ولا يقصد بها التقرب إلى الله كالصوفية.

رابعا : احتجاجهم بزفن الجبشة ، فالزفن نوع من المشي مع الرقص يشير إلى الاعتداد بالنفس وأكثر ما يفعل عن اللقاء في الحروب ولإظهار الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ، وليس المقصد منه الطرب والرقص .

---

702 انظر: عوارف المعارف ص 124-147 وانظر: كتاب حزب الرحيم 179/1 (هامش جواهر المعاني) وانظر: الصوفية معتقدا ومسلكا ص 230 والرسالة القشيرية 246/1-253

703

خامسا: احتجاجهم بسماع الرسول للجاريتين ، فالرسول كان مسجى والصوفية لا يتدثرون بثيابهم بل يمزقون ثيابهم ، والجاريتين كانتا تنشدان كلاما ليس فيه غزل ولا تشبيب بالنساء وهو أيضا يوم عيد والحال يستدعي الترويح عن النفس .

سادسا: استدلالهم بفعل عمر ومرضه من سماع آية فلم يرد عن الصحابة أنهم مرضوا من سماع الآيات أو كان لهم أوراد يرددونها كالصوفية .

سابعا : استدلالهم بقول النبي لموسى أوتي مزمارا، فهو إخبار من النبي بتلك النعمة التي أعطيها أبو موسى ولم يكن يرقص أو يمزق ثيابه وغاية ما فعله أن قرأ القرآن بصوت حسن .

ثامنا: استدلالهم باستحسان الرسول لشعر حسان فهو من الأمور الطبيعية في نفوس البشر من استحسان واستقباح .

تاسعا : أن استدلالهم بالرؤى المنامية أو بمقابلتهم للخضر أوغيره فكلها باطلة ، ولو اعتُقد أن الرائي ثقة فإنه لا يتعبد برؤياه فما بالك والرؤى عن مجهولين ومن مجهولين، ولو صحت لكان هذا من تلاعب الشياطين بهم .

عاشار: أن ما ذكر السهروري من طيران بعضهم او ارتفاعه في حال الوجد فهو يعزز القول بتلاعب الشياطين بهم .

المبحث السابع عشر:

الكرامات وخوارق العادات عند الصوفية

للأولياء الحقيقيين كرامات لا تنكر وقد كان للصحابة رضوان الله عليهم من الكرامات ما هو جدير بهم ، وكذلك ما كان لغيرهم من الأولياء العباد والعلماء من الكرامات .

وهدفنا هنا هو بيان الكرامات والخوارق التي تحدث من أناس ليسو أولياء الله وليس لهم صلاح .

وبيان ذلك أن من مكائد الشيطان وتلبيسه على الناس بأن يظهر لبعضهم أمورا غيبية تبدو كأنها كرامات للشخص فيتخيل أنه بمنزلة عالية وأنه يماثل الأنبياء في كراماتهم .

ومن تلاعب الشياطين بهم أن يسمع أحدهم مثلا صوتا من حجر أو شجر أو صنم فيأمره بأمر في بعضها شرك بالله فيظن المغرور أن الله خاطبه أو الملائكة أو أحد الأنبياء أو الخضر.

ومنها أن الشياطين قد تتمثل بصورة المستغاث به فيظن أنه هو الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني .

ومنها أن تخاطب الشياطين بعض العباد والجهال ويوهمونه أنه هو المهدي المنتظر وصاحب الزمان المبشر به فيصدق نفسه ويدعي المهدية .

ومنهم من يرى الكعبة تطوف به ويرى عرشا عظيما وعليه أنوار وصور عظيمة وأشخاص تصعد تنزل فيظن أنه بين يدیالله.

ولهذا ينبغي على المؤمن العاقل التنبه إلى مثل هذه المكائد الشيطانية بلجوئه إلى الله تعالى والاهتداء بهدي نبيه وأن ينظر إلى نفسه من باب الذل والحاجة إلى ربه ويكبح جماح نفسه الأمّارة بالسوء وألاّ يصدق ما يتراءى لنفسه من كرامات تنافي الإسلام .

أما الصوفية فقد صدقوا كل تلك الكرامات ونحن نذكر هنا شيئا من تلك الكرامات المزعومة عندهم فيما يلي:

أ- إحياء الموتى ، مثل أبو عبيد اليسر الذي أحيا دابته بعد ماتت ، والدهماني الذي أحيا لتلميذه ولده بعد ما مات.

ب- القدرة على المشي على الماء وطي الأرض وتحويل التراب إلى خبز وإبراء الأكمه والأبرص.

ت- تملكهم لكلمة التكوين أي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون: كما ذكر ذلك علي حرازم في كتابه جواهر المعاني.

ث- سماع نطق الجمادات كما زعم ذلك ابن عربي.

ج- ضمانة الجنة لمن أطعم صوفيا: كما ضمن ذلك التجاني لكل من أحبه وأطعمه[704] .

وكل تلك الكرامات المزعومة أشبه بأحلام الصبيان أو صراعات المجانين وتكذيبها والسخرية منها لا يحتاج إلى ضياع وقت في الاشتغال بالردود عليها وبيان سخافتها.

---

[704] انظر: إلى مزيد من قصص الكرامات في لطائف المنن ص 123و146و153وانظر: الرسالة القشيرية 712/2و700و685و682و678و676وانظر: كتب الفتوحات المكية وجكهرة الأولياء وعوارف المعارق وطبقات الشعراني وجواهر المعاني ورماح حزب الرحيم وغيرها من كتب الصوفية .

وقد أطنبت كتب الصوفية في ذكر الكرامات لأوليائهم فشرقوا وغربوا في جمع تلك الكرامات ، فمن تلك لنقول لكثيرة ما ذكره القشيري عن أبي الحسين النوري أنه جاء إلى البحر فقال يخاطب الله وغزتك لأغرقن نفسي إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطال ، فخرجت سمكة ذات ثلاثة أرطال .

وكذلك ما حصل ليحي بن سعيد أنه كان يطير في الهواء عندما كان يتعبد في غرفة ليس فيها درج فإذا أراد الخروج والعودة يقول لا حول ولا قوة الا بالله فيطير ويعود.

وما ذكره القشيري عن أبي عبيد اليسري عن أبيه لما خرج في سرية فمات المهر الذي يركبه فقال يارب أعرناه حتى نرجع فقام المهر من الموت .

ومنها قول الشيخ أبو العباس : جلت في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقا بأسفل العرش وهو رجل أشقر أزرق العينين.

وفي كتب الصوفي ما لا يمكن حصر الكرامات المنسوبة إلى أوليائهم ككتاب لطائف المنن للسكنجري وطبقات الشعراني والفتوحات المكية وجمهرة الأولياء وعوارف المعارف ورماح حزب الرحيم وغيرها من كتب الصوفية .

المبحث الثامن عشر:

تراجم زعماء الصوفية

للصوفية زعماء كثيرون ليس من السهل حصرهم وذكر تراجمهم ولعلنا نحيل من أراد التوسع في تراجمهم إلى كتب الصوفية أنفسهم .

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن بعض علماء الصوفية ارتكبوا جرما في حق الصحابة رضوان الله عليهم وغيرهم من أسلاف المسلمين وعلمائهم حين حشروا تراجمهم مع كبار غلاة الصوفية وفساقهم .

ومن اهم تلك المكتب ما يلي:

1- الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري الشافعي 471-465هـ وقد خصص جزء منها لتراجم مشائخ الصوفية حيث

ابتدأه بقوله :" فصل في ذكر مشائخ هذه الطريقة وما بدل من سيرهم وأقوالهم على تعظيم الشريعة"[705] ثم ذكر ترجمة لثلاثمائة وثمانين شخصا من كبار زعمائهم .

2- الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، تأليف عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني ، ظهر في القرن العاشر الهجري، وقد ترجم لأربعمائة وأربع وعشرين شخصا بالإضافة إلى مشائخه وعددهم 87 شخصا ، وقدا بدأ تراجمه بذكر أبي بكر الصديق وختمهم بعلي بن شهاب جده الأدنى ، ثم ابتدأ بمحمد المغربي الشاذلي وختمهم بالشيخ علي العياشي.

3- جمهرة الأولياء في أعلام أهل التصوف، تأليف محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ، ترجم لأعلام الصحابة وأهل الصفة ثم لعدد من أعلام التصوف تحت عنوان " طبقة التابعين وتابعيهم ذكر التابعين من الأولياء" ثم ترجم لسبعة وثمانين شخصا ، حصر معهم بعض الفضلاء من أعلام الإسلام مع كبار غلاة التصوف[706].

4- عوارف المعارف لأبي حفص عمر بن مُحَّد بن عبد الله بن مُحَّد بن عمويه الصديقي القرشي التميمي البكري الشافعي الملقب بشهاب الدين السهروردي 539- 632هـ لم يبرز التراجم إلا أنه ذكر كثيرا من أعلامهم في ثنايا الكتاب .

5- لطائف المنن لأبي عطاء الله السكندري وطريقه مثل طريقة السهروردي.

6- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، تأليف علي حرازم ابن العربي المغربي.

7- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم ، تأليف عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي، واهتم هو والذي قبله ببيان طريقة التجانية وزعماء التجانية .

8- ألّف بعض العلماء مؤلفات خاصة عن بعض الشخصيات الصوفية مثل ابن عربي البسطامي والتجاني والنقشبندي وابن سبعين والغزالي وابن الفارض والحلاج والجيلاني .

بعض المراجع عن الصوفية

أولا: كتب الصوفية:

---

[705] انظر: الرسالة القشيرية 61/1

[706] نفس المرجع 80/1

1- الرسالة القشيرية–للقشيري.

2- عوارف المعارف. للسهروردي.

3- لطائف المنن. للسكندري.

4- جمهرة الأولياء. للمنوفي.

5- جواهر المعاني. علي حرازم.

6- رماح حزب الرحيم. الفوتي.

7- الطبقات الكبرى. الشعراني.

8- الفتوحات الربانية. ابن العربي.

9- فصوص الحكم. ابن العربي.

10- تائية ابن الفارض. ابن الفارض.

11- تخريج الأربعين السلمية في التصوف. للسخاوي، تحقيق علي حسن.

12- الهداية الربانية في فقه الطريقة التجانية. مُحَمَّد السيد التجاني.

13- الغنية لطالبي طريق الحق. عبد القادر الجيلاني.

14- رفع الشبهات عما في القادرية والتجانية من الشطحات. لجنة جماعة الصوفية في ألورن.

ثانيا: من الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفيين ما يلي:

1- الصوفية والفقراء. شيخ الإسلام ابن تيمية.

2- الجزء11 من مجموع فتاوى شيخ الإسلام.

3- هذه هي الصوفية. عبد الرحمن الوكيل.

4- الفكر الصوفي. عبد الرحمن عبد الخالق.

5- التصوف معتقداً ومسلكاً. صابر طعيمة.

6- التصوف المنشأ والمصدر. إحسان إلهي ظهير.

7- التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث. مصطفى حلمي.

8- إلى التصوف يا عباد الله. الجزائري.

9- التجانية. علي بن مُحَمَّد الدخيل الله.

10- رسائل وفتاوى في ذم ابن العربي الصوفي. جمع وتحقيق موسى الدويش.

11- النقشبندية عرض وتحليل. عبد الرحمن دمشقية.

12- كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق. عبد القادر حبيب الله السندي.

13- الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية. مُحَمَّد تقي الدين الهلالي.

14- الصوفية نشأتها ونطورها. مُحَمَّد العبدة، طارق عبد الحليم.

15- نظرات في معتقد ابن عربي. كمال مُحَمَّد عيسى.

16- الرفاعية. عبد الرحمن دمشقية.

17- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام. سارة عبد المحسن السعود.

الفصل العاشر:

المرجئة

تمهيد:

المرجئة هي من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور، وقد اهتم العلماء بأخبارهم، بين مدافع عنهم ومحاج لهم، وبين معجب بأدلتهم وبين داحض لها.

ومن هنا فقضية الإرجاء فد جرّت إليها كثير من العلماء المشهورين إلى الركون إليها على تفاوت بينهم في الموقف منها، فوُجد لها مدافعين ووُجد لها مؤيدين وقد اتخذت تلك الخصومات أشكالا من العنف واللين وأوقاتا كثيرة من الجهود.

والإرجاء الذي هو بمعنى ترك العمل وعدم الاهتمام به لا مكان له في الواقع إلا عند المتأخرين الذين يريدون الانفلات من القيم والمبادئ.

أما الذين قرروا الإرجاء في بدء عملهم وهم مرجئة الفقهاء فقد كانوا حريصين على العلم واغتنام الفرص فتجد الواحد منهم يحث على الإرجاء بكلام قد حفظه لكنه في باب العمل من المكثرين في التقرب إلى الله[707] ، ولذلك ذكر عنهم شيخ الإسلام أن السلف كانوا يصلون خلفهم ويترحمون عليهم وإنما يشنعون عليهم مسلكهم الخاطئ في تأخير العمل عن حقيقة الإيمان

المبحث الأول:

التعريف بالإرجاء لغة واصطلاحا

أ- **الإرجاء في اللغة:** يطلق على عدة معان منها: الأمل والخوف والتأخير وإعطاء الرجاء.

أما الأمل فقال تعالى :{ وترجون من الله ما لا يرجون}سورة النساء آية 104 والخوف قال تعالى : { ما لكم لا ترجون لله وقارا}سورة نوح آية 13 والتأخير قال تعالى: { قالوا أرجه وأخاه}سورة الأعراف آية 111، ويذكر الأزهري أن أن الارجاء إنما يستعمل بمعنى الخوف إذا كان معه حرف نفي[708] .

---

[707] انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ، وانظر : كلام عمر بن ذر الهمداني ، حلية الأولياء 108/5

[708] انظر: تهذيب اللغة 181,183/11 وانظر: معاجم اللغة مادة "رجا"

ب- تعريف الإرجاء في الاصطلاح:

اختلفت كلمة العلماء في تعريف المفهوم الحقيقي للإرجاء نوجزها فيما يلي:

1- أنه مأخوذ معناه من معناه اللغوي وهو بمعنى التأخير وهو إرجاء العمل عن درجة الإيمان وأنه في حقيقته تصديق وأنه يتناول الأعمال على سبيل المجاز، فلا تضر معه معصية .

2- أن المراد به تأخير الحكم عن صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة[709].

3- ربط بعضهم الإرجاء بما جرى في شأن علي وعثمان وإرجاء أمرهما إلى الله ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا كفر ، وخلص بعضهم من هذا المفهوم إلى اعتبار أن الصحابة الذين اعتزلوا الفتن هم نواة الإرجاء .

وقد وقف جملة من الصحابة ممتنعين عن الخوض فيما حدث من أحداث في عهدهم بين علي ومعاوية وغيرهما ، ومن هؤلاء سعد بن أبي وقاص وأبو بكرة وعبد الله بن عمر وعمران بن حصين حيث توقفوا وأرجئوا الحكم في تلك الفتن وفوضوا أمر المختلفين فيها إلى الله تعالى، فلم يحكموا بتخطئة أحد ولا تصويب أحد .

وهم في توقفهم كانوا يستندون إلى نص شرعي فقد ورد عن الرسول ﷺ بيان المخرج من تلك الفتن في قوله : "إلا إنه ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها..." ثم قال في آخر الحديث :" يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة"[710] وهم أعرف بالنصوص ومفاهيمها وهم من فضلاء الصحابة وأجلائهم فهم يرون معالجتها بالصبر والصلح بين المتقاتلين بدلا من التسرع في إراقة الجماء وهذا هو عين الصواب .

وإرجاء هؤلاء الصحابة الحكم في علي ومعاوية ليس هو أساس الإرجاء البدعي، فالإرجاء البدعي قام على القول بالتصديق بلا عمل وأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

---

[709] انظر: مقالات الإسلامي للأشعري 213/1

[710] أخرجه البخاري 30/13 ومسلم2213/1 واللفظ له.

المبحث الثاني:

الأساس الذي قام عليه مذهب المرجئة

أ- الأسس التي قام عليها مذهب الإرجاء:

الأساس الذي قام عليه مذهب الإرجاء هو الخلاف في حقيقة الإيمان ومم يتألف، وما هو تحديد معناه، وما يتبع ذلك من أبحاث، وهل الإيمان في القلب فقط أو فعل اللسان؟ أو هو فعل القلب واللسان معا؟ والعمل غير داخل في حقيقته، وبالتالي لا يزيد ولا ينقص إذا التصديق واحد لا يختلف أهله فيه.

هذه أهم ميزات بحوث هذه الطوائف المرجئة وإلى كل قسم من تلك الأقسام ذهب فريق من المرجئة.

ب- أبرز أصناف المرجئة:

ذهب أكثر فرق المرجئة إلى أن الإيمان هو مجرد ما في القلب ولا يضر ذلك أن يظهر من عمله ما ظهر، حتى وإن كان كفرا وزندقة، وهذا مذهب الجهم، فلا عبرة عنده بالإقرار باللسان ولا الأعمال أيضا.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو قول باللسان ولا يضر مع ذلك حتى لو أبطن الكفر.

وذهب أبو حنيفة وفقهاء الكوفة إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان لا يغني أحدهما عن الآخر وهو أقرب مذاهب المرجئة إلى أهل السنة لموافقتهم أهل السنة في أن المعاصي تحت المشيئة وانه لا يخرج عن الإيمان وخالفوهم في عدم إدخال العمل في الإيمان وفي أن الإيمان يزيد وينقص فلم يقولوا بذلك.

ح- نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة:

وفي نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة خلاف كثير بين العلماء، ففي نسبته إليه من كتّاب الفرق والمقالات يقف المدافعون عنه معتمدين على اهتمامه بالفروع أمام كبيرا واهتمامه بالعمل مما يخالف المرجئة.

وقد شكك المدافعون عنه في نسبة كتاب الفقه الأكبر إليه ودافع عنه الشهرستاني في نسبة الإرجاء وبين ان ذلك إنما كان عن سوء فهم من المعتزلة والقدرية الذي يرون بأن الإيمان هو

التصديق بالقلب وأنه لا يزيد ولا ينقص، فظنوا أنه يؤخر العمل عن الإيمان، إضافة إلى أن المعتزلة يسمون من خالفهم مرجئا[711].

خ- حقيقة نسبة الإرجاء إلى أبي حنيفة:

والواقع أن النقول عن أبي حنيفة كثيرة وهو الثابت ولكنه لم يكن من غلاة الجهمية ، وقد بذل كثير من العلماء جهدهم ليجعلوا الخلاف بينهم وبين أهل السنة في حقيقة الإيمان لفظيا ، ولكن لم يتم لهم ذلك ، وهم يعتمدون في ذلك على اتفاقهم مع أهل السنة في مرتكب الكبيرة عند الله، إذ لا يسمى كافرا، وأنه تحت المشيئة، واتفاقهم على أن الأعمال لابد منها وأن تارك العمل لو صدق بقلبه وأقر بلسانه يستحق اللوم والعقوبة وأنه من العصاة.

ولكن هذه الحجج لا تجعل الخلاف لفظيا، وذلك لأن السلف لا يفرقون بين الأعمال والإيمان ولا يخرجون العمل عن مسمى الإيمان، ولا يرون أن الناس على درجة واحدة في الإيمان والتوحيد، ولا يوافقون الأحناف في حكم الإيمان الكامل للعصاة، ولا يوافقونهم في القول بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث:

كيف نشأة الإرجاء وكيف تطور إلى مذهب

لقد بدأ الإرجاء وكان يراد به في بعض إطلاقاته أولئك الذين أحبوا السلامة والبعد عن الخلافات وترك المنازعات السياسية والدينية وخصوصا فما يتعلق بالأحكام الأخروية وما يتعلق بأمر ما حصل بين الصحابة.

ثم بعد ذلك تطور تدريجيا بعد ظهور الخوارج والشيعة، فظهر الخلاف في حكم مرتكب الكبيرة ومنزلة العمل من الإيمان.

ثم تطور الإرجاء على صفة مذهب حيث قرر أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان أانه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة وأنه في القلب، ولو تلفظ بالكفر والزندقة.

وأصحاب المرحلة الأخيرة مذمومون ممقوتون ومذهبهم يفضي إلى الإباحية والتكاسل والتعويل على عفو الله دون العلمل وهو ما تاباه الشريعة الإسلامية.

---

[711] انظر: الملل والنحل 141/1

وقد احتدم النزاع بين أهل السنة وبين الخوارج والمعتزلة من جانب وبين المرجئة من جانب آخر، فالخوارج يرون أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار كافر في الدنيا والمعتزلة تراه في منزلة بين المنزلتين ومصيره النار في الآخرة، ونجد في المقابل المرجئة التي تجعل الإيمان في القلب ولا يضر معه حتى الكفر.

بينما أهل السنة يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره تحت المشيئة فتوسطوا بين كل تلك الفرق مهتدين بنصوص الشرع.

المبحث الرابع:

بيان أول من قال بالإرجاء وبيان أهم زعماء المرجئة

يذكر العلماء أن الحسين بن مُحَمَّد بن الحنفية هو أول من ذكر الإرجاء في الأمة بخصوص علي وعثمان وطلحة والزبير حينما خاض الناس فيهم وهو ساكت ثم قال: " قد سمعت مقالتكم ولم أر شيئا أمثل من أن يرجأ علي وعثمان وطلحة والزبير فلا يتولوا ولا يتبرأ منهم"[712] ولكنه ندم بعد ذلك على كلامه وتمنى أن لو مات قبل أن يقوله.

وقد بلغ أباه مقولته فضربه حتى شجه وقال له: ألا تتولى أباك عليا؟ ولكن أهل الارجاء لم يلتفتوا إلى ندم الحسن بن مُحَمَّد[713].

ولكن ينبغي ملاحظة أن قول الحسن يتعلق بالإرجاء في الحكم بالصواب أو الخطأ فيمن ذكرهم وليس في الإيمان من عدمه كما هو حال المرجئة بعد ذلك.

وقيل إن أول من قال بالإرجاء تابعي واسمه ذر ابن عبد الله الهمداني ،وقد ذمه علماء عصره بل كان سعيد ابن جبير وإبراهيم النخعي لا يردان عليه السلام إذا سلم.

والفرق واضح بين ذر وبين الحسن، فإرجاء الحسن يتعلق بالتصويب والتخطئة وإرجاء ذر يتعلق بالعمل والايمان وهذا جمع بين القولين.

وقيل أول من دعا إلى الارجاء رجل بالعراق يسمى قيس بن عمرو الماضري، وقيل حماد بن أبي سليمان شيخ أبي حنيفة[714]، وقيل رجل اسمه سالم الأفطس، ويطلق على إرجاء هؤلاء إرجاء الفقهاء.

---

[712] انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الاسلامي ص 244

[713] لم يكن ما كتبه الحسن كتابا حسب ما يتبادر إلى الذهن، وإنما كان بمنزلة منشور.

وقد عد جماعة من العلماء من المرجئة هؤلاء،ولم يكفروا أصحاب الكبائر ولم يحكموا بتخليدهم في النار.

إلا ما ذكر عن مقاتل من قوله: أن المعصية لا تضر صاحب التوحيد وأنه لا يدخل النار مؤمن[715].

ومن كبار غلاة المرجئة الجهم والصالحي ويونس السمري وأبو ثوبان والحسين بن مُحَّد النجار وغيلا ومُحَّد بن سبيب وأبو معاذ التومني وبشر المريسي ومُحَّد بن كرام ومقاتل بن لسيمان والجواربي المشبه[716].

المبحث الخامس:

أصول المرجئة

تكاد تتفق المرجئة في أصولها على مسائل هامة وهي:

أ- أن تعريف الايمان هو التصديق أو المعرفة باللقب أو الإقرار.

ب- أن العمل ليس داخلا في حقيقة الإيمان ولا يغفلون منزلة العمل إلا عند الجهمية وغلاة المرجئة.

ت- أن الايمان لا يزيد ولا ينقص لان التصديق جزم بالشيء.

ث- أن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان.

ولهم اعتقادات أخرى ذهب إليها جملة من المرجئة وهي كالآتي:

ج- أن الانسان يخلق فعل نفسه.

ح- أن الله لا يرى في الآخرة وقد تأثروا فيه بالمعتزلة.

خ- أن الإمامة ليست واجبة، وتأثروا فيه بالخوارج .

د- من عقائد المرجئة الجهمية أن الكفر بالله هو الجهل وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الجنة والنار تفنيان وتبيدان ويفنى أهلهما ولا خلود لأحد فيها.

ذ- ذهب بعضهم إلى أن كل معصية فهي كبيرة، وذهب بعضهم إلى أن غفران الذنوب تفضّل من الله وذهب بعضهم إلى أنها استحقاق.

---

[714] انظر: مجموع الفتاوى 297,311/7

[715] انظر: الملل والنحل 139/1-146

[716] انظر: مقالات الاسلاميين 213/1

ر- جوز بعضهم على الأنبياء فعل الكبائر وذهب بعضهم في إثبات التوحيد إلى قول المعتزلة وبعضهم ذهب إلى قول المشبهة.

ز- أثبت بعضهم رؤية الله في الآخرة ومنهم من نفاها.

س- اختلفوا في القول بخلق القرآن فمنهم من قال بخلقه ومنهم من قال بأنه غير مخلوق ومنهم من توقف.

ش- اختلفوا في القدر فبعضهم نفى القدر كالمعتزلة وبعضهم أثبته، واختلفوا في أسماء الله فمن من قال بقول الكلابية ومنهم من رأى رأي المعتزلة[717].

وقد قسم الدكتور سفر الحوالي أقسام اتجاهات الناس في حقيقة الإيمان كالآتي:

1- أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح: وهم أهل السنة والخوارج والمعتزلة، أما المعتزلة والخوارج فقالوا أن الايمان فعل كل واجب وترك كل محرم ومرتكب الكبيرة عندهم كافر عند الخوارج وفي منزلة بين المنزلتين عند المعتزلة واتفقوا على أن مصيره في الآخرة إلى النار .

2- أنه بالقلب واللسان فقط: وهم مرجئة الفقهاء وابن كلاب، وهؤلاء يدخلون أعمال القلوب في حقيقة الايمان ثم تطور بهم الأمر إلى إخراج قول اللسان أيضا وجعلوه علامة فقط وهم عامة الحنفية الماتريدية.

3- أنه باللسان والجوارح فقط: وهم الغسانية.

4- أنه بالقلب فقط: وهم الجهمية والمريسية والصالحية والأشعرية والماتريدية، فالذين يدخلون فيه أعمال القلوب جميعها هم سائر فرق المرجئة، الذين يقولون هو عمل قلبي واحد أي المعرفة هم الجهمية، والذين يقولون عمل قلبي واحد وهو التصديق هم الأشعرية والماتريدية[718].

5- أنه باللسان فقط: وهم الكرامية.

المبحث السادس:

[717] انظر: مقالات الاسلاميين213,234/1

[718] انظر: مجموع الفتاوى ، الجزء السابع في عدة أمكنة من الهذا الجزء المشتمل على كتاب الإيمان الكبير، وكتاب الإيمان الأوسط، وانظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 284-286

أقسام المرجئة

انقسمت المرجئة في اعتقاداتها إلى فرق كثيرة يطول ذكرها ويمكن الإشارة إلى رؤوس تلك الفرق فيما يلي:

أ- مرجئة السنة: وهم الأحناف، أبو حنيفة وشيخه حماد ومن اتبعهما من أهلى الكوفة وقد أخروا العمل عن حقيقة الإيمان.

ب- مرجئة الجبرية والجهم وأتباعه واكتفوا بالمعرفة القلبية وأن المعاصي لا أثر لها في الإيمان.

ت- مرجئة القدرية: غيلان وأتباعه.

ث- مرجئة خالصة: اختلف العلماء في عد فرقهم.

ج- مرجئة الكرامية: أصحاب مُحَمَّد بن كرام ، وهم الذين يزعمون أن الايمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب .

ح- مرجئة الخوارج: الشبيبية وبعض فرق الصفرية الذين توقفوا في حكم مرتكب الكبيرة، وعدّ الأشعري في مقالاته المرجئة وأوصلهم إلى اثنتي عشرة فرقة[719] .

ولهم فروع كثيرة واختلف العلماء في عد فرقهم وطوائفهم نكتفي بالإشارة منها بما سبق.

المبحث السابع:

أدلة المرجئة لمذهبهم والرد عليها

استدل المرجئة على ما ذهبوا إليه من إخراج العمل عن الإيمان ومن فتح باب الكسل والمغرمين بالأماني دون العمل على ما ذهبوا إليه بأدلة من القرآن والسنة تدل بزعمهم على ما ذهبوا إليه ومن تلك الأدلة ما يلي:

أو لا: أدلتهم من القرآن الكريم:

1- استدلوا بقول الله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} سورة النساء آية 48.

---

[719] في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص 213-234، وأول فرقهم الجهمية وآخرهم الكرامية – الفرقة الثانية عشرة منهم- كما ذكر الأشعري ، وذكر البغدادي أنهم ثلاثة أصناف قائلون بالجبر والقدر ، ومن خرج عن القول بهما صاروا خمس فرق. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص 302 والملل والنحل للشهرستاني 139/1، وذكر أنهم أربعة أصناف ثم ذكر مقالات المرجئة الخالصة وعدّهم ست فرق.

2- استدلوا بقول الله تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعها إن هو الغفور الرحيم} سورة الزمر آية 53

3- اهتمت الجهمية بجمع النصوص التي تجعل الإيمان أو الكفر محله القلب كقول الله تعالى: {أولئك كتب في قلوبهم الإيمان} سورة المجادلة آية 22وقوله تعالى: { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}سورة النحل آية 106وقوله تعالى ::{ختم الله على قلوبهم}سورة البقرة آية 7 ،إلى غير ذلك من الأدلة الذي يوحي ظاهرها إلى ما ذهبوا إليه بزعمهم.

ثانيا: أدلتهم من السنة النبوية:

استدلوا بأدلة وآثار يدل ظاهرها على الاكتفاء بالبعد عن الشرك ووجود الإيمان في القلب للفوز برضى الله مثل ما يلي:

1- قوله ﷺ: " من مات يشرك بالله شيئا دخل النار" قال ابن مسعود وقلت أنا:"من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة"[720].

2- قوله ﷺ في الحديث القدسي: " يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"[721].

3- قوله ﷺ: "اللهم ثبت قلبي على دينك"[722].

4- قوله ﷺ للجارية :"أين الله " قالت :"في السماء" فقال لمولاها :" أعتقها فإنها مؤمنة"[723].

5- قوله ﷺ: " التقوى هاهنا" ويشير إلى صدره ثلاثا[724].

6- استدلوا بحديث الشفاعة في أقوام يخرجون من النار حتى لا يبقى من كان في قلبه ذرة أو برة أو شعيرة من إيمان، يقول ﷺ في آخر الحديث: "فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه"[725].

---

[720] أخرجه البخاري 110/3 ومسلم 49/1

[721] أخرجه مسلم 2068/4.

[722] أخرجه أحمد 454/2

[723] أخرجه مسلم382/1 برقم 547 وأحمد في المسند477/5

[724] أخرجه مسلم 1986/4 برقم 2564

[725] أخرجه مسلم 170/1

فاستدل المرجئة بهذا الحديث من أنهم لم يعملوا خيرا قط ومن أنهم عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، فقالوا: لم يبق معهم غير التصديق.

7- ومن أدلة المرجئة على أن العمل ليس من الإيمان قولهم: إن الكفر ضد الإيمان فحينما ثبت الكفر انتفى الإيمان.

8- وكذلك استدلوا بالآيات التي فيها عطف العمل على الإيمان كقوله تعالى :{آمنوا وعملوا الصالحات}[726].

9- عللوا استدلالهم أن الإيمان قول واعتقاد فقط، بأن الأعمال ليست داخلة فيه وإنما هي شرائع الإسلام فعمل المعصية ينقص من شرائع الإسلام وليس من التصديق ودللوا على ذلك بالمعنى اللغوي للإيمان وأنه هو التصديق ،وأيضا قالوا بأنه لو كانت الأعمال من الإيمان لوجب الحكم بعدم إيمان من ضيّع شيئا من الأعمال[727].

الرد على أدلة المرجئة:

يمكن إيجاز الرد على استدلالاتهم بما يلي:

أ- أن استدلالهم بتلك النصوص لا يسلم لهم فهمهم لها، ولا تخرج العمل عن الإيمان، فالقلب وإن كان هو الأساس وعليه الاعتماد، لكنه لا ينفي أن أثر الإيمان يظهر على الجوارح بل هو الحق.

ب- أن النصوص تدل على أن تتضح دلالاته على الأعمال الظاهرة.

ت- أن قول المرجئة واستدلالهم يفضي إلى ترك الأعمال وعدم تكفير من يعمل المكفرات حتى يتأكدوا من تصديق قلبه، وهذ خلاف ما دلت عليه النصوص من أن العمل المكفر يكفر صاحبه إذ لو لم يكفر قلبه لم تكفر جوارحه[728].

[726] سورة البقرة آية 25.

[727] انظر: شرح الطحاوية ص 319

[728] انظر: مجموع الفتاوى 557/7

ث- أن النصوص التي استدلوا بها ليس المراد بها إخراج العمل عن إيمان القلب ولا تنكر التلازم بين العمل والإيمان، فلا فرق بين الجهمية في قولهم الايمان معرفة والأشاعرة في قولهم الإيمان تصديق.

ج- أن النصوص التي استدلوا بها من أن اجتناب الشرك يدخل الجنة فهذه النصوص تفيد أن من لم يقع منه الشرك مع القيام بأمر الله والإنتهاء عن نواهيه فإذا مات عن بعض الذنوب يرجى له المغفرة.

ح- أن استدلالهم بقول الرسول ﷺ: " التقوى هاهنا" بأن الايمان والكفر محله القلب ولاعبرة بالجوارح، فهو فهم غير سديد فتقوى القلب إذا لم تثمر بإيمان الجوارح فهي ليست تقوى صحيحة.

خ- أن استدلالهم بحديث الجارية فالرسول قد شهد لها بالإيمان الظاهر الذي تجري بموجبه الأحكام الدنيوية لا الإيمان الحقيقي الكامل والذي يميز الكافر عن المسلم ابتداء في المعاملات الدنيوية، فالرسول ﷺ كان يعلم أن إيمان هذه الجارية ليس كإيمان أبي بكر وعمر وكبار الصحابة[729]، ولذلك سألها عن الأعمال الظاهرة كالشهادتين والإيمان بالبعث، ولو أن الجارية قالت إنها مؤمنة بكل شرائع الإسلام لكنها لا ترى لزوم عملها وإنما ترى التصديق فقط فهل كان سينشرح صدر الرسول ﷺ لجوابها؟[730]

د- أن حديث الشفاعة لا يصح الاستدلال به دون الرجوع إلى الأحاديث الكثيرة التي صرحت بأنهم من أهل الإيمان وعليهم أثر السجود الذي هو عبارة عن عمل وأن الجهنميين يُعرفون بذلك.

وفي بعض الروايات أن المؤمنين يشفعون فيمن عرفوه بأنه من أهل الإيمان والعمل في الدنيا، ولا يمنع أن يكون لبعض الناس أعمالا لا يعلم بها إلا الله.

ثم إن هؤلاء لهم من وعمل وإلا كانوا كسائر الكفار والمشركين المخلدين في النار فلا مزية لهم.

---

[729] انظر: مجموع الفتاوى7/209-416

[730] انظر: لمزيد من التفصيل: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ص 519و526

وربما أن الله أخرجهم من النار أو أدخلهم لجنة لعزمهم على العمل مثل ذلك الرجل الذي أسلم ودخل المعركة وقتل شهيدا فشهد له الرسول بالجنة ، ومثله قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تداركته رحمة الله أو الرجل الذي أوصى أن يحرق بعد موته فغفر الله له.

ذ- أن ما استدلوا به من ورود نصوص كثيرة فيها عطف العمل على الإيمان، لمغايرتهما،فالواقع أن النصوص كما يتضح منها، مرة تذكر بلفظ الإيمان وحده ومرة بلفظ العمل والإيمان معا،ففي حال إطلاق الإيمان وحده، فإنه يدخل فيه الأعمال، وأما في حال ذكر الإيمان والعمل معاً فلا مغايرة بينهما في الحكم الذي ذكر لهم، بل يكون ذلك من جنس عطف الخاص على العام مثل قوله تعالى: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى}سورة البقرة آية 238.

والمقصود بذلك الإظهار والتوكيد[731]

ر- وأما ما استدل به الأحناف من أن الإيمان في اللغة المقصود به التصديق، والعمل لا يسمى تصديقاً فيقال لهم: إنه لم يسم التصديق بالقلب دون التصديق باللسان والعمل إيماناً في اللغة، ولم يعرف عن العرب أنهم يحكمون للشخص بالتصديق والإيمان بشيء صدقه بقلبه ثم أعلن التكذيب به بلسانه، كذلك لم يعرف في اللغة أن التصديق باللسان فقط دون التصديق بالقلب يعتبر إيماناً.

ويقال لهم أيضاً: لو كان ما تقولون صحيحاً من أن الإيمان هو التصديق فقط – لوجب أن يطلق اسم الإيمان على كل من صدق بشيء ثم كذب بلوازمه، كإيمان بعض الناس ببعض الرسل وكفرهم ببعضهم.

ز- أن ما ذهب إليه المرجئة من أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، كما أن التصديق لا يزيد ولا ينقص، فهو قول من أبطل الأقوال وهو قياس على أمر غير مسلم، فالتصديق لا يصح لهم ما زعموه فيه من أنه لا يتفاضل الناس فيه، بل يتفاضلون تفاضلاً ظاهراً في التصديق بقضايا تمر بالناس يومياً في حياتهم، فضلاً عن تصديق بقضايا المغيبات.

س- أن زيادة الإيمان ونقصانه فيكفي في ثبوته إخبار الله عز وجل بذلك في كتابه الكريم وإخبار نبيه محمد ﷺ في سنته الشريفة بما لا يخفى.

[731] انظر: مجموع الفتاوى 7/160-161

الفصل الثامن

مذهب أهل السنة في تعريف الإيمان

أ- معتقدهم :

مذهبهم في الإيمان أنه قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأن العمل داخل في حقيقة الإيمان وأنه لا إيمان بدون عمل، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية حسب ما حل بالقلب من ذلك.

وهذا هو الواضح من النصوص الكثيرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، إلا أنه قد تختلف تعبيرات أهل السنة عن حقيقة الإيمان فيعرفونه بصيغ مختلفة[732]

ت- أدلتهم:

قال تعالى مبيناً الخصال التي يكون بها الشخص مؤمناً إذا طبقها على نفسه وعمل بما دلت عليه: {قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون} سورة المؤمنون أية1-4. وقال تعالى: {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار} سورة البقرة آية25.

وقال تعالى: {والعصر أن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}سورة العصر.

ومما يدل علي أنه لا فرق بين العمل والإيمان أو الإيمان والعمل في إطلاق كل منها على الآخر أيضاً قوله تعالى: {ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً} سورة طه آية112.

فمن فرق بين الإيمان والعمل بالجوارح فلا شك في مخالفته الصريحة للقرآن والسنة، وأنه ينبغي عليه التوبة والرجوع فلا شك في مخالفته الصريحة للقرآن والسنة.

---

[732] مثل قولهم: هو عمل وقول ونية، أو هو قول وعمل واتباع سنة، أو هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح أو هو إقرار وعمل أو تصديق وعمل. انظر: مجموع الفتاوى170/7"والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل الجوارح والقلب، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية. قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع فلان كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة."

واستدل أهل السنة من السنة بأحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاالله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[733]

وقوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيارهم خيارهم لنسائهم"[734]وأحاديث أخرى كثيرة جعل فيها العمل من الإيمان.

ث- منهج السلف:

وعلى هذا مضى السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم، وعليه أيضاً مضى علماء الإسلام، ومنهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد، حيث فسروا الإيمان بأنه التصديق والقول والعمل، وأنه يقبل الزيادة ويقبل النقص، وأن أهله يتفاوتون فيه.

ومما ينبغي فهمه أن السلف حينما يعرفون الإيمان بأنه قول وعمل؛ لا يقصدون أن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح دون النظرإلى إيمان القلب وتصديقه وعمله بخلاف مذهب المرجئة؛ فإن مجرد التصديق بالشيء يعتبر إيماناً به ظاهراً وباطناً، بغض النظر عن العمل - على حسب منهجهم-، فإذا تلفظ الشخص عندهم بكلمة الإخلاص - لا إله إلا الله -أصبح بمجرد تلفظه، فإذا امتنع عن قولها فحكمه عندهم أنه كافر في الظاهر، وقد يكون مؤمناً في باطنه كما يزعمون، والسلف يحكمون بكفره ظاهراً وباطناً إذا امتنع عن قولها مع القدرة.

فمن أقر بالإسلام ثم امتنع عن الصلاة والزكاة والحج وأصر على الامتناع، فإن المرجئة لا يتجاسرون على الحكم عليه بالكفر لجواز أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، وفاتهم أن الذي يطمئن قلبه بالإيمان تكون شعائر الإسلام أحب إليه من كل فعل، هذا ويدل على بعد فكر المرجئة عن الحق.

الفصل التاسع

منزلة مذهب المرجئة عند السلف

مذهب المرجئة المتأخرين منهم مذهب رديء وخطير، يهون المعصية، ويدعو إلى الكسل والخمول، ولذا تجد السلف يحذرون منه كثيراً ويذمونه لما اشتمل عليه من فساد وإخمال لشعلة الإيمان في القلوب، وتمييع لمنزلة العمل في النفوس. وهذا المذهب ومذهب القدرية من المذاهب

[733] أخرجه البخاري51/1 ومسلم 210/1 ، واللفظ له.

[734] أخرجه البخاري 129/1 في مواضع من صحيحه، ومسلم154/1.

الرديئة.

ويذكر بعض العلماء روايات في ذمهم والتنفير من معتقداتهم، ومن تلك الروايات كما يلي:

1- "ألا وإن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا"[735]

1. "صنفان من أمتي لا يردان على الحوض ولا يدخلان الجنة؛ القدرية والمرجئة"[736]
2. ذكر سعيد بن جبير المرجئة فقال: "إنهم يهود أهل القبلة، أو صابئة هذه الأمة"
3. قال شريك، وذكر المرجئة فقال: "هم أخبث قوم، وحسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون علي الله".
4. قال سفيان الثوري: "تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري"
5. قال الزهري: "ما ابتدعت في الإسلام بدعة هي أضر على أهله من الإرجاء".
6. قال سعيد بن جبير لذر الهمداني: "ألا تستحي من رأي أنت أكبر منه".
7. قال أيوب السختياني: "أنا أكبر من دين المرجئة"[737]

ونكتفي بما تقدم ذكره عن هذه الطائفة التي ازداد شرها وانتشارها في عصرنا الحاضر لموافقة هذه الأفكار لما في نفوس كثير من الناس الذين يريدون التفلت عن القيام به، فوجدوا في مذاهب المرجئة سنداً قوياً وعذراً واضحاً في ذلك.

- أهم المراجع لهذه الفرقة

1- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / لأبي الحسن الأشعري.

2- الملل والنحل / للشهر ستاني.

3- الفرق بين الفرق/ للبغدادي.

4- الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم.

5- مواضع متفرقة من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي في الجزء (7) منها، وفي كتابه "الإيمان."

6- ظاهرة الإرجاء قي الفكر الإسلامي / د. سفر الحوالي.

7- طوائف المرجئة وموقف أهل السنة منهم / د. هادي طالبي.

---

[735] رواه الطبراني في الأوسط، وفيه بقية بن الوليد وهو لين، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ويزيد بن حصين لم أعرفه. 204/7

[736] رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الغروي وهو ثقة. 207/7

[737] انظر: لتلك النصوص في : مجموع الفتاوى 394/7-395

8- شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز.

الفصل الثاني عشر:

الجهمية

هل توجد آراء الجهمية في وقتنا الحاضر:

تمهيد:

لا تزال آراء هذه الطائفة في بعض المجتمعات ولا يزال الخصام بينهم وبين أهل الحق قائما على أشده، كما كان سابقا في الزمن القديم حتى وإن اختلفت في بعض الأحيان المسميات خصوصا بعد ظهور العصريين الجدد بمفاهيمهم الباطلة .

لقد وافق العصريون الجدد مفاهيم الجهمية من نواحي كثيرة منها الاكتفاء بمعرفة وجود الله عن العمل أو الاعتقاد بعدم وجود الجنة والنار الآن ، أو قولهم أن الله لا يوصف بوصف، أو ليس في جهة، وغيرها من الآراء.

وقد تعددت طرقهم في الانفلات من الالتزام بالعقيدة الصحيحة تحت شعارات براقة ، تحت شعار التجديد والتطوير وأحيانا في صورة تمجيد العقل أو التراث ، ولذا يجب التحذير والحذر من دعاواهم الباطلة .

المبحث الأول: التعريف بالجهمية وبمؤسسها

أ- تعريفها: الجهمة هي إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام ، ولها آراء اعتقادية خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي مفهوم صفات الله تعالى وأسمائه وغيرها من الاعتقادات.

ب- مؤسسها: ترجع نسبتها إلى الجهم بن صفوان الترمذي، وقد كانت للجهمية في فترة معينة قوة ومنعة في الدولة الإسلامية فعاثوا فسادا ثم أدال الله عليهم فلقو نفس مصير غيرهم.

ت- من هو الجهم بن صفوان: هو من أهل خراسان، ظهر في المائة الثانية من الهجرة سنة2ه، يكنى بأبي محرز وهو من الجبرية الخالصة، وهو أو ل من قال بخلق القرآن وبتعطيل الصفات، وهو مولى لبني راسب إحدى قائل الأزد قتل سنة 130ه وقيل سنة 132ه.

ث- صفاته: كان كثير الخصومات والمناظرات ولم يكن له بصر بعلم الحديث ولم يهتم به، اشتغل بعلم الكلام وقد شنع عليه العلماء مسلكه وفظحوا تظاهره بإقامة الدين حتى قال الاشعري:" كان ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[738]، وقد ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي أن قتله كان لأمر سياسي وليس ديني وأنه كان حريصا على إقامة الكتاب والسنة[739]، ولكن هذا القول مخالف لجمهور علماء الأمة، يقول الإمام احمد :"وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرا كثيرا.."[740].

المبحث الثاني: نشأة الجهمية

تأثرت الجهمية بشتى الاتجاهات الفكرية الباطلة في عقائدها، وقد انطلقت من بلدة ترمذ ثم انتشرت في بقية خراسان ثم انتشرت بين العامة والخاصة وظهرت لها مؤلفات ورجال مدافعون عنها .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ثلاث درجات للتجهم وهي :

1- الدرجة الأولى: الجهمية الغالية وهم ينفون أسماء الله وصفاته ، وإن سموه فيقولون على سبيل المجاز.

2- الدرجة الثانية: وهم المعتزلة ونحوهم ، ويقرون بأسماء الله في الجملة وينفون الصفات.

3- الدرجة الثالثة: قسم من الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، وقد اختلفوا إلى اتجاهات كما يلي:

أ- منهم من يقول بأسماء الله وصفاته في الجملة لكنمه يردون طائفة من الأسماء والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها.

ب- ومنهم من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث.

---

738 مقالات الإسلاميين 238/1

739 انظر: كتابه تاريخ الجهمية والمعتزلة ص 14-18

740 الرد على الزنادقة والجهمية ص 23

ت- ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضا في الجملة لكنه ينفى بعض ما ثبت بالنص والمعقول كابن كلاب، وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والحديث والتصوف وهؤلاء أقرب إلى السنة المحضة[741] .

المبحث الثالث:

بيان مصدر مقالة الجهمية

يذكر شيخ الإسلام أن أصل مقالة التعطيل ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين ، وقد قيل إن الجهم أخذ هذه المقالة عن الجعد بن درهم وأظهرها فنسبت إليه .

وقيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان ابن سمعان ، وقد أخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الاعصم ، وأخذها طالوت من لبيد الأعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ[742].

فقد كان التجسيم والتشبيه أظهر سمات اليهودية المخرفة التي ملئت بها التوراة من وصف الله بصفات البشر من الندم والحزن وعدم العلم بالمغيبات وغير ذلك من المعتقدات الباطلة .

المبحث الرابع :

ذكر أهم عقائد الجهمية إجمالا

للجهمية آراء اعتقادية كثيرة نذكر أبرزها إجمالا ثم نفصلها بإيجاز فيما يلي:

1- التوحيد عند الجهمية : هو إنكار جميع الأسماء والصفات ، ويجعلون أسماء الله من باب المجاز.
2- القول بالجبر في الإرجاء.
3- إنكار أمور الآخرة: كالصراط والميزان ورؤية الله وعذاب القبر والقول بفناء الجنة والنار.
4- نفي كلام الله والقول بخلق القرآن.
5- القول بأن الإيمان هو المعرفة .
6- نفي أن يكون الله في جهة العلو.

---

741 انظر: التسعينية لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى.

742 الفتوى الحموية الكبرى ص 24

7- القول بأن الله قريب بذاته وأنه مع كل أحد بذاته.

وقد استفاض العلماء في نقل آراء جهم والرد عليها وإبطالها كقوله إن علم الله محدث ومنه نفيه أن يكون الله شيء وغيرها[743] .

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ولذا سوف نقتصر على إيضاح أهم الجوانب التالية :

أولا: إنكار الجهمية لجميع للأسماء والصفات :

تنكر الجهمية جميع الأسماء والصفات بتأويلات باطلة وحجج واهية وفيما يلي أهم شبههم :

أ- أهم شبهات الجهمية في نفي الصفات :

1- قولهم إن إثبات الصفات يقتضي أن يكون الله جسما لأن الصفات لا تقوم الا بالأجسام لأنها أعراض والأعراض لا تقوم بنفسها.

2- زعمهم إرادة تنزيه الله تعالى .

3- أن إثبات الصفات التي وردت في الكتاب والسنة تقتضي مشابهة الله بخلقه فتنفى كل صفة توهم التشبيه.

الرد عليهم:

يمكن إيجاز الرد عليم في النقاط التالية :

- من المعلوم أن الله وصف نفسه ووصفه رسوله بصفات نعرف معانيها ولا ندرك كيفياتها، واعتقاد السلف فيها الإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف .
- أن صفات الله معلومة المعاني مجهول الكيفيات والسؤال عنها بدعة ولم يتنطع السلف تنطع المشبهة والمعطلة، ولم يسأل السلف عن كيفيتها لأنهم يعلمون أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فلا يصفون ذاتا غير مدركة الماهية بصفات تكيفها، لأنه قول على الله بلا

[743] وقد رد عليهم الإمام احمد في كتابه الرد على الزنادقة ص 25 فيقول:"وقلنا: هو شيء، فقالوا : هو شيء لا كالأشياء ، فقلنا : إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية.

علم، ولأنهم يعرفون أن الاشتراك في التسمية لا يوجب الاشتراك والمماثلة في الذات فرأس الجمل يختلف عن رأس الذرة وهكذا .

- أن الجهم وأتباعه عارضوا الكتاب والسنة وقدموا آرائهم عليها .
- أن دعواهم التعطيل تنزيه لله قول باطل إذ إثبات الصفات في كمالها المطلق كمال مطلق لا يوصف به غيره تعالى، وأما سلب الصفات فنقص، تنتج أنه لا معبود وإنما معدوم .
- أن كلمة الجسمية لله نفيا وإثباتا هي من الألفاظ المخترعة التي لم ترد في الشرع ، والصحيح أنه لا يطلق على الله ما ثبت في الشرع إطلاقه عليه ، ولفظ الجسم لفظ عام يحتاج إلى بيان وتوضيح فيجب على القائل تفصيل ما يريد .
- أن هناك من ينفي الجسمية من الجهمية لينفي ما أثبته الله لنفسه ، ومنهم من يثبت الجسمية من المشبهة ليثبت ما نفاه الله عن نفسه.
- أن لمعنى الجسمية وغيره من المعاني المجملة كثير من المعاني ، فيستفصل عن قصد القائل ، وينفى كل ما يلحق النقص به ﷻ ، وإثبات المعنى الصحيح ، إذا كان قصد القائل من الجسمية أنه ما يتميز به عن غيره، موصوف بصفات الكمال جميعا، وأنه فوق عباده مستويا على عرشه، فيقبل هذا المعنى ، وأما إذا كان المقصود به تعطيل صفاته أو غير من المعاني الباطلة فهذا مردود[744] .

ثانيا : قول الجهمية بالإرجاء والجبر:

يظهر الارجاء عند الجهمية في تلك الآراء التي جاء بها جهم ومن أهمها عدم اعتبار العمل من الإيمان ، والإيمان في نظرهم هو مجرد الاقرار بالقلب ولا قيمة للعمل ولهذا سارع أصحاب الفسق والاستهتار بالقيم إلى التمسك بهذا المذهب لأنه يساير رغباتهم ويحقق نزواتهم .

فالإيمان عندهم هو المعرفة فقط ولا يزيد ولا ينقص وأن العمل لا صلة له بالإيمان وأن الذنوب لا تعلق لها بالاعتقاد، وإنما هي تابعة للأعمال، وبالتالي فلا أثر لها على الإيمان، فإيمان أي واحد منهم كإيمان جبريل ومُحَمَّد عليهما السلام.

[744] انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص 175-177 ، اختصار الموصلي.

وأما الجبر فهو إسناد ما يفعله الشخص من أعمال إلى لله عز وجل ، وأن العبدل لا قدرة له البتة على الفعل وإنما هو مجبور على فعله فحركته كحركة النباتات والجمادات[745] .

فالجهمية قرروا أن العبد مسلوب الإرادة والاختيار لأفعاله، ومثله مثل حركة المرتعد وهبوب الريح وحركة النائم وحركة الأشجار وتمايلها بفعل الرياح.

ثم زعموا أن الله هو الذي جبر الإنسان على فعله رغما عنه، ومع ذلك فالله يعذبه بنار جهنم ، مع أن الفعل هو نفسه فعل الله، وقالوا: إن هذا ليس بظلم، لأن الإنسان ملك لله لأن الظلم في مفهومهم هو المحال لذاته غير المتصور وقوعه[746].

وهذا لمفهوم لا شك أنه مخالف لما في النصوص الشريفة في الكتاب والسنة من أن الله يجازي الإنسان على فعله بإرادته ، فقال: {ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون }سوةر البقرة آية 281 وغير ذلك من الآيات .

ثالثا: إنكار الجهمية للصراط:

الصراط من الأمور الغيبية التي أعدها الله لعباده يوم القيامة وقد ثبت في نصوص الشرع ثبوتا يقينيا فقال تعالى: {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا}سورة مريم آية 71 وغير ذلك من النصوص.

والصراط هو : جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف، يعبر الخلائق بقدر أعمالهم إلى الجنة، فمنهم من يجتازه ومنهم من يقع، قال ﷺ في الحديث : ويضرب جسر على جهنم .. فأكون أول من يجيز."[747] .

ومن أوصاف الصراط أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة وعليه كلاليب تتخطف الناس حسب أعمالهم فمنهم الناجي ومنهم الهالك .

---

[745] انر: شرح الطحاوية ص 592

[746] لأن الظلم عندهم عبارو عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة ، والظلم كذلك لا يكون إلا من مأمور من غيره منهية وإلا ليس كذلك " شرح الطحاوية ص 449

[747] أخرجه البخاري 445/11 الفتح، وقد بوب البخاري بقوله:"باب الصراط جسر جهنم"

وقد أنكرت الجهمية الصراط ، واعتمدوا في نفيهم على شبهات باطلة ، معتمدين على عقولهم في استبعاده ، ويكفي في الرد عليهم بيان ردهم لنصوص الشرع التي تثبت الصراط ، وهذا من أكبر علامات الضلال.

رابعا : إنكار الجهمية للميزان :

الميزان من الأمور الغيبية التي نصت عليها النصوص ، وقد أنكرته الجهمية .

ويراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي: هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها، يظهره الله يوم القيامة لوزن مقادير أعمال الخلق.

وقد أخبر الله عنه في القران الكريم إخبارا مجملا وجاءت السنة مبينة له وشارحة، وقد أجمع المسلمون على القول به واعتقاده. وقد ثبت أن العمل يوزن وكذلك العامل وتوزن صحائف الأعمال.

قال تعالى:{ونضع الموازين القسط ليوم القيامة}سورة الأنبياء آية 47 ويقول النبي ﷺ :"كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [748]

وقد أنكرته الجهمية بلا أي دليل سوى محض استبعاد عقولهم معرضين عن النصوص الثابتة في ذلك.

خامسا: قول الجهمية بفناء الجنة والنار:

الجنة والنار أعدهما الله لتكون الجنة دارا لأوليائه والنار دارا لأعدائه، خلقهما الله وكتب لهما البقاء الأبدي، وهو الثابت في الشريعة الإسلامية .

أما الجهمية فقد قالوا بفناء الجنة والنار[749] وذلك اعتمادا على أصلهم الفاسد وهو الاعتقاد بامتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث والذي استدلوا به على حدوث الأجسام وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى جهم ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل .

وقد زعم أن الجنة والنار ستفنى بحجة أن ما لانهاية له من الأمور الحادثة بعد أن لم تكن مستحيل حسب زعمه أن تبقى إلى ما لا نهاية .

---

[748] أخرجه البخاري 537/13 ومسلم 548/5

[749] انظر: نونية ابن القيم 393/2

ثم زعم أن الرب يمتنع عليه إيجاد حوادث لا أول لها مخافة تعدد الآلهة إذا قلنا بوجودها ثم قاس هذا على نهاية الحوادث .فكما أنه يستحيل عنده وجود حوادث لا أول لها يمتنع وجود حوادث لا آخر لها ، وظن أن هذا تنزيه لله وهو في الواقع إساءة ظن بالله وبقدرته.

وقد أنكر علماء السنة على الجهم وأتباعه غاية الإنكار وكفروه وبينوا أن قوله مخالف لنصوص الشرع التي تثبت أن الله يعلم ما أراد بقاءه وما أراد عليه الفناء، وقد أراد الله بقاء الجنة والنار ، والقول بضد ذلك تكذيب لنصوص الشرع قال تعالى :{ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ}سورة هود آية 108 أي غير منقطع إلا إذا شاء وقد أخبر أنه لم يشأ أن ينقطع أبدا فيجب تصديق ذلك { ومن أصدق من الله قيلا} وقال تعالى عن أهل النار : { وما هم منها بمخرجين}سورة الحجر آية 48 وقال :{ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى }سورة الدخان آية 56 وقالعن أصحاب النار{ هم فيها خالدون}.

وفي الحديث:"أن أهل الجنة يصحّو فلا يسقموا أبدا ويشبوا فلا يهرموا أيبدا ويحيوا فلا يموتوا أبدا، وورد أيضا قول النبي ﷺ " يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت"[750] وورد أن الموت يذبح بين الجنة والنار، والمذبوح هنا هو الموت نفسه وليس ملك الموت .

وقد نازع الجهمية أيضا في وجود الجنة والنار الآن حيث نفوا ذلك وأصروا على عدم وجودهما واستدلوا بالأحاديث التي تنص على غرس شجر في الجنة جزاء بعض الأعمال الصالحة ونسوا أن البيت الجميل المتكامل البناء والحسن لا يمنع أن يزاد فيه ما يزيده حسنا.

وقد أخبر الله في مواضع كثيرة على وجودهما الآن، فقال عن الجنة {أعدتللمتقين} سورة آل عمران ص133. وقال عن النار {أعدتللكافرين} سورة آل عمران آية 131 وغيرها من النصوص.

المبحث الخمس:

الحكم على الجهمية

يتورع السلف عن تكفير أي جماعة أو شخص أو إطلاق التكفير، ولا يتسرعون فيه ولهم ضوابط قوية ودرجات في التكفير، ومن لم يفطن لها سيقع في الخطأ الشرعي أو الخطأ في مفهوم السلف للتكفير،

[750] أخرجه البخاري 428/8 ومسلم 1282/4

ولهذا يقع كثير من العلماء في الخطأ حينما يحكون مذاهب السلف وهم على غير دراية بمفاهيمهم ومصطلحاتهم.

وقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة ، ومن هؤلاء الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدرامي، فقد بوّب بابا في كتابه الرد على الجهمي[751]ة سماه باب الاحتجاج في إكفار الجهمية ، وباب آخر سماه باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم، وقد أورد تحت هذين البابين أدلة كثيرة تبرهن على كفر الجهمية حاصلها ما يلي:

1- بدلالة القرآن، حيث أخبر عن قريش أنهم قالوا عن القرآن :{ إن هذا إلا قول البشر}سورة المدثر آية 25. أي مخلوق وهو نفس قول الجهم .
2- من الأثر ما ورد عن علي وابن عباس في قتل الزنادقة لقول الرسول ﷺ : "من بدل دينه فاقلتوه"[752] والجهمية أفحش كفرا منهم .
3- كفرهم الدارمي بقولهم بخلق القران ونفي كلام الله وعدم إثباتهم الصفات كالوجه والسمع والبصر والعلم وبقولهم لا يدرون أين الله .

وقد أورد الدارمي أسماء الذين كفروا الجهمية حيث ذكر منهم سلام بن أبي مطيع وحماد بن زيد ويزيد بن هارون وابن المبارك ووكيع وحماد بن أبي سليمان ويحي بن يحي وأبو توبة الربيع ابن نافع ومالك بن أنس.

الفصل الثالث عشر:

المعتزلة

المعتزلة اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة 105هـ وسنة 110هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال.

وهذه الفرقة قد تفرعت عن الجهمية وانتشرت في كثير من بلدان المسلمين، فشيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وشيعة الأقطار الهندية، وشيعة فارس، ومثلهم بعض فرق الزيدية في اليمن فهم ليسوا قلة فضلا عن أن يقال أنهم انقرضوا وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين[753].

---

[751] انظر: كتاب الرد على الجهمية ص 106و117

[752] أخرجه البخاري149/6 وأبو دارود 520/4 والترمذي59/4 والنسائي104/7 وابن ماجه848/2 ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

وللعماء أقوال في نشأة المعتزلة نوجزها فيما يلي:

أ- يرى بعضهم أن أصل الاعتزال كان في زمن الخليفة الراشد علي ﷺ، حينما اعتزل السياسة هو أصحابه وتركوا الخوض في الخلافات التي نشأت بين الصحابة، وهذا القول باطل لا صحة له[754].

ب- يرى كثير من العلماء أن بدأ الاعتزال هو ما وقع بين الحسن البصري وواصل بن عطاء من خلاف في حكم أهل الذنوب، حيث بدأ من البصرة مسكن الحسن البصري ثم انتشر في الكوفة ومنه إلى أقطار الأرض.

ومما يذكر للمعتزل أنهم كانوا شوكة في حلوق الزنادقة، وقد قاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام، ولكنهم لم يحسنوا الاعتقاد في اعتقادهم بخلق القران وغيره من المبادي ، وقد انقسوا إلى اثنتين وعشرين فرقة ذكرها علماء الفرق[755].

ويجمعهم الاعتقاد على الأصول الخمسة وهي : التوحيد على طريقة الجهمية، والعدل على طريقة القدرية، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريقة الخوارج.

المبحث الثاني:

أسماء المعتزلة وسبب تلك التسميات

لم يتفق العماء على تسمية المعتزلة باسم واحد ومن أقوال العماء في اسمائهم ما يلي:

1- المعتزلة : نسب الاعتزال إلى زعيم لهم واسمه واصل بن عطاء عندمنا اعتزل حلقة الحسن البصري لما سُئل الحسن عن مرتكب الذنب فبادر واصل بالإجابة بقوله: بأنه في منزلة بين المنزلتين وأنه ملخد في التار في الآخرة، واعتزل حلقة الحسن فسموا معتزلة على سبيل الذم لهم[756].

---

753 انظر: تاريخ الجهمية ص 56

754 انظر: أهم الفرق الإسلامية ، مُحَمَّد طاهر النيفر ص 33

755 انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري والملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق للبغدادي والتنبيه والرد للملطي والتبصير في أمور الدين للاسفراييني والفصل لابن حزم.

756 انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منهم ص 14-21

2- الجهمية : لموافقتهم الجهمية في مسائل كثيرة ، ولأنهم أحيوا آراء الجهمية فنفخوا في رماد الجهمية وصيروها جمرا من جديد[757].

3- القدرية: لإنكارهم القدر وإسنادهم فعل العبد إلى قدرته، وهم لا يحبون هذا الاسم ويطلقونه على أهل السنة[758].

4- الثنوية والمجوسية: لقولهم أن الخير من الله والشر من العبد وهو يشبه قول المجوس الذين يقرون بإلهين للخير والشر، وهم لا يحبون هذا الاسم.

5- الوعيدية : لقولهم أن الله لا يخلف وعده ووعيده ويجب على الله عقاب المذنب إذا لم يتب.

6- المعطلة: وهو اسم للجهمية ثم أُطلق على المعتزلة لأنهم عطلوا الصفات ونفوها ، وهم لا يحبون تسميتهم بالأسماء السابقة.

أما أسمائهم التي يحبونها فهي :

1- المعتزلة ، وقد سبق أنه ذم إلا أن المعتزلة أخذوا يدللون على مدحه وأنهم هجروا الفتن واعتزلوها.

2- أهل التوحيد والعدل أو العدلية: والعدل عندهم نفي القدر عن الله ، والتوحيد نفي الصفات .

3- أهل الحق: لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق.

4- الفرقة الناجية : لينطبق عليهم ما ورد في فضائلها.

5- المنزهون لله : لزعمهم ان نفي الصفات تنزيه لله، وأطلقوا على أهل السنة أسماء مثل القدرية والجبرية والمشبهة والحشوية والنابتة.

سلطان المعتزلة :

قويت شوكة المعتزلة حتى استطاعوا جلب الخليفة المأمون إلى عقائدهم على يد أحمد بن أبي دؤاد ، ولقي المسلمون عنتا شديدا جراء ذلك ووقعت في عهده فتنة خلق القرآن فأوذي كثير من العلماء على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل، إلى أن جاء المتوكل فأخمد هذه الفتنة[759] .

---

[757] انظر: منهاج السنة 344/1

[758] انظر: تأويل مختلف الحديث ص 98

الإتفاق بين المعتزلة والقدرية:

اتفقت مفاهيم المتزلة مع القدرية في مسألة القدر فذهبوا إلى أن الله غير خالق لأفعال الناس بل الناس هم من يخلقون أفعال أنفسهم ولا قدرة لله ولا مشيئة ولا قضاء وهذا تكذيب لله ورسوله .

فالله يقول: { والله خلقكم وما تعملون} ويقول عن نفاذ مشيئته:{وما تشاءون إلا أن يشاء الله} فمشيئة الإنسان ليست مستقلة عن مشيئة الله والعبد مأمور بالامتثال وغير مسؤول عن معرفة ما في القدر من الغيب، وإثبات علم الله لا ينافي الأمر بالامتثال، وعلمه بالعصاة لا ينافي خلقه لهم وأمرهم بطاعته،كعلمه بحال إبليس.

المبحث الثالث:

مشاهير المعتزلة القدرية والجهمية

ظهر كثير من الرجال كان لهم دور بارز في نشر الاعتزال حتى وصلوا إلى السلطة واستجلاب الخلفاء وغير ذلك ومن أبرزهم ما يلي:

1- بشر المريسي
2- ثور بن يزيد الحمصي
3- الحسن بن ذكوان
4- زكريا بن إسحاق
5- سلام بن عجلان
6- سيف بن سليمان النمكي
7- شريك بن أبي نكير
8- عبد الله بن عمرو

[759] انظر: أهم الفرق الإسلامية للنيفر ص 34

9- عبد الله بن أبي نجيح

10- عبد الرحمن بن إسحاق المدني

11- ثور بن يزيد المدني

12- حسان بن عطية المحاربي

13- داود بن الحصين

14- صالح بن كيسان

15- عبد الله بن أبي لبيد

16- عبد الوارث بن سعيد الثوري

قال السيوطي :"وهؤلاء رموا بالقدر وكلهم ممن روى لهم الشيخان أو أحدهما"[760]

بالإضافة إلى قولهم في القدر فقد حدث لهم خبط في أهم مسألة وهي مسألة تعطيل صفات الله ، حيث تقرر في مذهبهم نفي الصفات لله واستبدلوها بصفا ت لا تليق بالله وتؤدي إلى إنكار وجود الله ملؤها بالتناقضات والمستحيلات التي لا توجد خارج الذهن[761].

المبحث الرابع:

ذكر أهم عقائد المعتزلة إجمالا

[760] انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص 76-77

ومن الواضحج أن البخاري ومسلما وغيرهما من علماء الحدجيثكانوا يروون عن أناس عرفوا بميلهم عن مذهب السلف وذلك لدهة أمور أهمها:

1- ثقة أولئك وصدفهم في روايتهم.

2- يروون عنهم ما لا يقوي بدعتهم.

3- حرصا على العلم وتدوينه.

4- بسبب أن المسائل التي خالفوا فيها مما يتسامح في الخلاف فيه إلى حد مّا لغموضها وقوة الشبهة التي دفعتهم إلى ذلك ، إلى غير ذلك من الأمور.

ثم إن الأشخاص الذين يررون لهم البخلاري ومسلم لم يكونوا ممن يتهمون بنحاربة السلامو الكيد له ، وإنما كانت أخطاء ظنا منهم أنهم فيها على الصواب وليس كل من اجتهد في شيء أصاب، وأخذ العلماء عن هؤلاء إنما هو دليل على ذم التعصب والتسرع في تكقفير المخالفين وإخراجهن عن الملة وإخراجهن من الملة ، ودليل آخر على وجوب الانصاف ، وأن الحق صالة المؤمن أينما وجده أخذه بغض النظر عن حامله.

[761] وقد ذكر جملة مقالاتهم الأشعري في مقالات الإسلاميين 235/1

للمعتزلة آراء وأفكار ومعتقدات كثيرة، ويمكن عرض أهم آرائها بإيجاز فيما يلي:

1- اختلفوا في المكان لله : فذهب بعضهم إلى أن الله في كل مكان بتدبيره ، وهو قول أبي الهذيل والجعفرين والإسكافي ومُحَمَّد بن عبد الوهاب الجبائي.

وذهب آخرون إلى أن الله لا في مكان بل هو لم يزل على ما هو عليه ، وهو قول أبي زفر والفوطي.

2- ذهبوا إلى أن الاستواء بمعنى الاستيلاء في قوله تعالى :{ الرحمن على العرش استوى}

3- أجمعوا على أن الله لا يرى بالأبصار.

4- اختلفوا في صفة الكلام لله : فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله ، وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك ، ولهم اختلافات دقيقة في مسائل أخرى لا يتسع المقام لذكرها[762].

المبحث الخامس:

الأصول الخمسة للمعتزلة والرد عليها

للمعتزلة خمسة أصول يقوم عليها أسا معتقداتهم نذكرها إجمالا ثم نتبعها بالفصيل فيما يلي: الأصول الاخمسة إجمالا هي:

1- التوحيد.

2- العدل.

3- الوعد والوعيد.

4- القول بالمنزلة بين المنزلتين.

5- الأمر بالمعروف والنهية عن المنكر .

ولا يسمى الشخص معتزليا حتى يحقق هذه الأصول الخمسة، وتفصيلها فيما يلي:

1- **الأصل الأول: التوحيد** :

[762] انظر: مقالات الإسلاميين ، الجزء الأول، والفرق بينالفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني ، الجزء الأول.

ويقصدون به البحث حول صفات الله وما يجب له وما لا يجب، فقد أنكر المعتزلة الصفات لزعمهم أن إثباتها يستلزم تعدد القدماء ولذلك أرجعوا الصفات إلى الذات، فيقولون عالم بذاته قادر بذاته .

الرد على هذا الأصل:

من المعلوم أن السلف يثبتون صفات الله كما جاءت في الكتاب والسنة دون تحريف أو تأويل، مع معرفتهم بمعانيها وتوقفهم في بيان كيفياتها، لأن الكلام في صفة شيء هو فرع عن تصور ذاته، ولا أحد يعلم ذات الله تعالى ولا كيفياتها على ضوء ما قال تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} سورة الشورى آية 11، وقول النبي ﷺ : " أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا بصيرا قريبا"[763] وغير ذلك من النصوص، فصفاه هز وجل قديمة بذاته زائدة على الذات على التفصيل الصحيح عند السلف[764].

2- الأصل الثاني: العدل:

يعرفه القاضي عبدالجبار المعتزلي بقوله : "هو كلام يرجع إلى أفعال القديم وما يجوز عليه ما لا يجوز "[765] .

فهم يريدون بالعدل ما يتعلق بأفعال الله، حيث نفوا عن الله صفات وأثبتوا له أخرى من باب نفي القبح عنه ، ومن هذا الباب نفوا أعمال العباد أن تكون من فعل الله ، وقرروا أن العباد خالقون لأفعالهم وأن الله هو الذي أعطى العباد هذه القدرة وهو عالم بهم ويعتقدون أن " من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه"[766] .

وقد استدلوا على ذلك بعدة شبه تؤيد ما ذهبوا إليه بزعهم، من أبرزها ما يلي:

أ- أن إثبات خلق الله لأفعال العباد فيه نسبة الظلم إليه تعالى وهو منزه عن ذلك.

---

[763] فتح الباري 372/13

[764] وهذا من الألفاظ المجملة عند السلف، فلا يطلقون على الصفات أنها غير الله تعالى ولا انها ليست غير الله تعالى، فإن أريد أن هناك ذاتا بلا صفات فهو غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة عللاى الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة فهذا حق، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، فهو نمحال إلا في التصور الذهني، والله تعالى بصفاته حقيقة واحدة لاتجزؤ فيها. انظر: شرح لالطحاوية ص 71

[765] انظر: شرح الأصول الخمسة ص 301

[766] المغني في أبواب التوحيد والعدل 3/8

ب- استدلوا بآيات كثيرة من القرآن وأولوها حسب أهوائهم منها قوله تعالى: {ما ترى في خلق الرحمن من تفوت}سورة الملك آية3، فسرها القاضي عبد الجبار بأن معنى التفاوت من جهة الحكمة ، ولذا لا يجوز عندهم أن تكون أفعال العباد من جهة الله لاشتمالها على التفاوت[767].

الرد عليهم:

مما لا شك فيه أن أفعال الله كلها حسنة لا قبيح فيها، إلا أن المعتزلة ارتكبوا مغالطات واضحة في فهم النصوص وذلك كما يلي:

أ- أن الظلم الذي نفاه الله عن نفسه هو وضع الشيء في غير موضعه أو وضع سيئات شخص على أخر، أو أن ينقص من حسنات المحسن، وهذا ظلم بلا شك والله منزه عنه.

ب- أن الله أخبر أنه خلق كل الأشياء وكل الأفعال، وأنها لا تخرج عن خلق الله وإرادته لها، قال تعالي: (والله خالق كل شيء} سورة الرعد آية16 ، وقال تعالى: (والله خلقكم وما تعملون}سورة الصافات آية96 ، وهؤلاء يقولون: الإنسان هو الذي يخلق فعله .

ولم ينظروا إلى أن الله عز وجل هو الخالق للعباد وأعمالهمولا ينسب إلى الله تعالى إلا باعتبار أقدار الله تعالى للعبد وشمول مشيئة لها لا أن الله هو الفاعل الحقيقي[768].

ت- وأما بالنسبة لاستدلالهم بالآية الكريمة: (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت}سورة الملك آية3، فقد فسروا التفاوت هنا بالحكمة، بينما الصحيح أن التفاوت المنفي هنا هو التفاوت في الخلقة، أي لا يوجد في خلق السموات والأرض من تفاوت، أي من عيب أو خلل.

ويلتحق بمسألة العدل مسائل من أهمها:

أولا: الصلاح والصلح.

فالمعتزلة تؤكد أن الله تعالى لا يفعل بعبادة إلا الصلاح وما فيه نفعهم وجوبا عليه جلا وعلا، لأنه إذا لم يفعل ذلك كان ظلما لهم ونقصا مما فيه صلاحهم، بل وخلاف الحكمة في إيجاده لهم .

---

[767] انظر: شرح الأصول الخمسة ص 355 وهناك آيات أخرى استدل بها القاضي عبد الجبار.

[768] انظر: شرح الطحاوية ص94

- الرد عليهم:

1- أن الله أمر وأرشد عبادة إلى أن يفعلوا كل ما فيه صلاحهم، وأن مرد ذلك يعود إليهم هم، وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع، وقد كتب الله على نفسه الرحمة تفضلا منه، وحرم الظلم عدلا منه.

- أن الله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم، ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين.
- أن العباد لا يوجبون عليه شيئا وإنما هو الذي أوجب على نفسه تفضلا منه وكرما، لا أنه يجب عليه فعل الصلاح والأصلح بمفهوم المعتزلة الذي فيه إقامة الحجة عليه إن لم يفعل بهم ذلك، في طلب الكافر دخول الجنة أو رفع منزلته في الجنة

ثانيا: مسألة اللطف من الله تعالى.

مسألة اللطف من الله تعالى هي من الأمور الثابتة، لكن ليس على سبيل الإيجاب على الله تعالى كما ترى المعتزلة.

بل اللطف من الله بمحض تفضله جل وعلا وكرمه ومنه عليه بالتوفيق إلى فعل الخيرات وترك المحذورات، ولا يجوز القول بوجوب فعل اللطف على الله تعالى، قال تعالى: (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا} سورة النساء آية 83

فقد لطف الله بعباده إذ لم يتبعوا الشيطان جملة، حيث بصرهم بعواقب طاعة الشياطين وبين لهم أضرار ذلك، ثم لطف بهم وقوى عزيمتهم على عصيان الشيطان تفضلا منه تعالى وليس بإيجاب أحد عليه.

الأصل الثالث: الوعد والوعيد :

أولا: الوعد : عرفه القاضي عبد الجبار المعتزلي بقوله : "كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا وبين ألا يكون كذلك"[769] .

ومذهب المعتزلة أن الله يجب عليه أن يفعل ما وعد به المطيعين وتوعد به العصاة لا محالة وإنما يعطى العبد ذلك استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله ولا يجوز عليه الخلف والكذب[770].

أدلتهم على هذا الأصل:

---

[769] شرح الأصول الخمسة ص 134

[770] انظر: شرح الأصول الخمسةص 134-135

استدلوا بقوله تعالى: {ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله} سورة النساء آية100، ففسروا{فقد وقع أجره على الله} أي وجب ثوابه على الله استحقاقا.

واستدلوا بأدلة عقلية منها أن الله مادام كلف عبده بالأعمال الشاقة فلا بد أن يكون لها مقابل من الأجر وإلا لكان ذلك ظلما والله منزه عن الظلم.

الرد عليهم:

بنى المعتزلة استدلالاتهم على مسألة وجوب دخول الجنة بالعمل وهي من المسائل الهامة ، فقد ورد أنه لا يدخل أحد الجنة بعمله لقول النبي صلى الله عليه ويلم :" لا يدخل الجنة أحد بعمله"وورد في القران أن العمل سبب لدخول الجنة فقال تعالى :{ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} وبين الآيات التي تفيد تفضل الله بإدخال الخلق الجنة فقال تعالى: {الذي أحلنا دار المقامة من فضله} .

فهل دخول الجنة استحاقا قبل العمل كما هو رأي المعتزلة أم بفضل الله مضافا إليه العمل؟ .

والحق أن دخول الجنة بفضل الله أولا وأخيرا، والله أوجب على نفسه أنه لا يظلم عمل عامل، فجعل العمل سبب لدخول الجنة والأعمال نفسها إنما هي تفضل من الله .

فتبين خطأ استدلال المعتزلة، والله متفضل على عبيده ولا يستطيعون شكر نعمة من نعمه ومع ذلك فالعبد يعطى بما وُعد به تفضلا منه وكرما – ﷻ– .

ثانيا : الوعيد : عرفه القاضي عبد الجبار بأن الله " يجب فعل ما وعد به وأعد عليه لا محالة ولا يجوز عليه الخلف والكذب"

والمقصود بالوعيد هو ما يتعلق بأحكام المذنبين من عصاة المؤمنين إذا ماتوا من غير توبة ، وهم في رأي المعتزلة مستحقون للنار خالدين فيها إلا أن عقابهم يكون أخف من عقاب الكفار.

شبههم:

استدل المعتزلة على وجوب إنفاذ الوعد والوعيد من القرآن الكريم بكل آية فيها عقاب للعصاة بالنار والخلود فيها، وهي آيات كثيرة منها قوله تعالى :{ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين} وقوله تعالى:{ إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون} وغيرها من الآيات .

الرد عليهم :

في الواقع هذه المسألة من المسائل التي طال فيها الكلام بين المعتزلة وبين أهل السنة ويمكن إيجاز النتيجة فيما يلي:

أن قول استدلال المعتزلة على ما استدلوا به خطأ في فهم النصوص فالآيات لا تدل على خلود أصحاب المعاصي من المؤمنين، لأن الله قد يعفوا عنهم ابتداء، وقد يعذبهم بقدر ذنوبهم، ثم يخرجهم بتوحيدهم ولا يخلدون في النار إلاَّ من مات على الشرك الذي لا يغفر لصاحبه .

ثم إن إخلاف الوعيد من فعل الكرام وهي صفة مدح بخلاف خلف الوعد فإنها صفة ذم والله منزه عنها ، وهذا هو مذهب السلف.

أما المعتزلة فلا ترى الشفاعة لأحد في الآخرة إلا للمؤمنين فقط دون الفساق من أهل القبلة فلا شفاعة لأهل الكبائر لأنه يؤدي إلى خلف الوعيد .

ولا شك أن الحق جانب المعتزلة في نفي الشفاعة، فالقول بها ثابت في الكتاب والسنة والذي جرّ المعتزلة إلى القول بهذا هو أن من عقائدهم أن السيئات يذهبن الحسنات فالسيئة عندهم تحبط جميع العمل ، ومذهب السلف ألّا شيء يبطل الحسنات كلها إلا الردة عن الإسلام والرجوع إلى الكفر .

2- **الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:**

فقد أجمعت المعتزلة على القول بالمنزلة بين المنزلتين واعتبروها أصلا من الأصول الثابتة ، وقد تلقب هذه المسألة بمسألة الأسماء والاحكام كما ذكر القاضي عبدالجبار.

ومعنى هذا الأصل كما ذكر القاضي عبدالجبار أنه " العلم بأن لصاحب الكبيرة اسما بين الاسمين وحكما بين الحكمين على ما يجيء من بعد" [771].

ثم شرحه فقال: " أي لا يكون اسمعه الكافر ولا اسمه المؤمن وإنما يسمى فاسقا "[772]

ويحكمون بخلوده في النار في الآخرة فاختلف اسمه وحكمه فاستحق أن يكون في منزلة بين المنزلتين.

[771] شرح الأصول الخمسة ص137

[772] شرح الأصول الخمسة ص 697

والواقع أن العاصي غير خارج من الملة بفسقه بل هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، يقول الطحاوي : " ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله"[773].

وأما استدلالهم بالآيات والأحاديث التي تذكر كفر من عمل بعض الأعمال ويحكمون بأنه كافر كقول النبي ﷺ " سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر"[774] هذا خلاف معتقد أهل السنة ، فمن المعلوم أن السارق والزاني وغيرهما لا يقتل بل يحدّ ولو كان كافرا لحل قتله وأخذ ماله، فهو كفر دون كفر، ولا يخرج من الملة[775].

3- الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد بين القاضي عبد الجبار حقيقة هذا الأصل فذكر أن المعروف هو كل فعل عرف فاعله حسنه، أو دل عليه، والمنكر كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه.

ومعنى تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم أن يتضح أمرهما عند الشخص بأن يرى حسن المعروف ويدلل عليه ، ويرى قبح المنكر ويستطيع أن يدلل عليه ، وهذا بخلاف ما لو وقع من الله – افتراضا فعل القبيح، فإنه لا يستطيع أن يدلل عليه ولهذا لا يوصف بالمنكر.

والأمر بالمعروف النهي عن المنكر عندهم من فروض الكفايات، وقد استدلوا على وجوبها بالكتاب والسنة والإجماع ، كقوله تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر} وغيرها من الأدلة.

إلا أنه وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فيما يلي:

1- طريقة تغيير المنكر .
2- أوجبوا السلاح على السلطان الجائر .
3- حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم من الكفار أو من أصحاب المعاصي من أهل القبلة .

وعندهم أن تغيير المنكر يبدأ بالحسنى ثم باللسان ثم باليد ثم بالسيف وهم في ذلك مخالفون للسنة، فقد ورد أن تغيير المنكر يبدأ بفعل اليد لا بالسيف إذا لم يترب عليه مفاسد أو فتح باب للفتنة، فاذا لم

---

[773] شرح العقيدة الطحاوية ص 295
[774] متفق عليه ، البخاري 110/1 ومسلم 241/2
[775] انظر: شرح الطحاوية ص 301-302

يتمكن يبدأ الانتقال إلى اللسان فإن عجز بأن كان الشر هو الغالب فيبدأ بالإنكار في قلبه وتمني زواله ولا مكان للسيف هنا ، وأما الخروج على السلطان الجائر فهذا مما لا يوجب الخروج عليه إذا كان جائرا او فاسقا لما فيه من سفك للدماء وتفريق كلمة الأمة.

واما حمل السلاح في وجوه المخالفين من أهل القبلة فلا دليل لهم على فعل ذلك، ولا يجوز أن يستحل دم المسلم إلا بما حدده الشرع وصاحب الكبيرة ليبس بكافر فلا يستحل دمه.

الفصل الرابع عشر:

الأشاعرة أو السبعية[776]

المبحث الأول: ظهور الأشاعرة

تنسب إلى أبي الحسن الأشعري حينما ظهر بالبصرة وقد كان أول أمره على مذهب المعتزلة ثم تركه واستقل عنه ، ثم انتشر مذهبه في البلدان الإسلامية مع معرفة بعضهم بمذهبه الصحيح الذي استقر عليه أخيرا وبعضهم على جهل تام بذلك .

وهذه المرحلة هي المرحلة الثانية من المراحل التي مربها لأشعري ولم يدم فيها إذ رجع إلى مذهب السلف في مرحلته الثالثة ، وفيما يلي نبذة موجزة عنه :

أولا : التعريف بأبي الحسن الأشعري ونشأته:

هو علي بن إسماعيل الأشعري ينسب إلى أبي موسى الأشعري ، وهو أحد علماء القرن الثالث، ولد في البصرة سنة 250هـ وتوفي سنة 330هـ على أرجح الأقوال.

تعمق في مذهب المعتزلة أولا وتتلمذ على أبي علي الجبائي، ثم خرج عن مذهبهم حتى استقر على مذهب أهل السنة، وصنف كتاب الإبانة عن أصول الديانة .

ومما يذكر عنه أنه كان يتململ من اختلاف الفرق في وقته وقوة ذكائه وإفحامه لخصومه، وكان كثير التأليف، محببا للناس، ولهذا تجد أن كل طائفة من الطوائف الفقهية تنسبه إليها"فالمالكي يدعي أنه مالكي والشافعي يدعي أنه شافعي والحنفي كذلك" .

ثانيا : عقيد الأشعري:

---

[776] بعض العلماء يطلق عليهم السبعية لأنهم أثبتوا لله تعالى سبع صفات فقط ويؤولون ما عداها.

كان الاشعري على مذهب الاعتزال ومن العالمين به، حيث أقام عليه أربعين سنة، ومما يذكره العلماء في سيرته وقصة رجوعه إلى الحق أنه مكث في بيته خمسة عشر يوما لا يخرج إلى الناس، وفي نهايتها خرج يوم الجمعة وبعد أن انتهى من الصلاة صعد المنبر وقال مخاطبا الناس: " أيها الناس من عرفني فقد عرني .. كنت أقول بخلق القران وأن الله لا يرى بالأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع متصد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم..."[777]

وحينما انضم إلى أهل السنة فرحوا به فرحا شديدا واحترموه وعرفوا قدره وإخلاصه، وصارت أقواله حجة وآراؤه متبعة ، وينبغي التحذير من بعض المغرضين الذين يزعمون أن الاشعري لم يتب من الاعتزال وأن الإبانة مدسوس عليه وهذا كذب لا سند له كما صرح بذلك في الإبانة وغيره[778] فالأشعري مرّ بثلاث مراحل وهي كما يلي :

أولها : حال الاعتزال.

ثانيها: إثبات الصفات السبع العقلية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين غيرها .

ثالثها: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف كما في الإبانة.

ثالثا: أشهر زعماء الاشعرية الذين ينتسبون إلى أبي الحسن:

انتسب إلى الأشعري جملة من المشاهير الذي كان لهم باع طويل في تحرير المذهب إلا أنهم لم يكونوا على طريقة أبي الحسن والمتقدمين من أصحابه في إثبات الصفات ، ومن كبارهم :

أبو بكر الباقلاني توفي سنة 403 والبيضاوي توفي سنة 701 والشريف الجرجاني توفي سنة 816 والإمام الجويني الأب توفي سنة 438 وابنه إمام الحرمين الجويني أبو المعالي توفي سنة 478 والغزالي أبو حامد توفي سنة 505هـ والشهرستاني توفي سنة 548 .وغيرهم .

---

[777] انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية 181/1

[778] في رسالة للشيخ حماد الأنصاري اسمها "أبو الحسن الأشعري" نقول كثيرة عن علماء الإسلام أثبتوا فيها الإبانة لأبي الحسن، أما اللمع فهي تمثل المرحلة الثانية وهي عقيدته الكلابية.

أما قدماء الأشاعرة الذين كانوا على مذهب أبي الحسن من إثبات صفات الله كطريقة السلف منهم الباقلاني وأبو الحسن الكعبرى والباهلي[779] .

ولكن من جاء بعدهم ممن ينتسب إلى أبي الحسن الاشعري قد أوّلوا الصفات وخالفوه ومنهم من رجع إلى مذهب السلف .

المبحث الخامس:

موقف الأشاعرة من صفات الله

وقف الأشاعرة في الايمان بصفات الله موقفا مضطربا فلا هم وافقوا المعتزلة ولا هم وافقوا أهل السنة فألزموهم أهل السنة بالزامات وألزمهم كذلك المعتزلة وشنعوا عليهم، ولم يوافق الأشاعرة في كل الاحوال ما ذهب اليه أبو الحسن الأشعري الذي ينتسبون إليه .

وحصل مذهب الأشاعرة في باب الصفات أنهم يقسمون الصفات الإلهية إلى قسمين :

وهي صفات نفسية راجعة إلى الذات أي إلى وجود الله .

وصفات سلبية، وهي خمسة أقسام :الوحدانية والبقاء والقدم ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه ، وسموها سلبية لأن كل صفة تسلب في إثباتها كل مالا يليق بالله – في نظرهم – .

ويقسمون كذلك الصفات إلى سبعة أقسام ويسمونها صفات المعاني وهي : العلم والحياة والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر ، وهي صفات ذاتية لا تنفك عن الذات ، وهم يؤمنون بها كما يليق به تعالى.

وفيما يلي نوجز القول على أقسام الصفات الثابتة لله، وهي كما يلي:

أقسام الصفات الثابتة لله تعالى: يقسمونها إلى صفات ذاتية وفعلية كما يلي:

1- صفات ذاتية : وهي التي لا تنفك عن ذات الله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر ..وغيرها.
2- صفات فعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة كالاستواء والنزول والمجيء وغيرها.

وبعض الصفات تجمع الأمرين فتكون ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر مثل صفة الكلام.

---

[779] انظر: الصفات الخبرية بين الاثبات والتأويل ص 257 .

ومن جهة أخرى تنقسم الصفات الثابتة لله تعالى إلى قسمين:

1- صفا عقلية : تثبت بالنص والعقل أيضا كالعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة والبقاء والحياة والقدرة والوجود والواحدنية .

2- صفات خبرية: وهي التي تثبت بالخبر أي السمع، دون النظر إلى ثبوتها بالعقل، كالنزول والاستواء والوجه واليدين.

وهذه الصفات تسمى الصفات الفعلية والاختيارية المتعلقة بالمشيئة كالنزول والاستواء والرضى والغضب والاتيان والمجيء والفرح والسخط، وهذه الصفات يقال لها قديمة النوع حادثة الآحاد ، باعتبار أن الله لم يزل متصف بها، متجدد وقوعها.

ث- أن الكلابية وتبعتهم الأشاعرة فيعتقدون نفي الصفات الفعلية عن الله ويؤولون معانيها لاعتقادهم أنها لا تليق بالله لأنها تشعر أنها أعراض ، والأعراض لا تقوم إلا بالجسم، فهم يثبتون الصفات الذاتية اللازمة وينفون الصفات الفعلية الاختيارية ، وأوهموا الناس أن مقصدهم هو التنزيه .

أما الاشاعرة القدماء كالباقلاني والباهلي وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية على ظاهرها ولا يؤولونها تبعا لأبي الحسن على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ولكن المتأخرين كالغزالي والجويني والرازي والتفتازاني والجرجاني وغيرهم يذهبون إلى تأويل الصفات الخبرية ونفي معانيها الحقيقية ويعتقدون أنها مجازات، فالاستواء بمعنى الاستيلاء واليد بمعنى القدرة وغيرها من التأويلات .

ج- هناك الزامات تبطل ما ذهب إليه الأشاعرة المتأخرون من نفي الصفات، يمكن أن توجز فيما يلي:

- أن الاشاعرة حينما يثبتون الصفات السبع ويؤلون بقية الصفات الخبرية كالرحمة والغضب وغيرهما فيلزمهم أن يقولو فيما أولوه كما أثبتوه فكلها ثابتة بالكتاب والسنة.
- أن قولهم أن الصفات السبع دل عليها العقل خلاف ما عداها فهو قول غير صحيح وهو في مقابلة النصوص وتقديم للعقل على النقل .

- أنه وقعوا في التناقضات فيثبتون سبع صفات وينفون ما عداها مع أن القول فيما نفوها هي صفات كما أثبتوها[780] ، ونفوا المماثلة مع أن وجود القدر المشترك بين الله وبين خلقه لا يوجب المماثلة .

وقد هُدى الله السلف فآمنوا بكل ما جاء عن الله وعن رسوله فنفوا ما نفاه عن نفيه وأثبتوا ما أثبته لا بتنطع ولا تأويلات باطلة مع الاعتقاد أن كل صفة صحت هي صفة كمال، فهم يعلمون المعاني ويجهلون الكيفيات ويعقلون أن السؤال عنها بدعة .

الفصل الخامس عشر:

الماتريدية

المبحث الأول: التعريف بمؤسس الماتريدية :

أ- التعريف بالماتريدي ونشأته:

تنسب هذه الطائفة إلى أبي منصور الماتريدي وهو مُحَّد بن مُحَّد بن محمود ولد في ماتريد من بلدان سمرقند ولا تعرف سنة مولده وتوفي سنة 333هـ على أرجح الأقوال[781].

تلقى علوم الفقه الحنفي على يد كبار علماء ذلك العصر كنصر بن يحي البلخي توفي سنة 368هـ وأبو نصر العياض، وأبو بكر الحمد الجوزجاني وغيرهم.

له مجادلات كثيرة مع المعتزلة وقد ألّف في مختلف الفنون منها بيان وهم المعتزلة وتأويلات أهل السنة والدرر في أصول الدين وكتاب التوحيد وإثبات الصفات وغيرها.

وكان يلقب فيما وراء النهر بإمام السنة وإمام الهدى[782]، وكان يرى اعتبار العقل لكن يقدم النقل على العقل عند الخلاف بينهما[783] لأنه يعتبر معرفة الله واجبة بالعقل قبل ورود السمع وأن الله يعاقب على عدم المعرفة.

---

[780] انظر: الرساة التدمريةص 106 والتحفة المهدية شرح التدمرية ص 80

[781] انظر: الماتريدية للشمس الأفغاني 214/1

[782] انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية197/1، بل هو إمام من أئمة الكلام والتأويل.

[783] هذا من باب الإخبار عن مذهب الماتريدي ، وإلا فإن العقل السليم لا يعارض النقل الصحيح.

وقد عرض الشيخ أحمد عصام الكاتب ، عقائد الماتريدي من خلال كتاب التوحيد للماتريدي الذي حققه فتح الله خلف ، وقد عرضه الدكتور في مجلة التراث الإنسانية المجلد 9 العدد2 ،وفيما يلي إيجاز ذلك .

ب- أهم عقائد الماتريدي إجمالا:

1- لا يرى التقليد بل ذمه وأرود عدة أدلة على فساده.

2- يذهب في نظرية المعرفة إلى وجوب النظر والاستدلال وأنه لا سبيل إلى العلم إلا بالنظر، وهو قريب من قول الفلاسفة والمعتزلة.

3- يرى أن أسماء الله توقيفية ووافق هنا السلف إلا أنه لم يفرق بين باب الإخبار عن الله وبين باب التسمية فأدخل فيها ما ليس منها كلفظ الصانع .

4- يرى أن المؤمنين يرون ربهم خلاف الكفار وهذا القول بخلاف الأشاعرة ، ولكنه لا يرى الجهة ولذلك نفوا علو الله، وهذا تناقض .

5- أقترب عقيدة السلف في سائر الصفات العقلية، وهي التي أثبتوها بالعقل لكنه يؤول ما عداها، ويعتقد أن الصفات لا هي هو ولا غيره وهذا تناقض.

6- وسط بين الجبر والاختيار فالإنسان فاعل مختار لما يفعله ومكتسب له وهو خلق الله، حيث يخلق للإنسان قدرة عندما يريد الفعل ولذلك الإنسان هو الذي يذم ويمدح.

7- يقول بخلق أفعال العباد ، وهو يفرق بين بين تقدير المعاصي والشرور والقضاء بها وبين فعل هذه المعاصي ، فالأول من الله والثاني من العبد بقدرته واختياره، ويمنع من إضافة الشر الى الله ، فالله لا يخلق فعل العبد عندهم الا بعد أن يريده العبد ويختاره فيصبح كسب العبد.

8- يرى أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، دون الإقرار باللسان ولا يجوز الاستثناء في الإيمان لأنه شك والشك كفر .

ح- أهم المسائل المتفق عليها والمختلف فيها بين الماتريدية والأشاعرة والمعتزلة وأهل السنة :

أولا : المسائل المتفق عليها بين الأشاعرة والماتريدية[784] :

1- اختلفوا في مسألة القضاء والقدر، فالقدر عند الماتريدية هو تحديد الله أزلا كل شيء بحده الذي سيوجد به من نفع ، والقضاء الفعل عند التنفيذ.

وأما الأشاعرة فيرون أن القضاء هو الإرادة الأولية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص ، والقدر تعلق تلك الإرادة بالأشياء في أوقاتها المخصوصة .

أي أن الأشاعرة يرون أن المحبة والرضى والإرادة بمعنى واحد ، ويرى الماتريدية أن الإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة .

2- اختلفوا في أصل الايمان، فيرى الماتريدية أنه يجب على الناس بالعقل معرفة ربهم ولو لم يبعث رسولا بينما يرى الأشاعرة المعرفة بالشرع .

3- اختلفوا في صفة الكلام، فيرى الماتريدية أن كلام الله لا يسمع وإنما يسمع عبارة عنه، بينما يرى الأشاعرة جواز سماع كلام الله.

4- اختلفوا في زيادة الإيمان ونقصانه .

5- اختلفوا في المتشابهات كما سبق.

6- اختلفوا في النبوة ، هل يشترط فيها الذكورة فاشترطته الماتريدية ومنعته الأشاعرة، وقد اختلف العلماء من أهل السنة فيها، والحق أنها مختصة بالرجال.

7- اختلفوا في التكليف بما لا يطاق، فمنعته الماتريدية وجوزته الأشاعرة .

8- اختلفوا في الحكمة والتعليل، فأثبتته الماتريدية ونفته الأشاعرة .

9- اختلفوا في التحسين والتقبيح فقال به الماتريدية ورأوا أن العقل يدركهما ومنعته الأشاعرة ، وقالوا يتم بالشرع لا بالعقل.

10- اختلفوا في إيمان المقلد فيجوز عند الماتريدية ومنعته الأشاعرة[785].

---

[784] لم يكن بين الماتريدي والأشعري أي تقارب بل وحتى مجرد معرفة، وقد أرجح بعض الباحثين تقارب المذهب الأشعري مع الماتريدي إلى أخذ الجميع عن ابن كلاب لأن الأشعري كان كلابيا قبل أن يدخل مذهب السلف.

[785] انظر: عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ص 98-101 وانظر: المتريدية دراسة وتقويما ص 501-498

11- اختلفوا في معنى كسب العباد لأفعالهم، بعد أن اتفقوا على أنها مخلوقة ، فيرى الماتريدية وجوب التفريق بين المؤثر في أصل الفعل وهو قدرة الله، والمؤثر في صفة الفعل وهو كسب العبد.

وأما الأشاعرة فيرون أن أفعال العبد اختيارية واقعة بقدرة الله وليس للعبد تأثير فيها فالفعل مخلوق والعبد مكتسب له.

ثانيا : المسائل المختلف فيها بين الماتريدية والمعتزلة :

1- في مصدر التلقي فذهب المعتزلة إلى أنه العقل والماتريدية قالوا بالعقل فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات والسمع فيما يتعلق باليوم الآخر وسموها بالسمعيات .

2- في الأسماء أثبتتها المعتزلة ولكن لا دلالة عليها على الصفات ، وأثبتته الماتريدية ودلاتها على ثمانية صفات .

3- في الصفات نفته المعتزلة وأثبتت الماتريدية ثمانية صفات .

4- في القران يعتقد المعتزلة أنه كلام الله محدث مخلوق ، والماتريدية يعتقدون أنه كلام الله النفسي وأنه قديم أزلي غير مخلوق.

5- في أفعال العباد نفت المعتزلة خلق الله لها وإرادته لها وإنما هي من العباد ، وقالت الماتريدية خلق الله وكسب العباد.

6- الاستطاعة ، أثبتتها المعتزلة قبل الفعل ونفتها معه، وأثبتته الماتريدية قبل الفعل ومع الفعل.

7- الرؤية نفتها المعتزلة وأثبتها الماتريدية .

8- الجنة والنار غير مخلوقتين الان عند المعتزلة والماتريدية تقول بخلقهما.

9- نعيم القبر وعذابه والميزان والصراط والحوض والشفاعة لأهل الكبائر حيث نفتها المعتزلة وأثبتتها الماتريدية بجلالة السمع .

10- كرامات الأولياء : حيث نفت المعتزلة كرامات الأولياء وأثبتها الماتريدية .

11- تعريف الايمان عند المعتزلة هو قول واعتقاد وعمل وعند الماتريدية هو التصديق بالقلب ومن من زاد إقرار اللسان .

12- مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا وهو في النار في الاخرة أم الماتريدية فيعتبرون أنه مؤمن كامل الايمان وهو تحت المشيئة

13- إيمان المقلد ، لا يصح ايمانه عند المعتزلة ويصححه الماتريدية

14- زيادة الايمان ونقصانه ، فالمعتزلة يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان وهو يزيد وينقص، وأما الماتريدية فلا يدخلون الأعمال وهو لا يزيد ولا ينقص عنجهم

ثالثا: المسائل التي اتفق فيها المعتزلة والماتريدية :

1- القول بوجوب معرفة الله بالعقل

2- الاستدلال على وجود الله بدليل الأعراض وحدوث الأجسام.

3- الاستدلال على وحدانية الله بدليل التمانع .

4- القول بعدم حجية خبر الآحاد في العقائد.

5- نفي الصفات الخبرية والاختيارية.

6- القول بعدم إمكان سماع كلام الله.

7- القول بالحكمة والتعليل في أفعال الله.

8- القول بالتحسين والتقبيح العقليين.

9- عدم جواز التكليف بما لا يطاق.

10- منع الاستثناء في الايمان.

11- القول بأن معنى الايمان والإسلام واحد[786] .

وفي الحقيقة لم تنهج الماتريدية منهج السلف الكر ام فيما يتعلق بالأمور الاعتقادية ومن وصفهم بأهل السنة فقد جانب الحق والصواب.

رابعا: المسائل التي خالف فيها الماتريدية أهل السنة والجماعة:

وتجد الإشارة قبل ذكر تلك المسائل إلى ذكر أهم الأسس والقواعد التي بني عليها مذهب الماتريدية وهي:

---

786 انظر: الماتريدية دراسة وتقويما ص 503-508 ولمزيد من التفصب انظر: كتاب عداء الماتريدية للعقيدة السلفية تأليف شمس الدين الأفغاني.

1- مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات هو العقل.

2- معرفة الله واجبة بالعقل قبل ورود السمع.

3- القول بالتحسين والتقبيح العقليين.

4- التأويل والتفويض.

5- القول بعد حجية خير الواحد في العقائد.

خامسا : المسائل التي خالف فيها الماتريدية أهل السنة :

1- مفهوم توحيد الألوهية، وهو عندهم أن الله واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك ، وأهل السنة يخالفونهم في هذا التعريف لعدم اشماله على توحيد الألوهية.

2- إثبات وجود الله، استدل الماتريدية بدليل حدوث الأعراض والأجسام ، وهي طريقة خطّأهم عليها السلف.

3- الاستدلال على وحدانية الله ، حيث يستدل عليها الماتريدية بدليل التمانع وهو قوله تعالى :{لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا} وقد خطأهم السلف في استدلالهم وبينو أن هذا الدليل يمنع صدور العالم عن إلهين لكن لا يدل على الوحدانية .

4- ثبوت الأسماء الحسنى ، حيث أثبتت الماتريدية جميع الأسماء لدلالة السمع عليها ولكنهم لم يفرقوا بين ما جاء في باب التسمية وما جاء في باب الأخبار عن الله.

5- باب الصفات ، فأثبتا الماتريدية بعض الصفات دون البعض لدلالة العقل عليها ، كالقدرة والعلم والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والتكوين ، وقد ألزمهم السلف بالقول فيما نفوه كما أثبتوه .

6- الصفات الخبرية ، حيث نفت الماتريدية جميع الصفات الخبرية لأن إثباتها بزعمهم مخالف للعقل ويدعو إلى التجسيم ، وقد أثبت السلف جميع الصفات .

7- في كلام الله ، يرى الماتريدية أن كلامه قديم أزلي معنى واحد لا يتعلق بالمشيئة والقدرة وليس بحرف ولا صوت بل هو كلام نفسي لا يسمع والمسموع هو عبارة عنه، وهو ما يخالفه فيه أهل السنة .

8- في دليل صدق الأنبياء ، حيث حصرها الماتريدية في المعجزات ، والسلف يضيفون عليها دلائل أخرى .

9- المسائل المتعلقة باليوم الآخر ، فيرى الماتريدية أن كل المسائل المتعلقة باليوم الاخر لا تعلم إلا بالسمع ، والسلف يقولون علمت بالسمع ودل عليها العقل.

10- في رؤية الله ، فأثبت الماتريدية الرؤية لكنهم نفوا الجهة وخالفوا السلف فأثبتوا الرؤية وأثبتوا صفة العلو .

11- في خلق أفعال العباد ، فيرى الماتريدية أن للعباد إرادة مستقلة عن مشيئة الله وأن الله يخلق أفعالهم تبعا لإرادتهم ، والسلف يعتقدون أن لله وحده له الإرادة وأن للعباد مشيئة لا تخرج عن مشيئة الله .

12- في تعريف الايمان ، ذهب الماتريدي أنه التصديق ومنعوا زيادته ونقصانه وحرموا الاستثناء فيه ، وخالفهم السلف فالإيمان عندهم قول واعتقاد وعمل ويزيد وينقص ويجوز الاستثناء فيه لعدم جواز تزكية النفس.

13- في الحكم على الفاسق ، فيرى الماتريدية أنه مؤمن كامل الإيمان بينما يرى السلف أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته[787].

---

[787] لقد اهتمت كتب العقيدة ببيان تفاصيل كل تلك المسائل، وهي مسائل طويلة تحتاج إلى دراسة مطولة وما أثبته هنا يكفي ، إذا الغرض هو الإشارة والإيجاز. انظر: الماتريدية دراسة وتقويما ، ص 514- 517 وتفصيل ذلك في هذا الكتاب الذي تخصص في دراسة الماتريدية بالإضافة إلى المراجع التي ذكرناها سابقا.

الفصل السادس عشر:

دراسة اهم المسائل التي اتفق عليها أهل اكلام من الاشعرية والماتريدية والمعتزلة والجهمية

1- تقديم العقل على النقل:

من المساوئ التي ابتلي بها بعض المنتسبين إلى الإسلام تقديس العقل وتقديمه على النقل ، وظنوا بالفعل أن هناك تعارضا بين النقل والعقل ، وهذا عند جمهور الجهمية والمعتزلة وجمهور الأشاعرة المتأخرين ولهم في ذلك شبه لا تسلم لهم منها ما يلي:

أ- أن العقل هو الأصل والأساس للنقل .

ب- أن الدلالة العقلية قطعية بينما الدلالة النقلية ظنية

ت- أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل وهي الأصل والنقل فرع ، وقد قام هذا الأصل على العقل .

ث- أن صدق الأنبياء في إخبارهم عن الله لا يتوقف على النقل بل يتوقف على العقل .

ج- ما ثبت بالتواتر وخالفه العقل فإما أن يؤول أو يفوض وما ثبت بأخبار الآحاد لا يقبل في باب الاعتقاد.

الرد عليهم :

يمكن إيجاز الرد عليهم فيما يلي:

أ- أنه لا يوجد تعارض بين العقل والنقل، فإن النقل إذا صح من كتاب الله أو سنة نبيه لا يمكن أن يعارضها العقل السليم الخالي من الشهوات والبدع.

أما إذا كان الدليلان ظنيان فإنه يقدم الراجح منهما سواء كان عقليا أو نقليا، وإذا كان أحدهما ظنيا والآخر قطعيا، فإنه يقدم القطعي بغض النظر عن كونه نقليا أو عقليا، فالعبرة بما كونه قطعي وليس بما كونه عقلي.

ب-	أن إسقاطهم أخبار الآحاد في العقائد وزعمهم أن المتواتر حتى وإن كان قطعي الإسناد فهو غير قطعي الدلالة، لأن الدلالة اللفظية بزعمهم لا تفيد اليقين حسب مفهومهم[788]، فهذا من جملة أقوالهم البدعية العادية عن الآجلة الشرعية لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال سلف الأمة ، فالحق هو قبول خبر الواحد في باب الاعتقادات مادام ثابتا[789] ، قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } فلولا أن خبر الواحد مقبولا لما توجه الأمر بالتثبت فيما يخبر له مما يحتاج إلى تثبت، خصوصا إذا جاء من الفاسق ، ومعناه إذا كان من غير فاسق فإنه يقبل.

ت-	أن النبي كان يكتفي بخبر الواحد ويرسل رسولا من شخص واحد إلى مجموعة من الناس ويأمرهم بالتبليغ فقد ثبت أنه أرسل معاذا إلى اليمن وغير ذلك من الآثار التي رويت في ذلك .

ث-	أن السلف كانوا لا يشترطون لقبول الأحاديث سوى عدالة الراوي وثقته وتقواه.

ج-	أن السلف كانوا يقدرون دور العقل في المعرفة والاهتداء إلى الحق، لكنهم لا يوصلونه إلى درجة التقديس التام وتقديمه على كلام الله وكلام نبيه .

ح-	أن الهداية لا تأتي إلا عن طريق الوحي وعلى أيدي الرسل الكرام، فبأي مسوغ تترك طرق الهداية ونرجع إلى تقديم العقل؟

فلو كان العقل يكفي للوصول إلى الحق مجردا عن النقل لما عاش المعترضون عن الله في متاهات الكفر والضلال ولما احتجنا إلى الأنبياء.

خ-	أن من قدموا على العقول على النقول متناقضون في أقوالهم واعتقاداتهم فنرى منهم من هداه عقله إلى تشبيه الله بخلقه تماما ووصفوه كإنسان ، وقابلهم من رأوا عقولهم دلتهم على تعطيل صفات الله والتي تؤول إلى نفي وجود الله إذ لا يتخيل ذات بدون أي صفة .

د-	أن السلف كانوا يعلمون أن النقل حينما جاء مخاطبا العقل مبينا له الطريق الصحيح ، وكانوا يعلمون أن بينهما توافقا تاما فالخطاب إنما جاء لأهل العقول وليس للمجانين

---

[788] انظر: شرح الطحاوية ص 354

[789] انظر: أحكام الأحكام لابن حزمص1-19 ومختصر الصواعق المرسلة ص 406 والباعث الحثيث ص 37

والحيوانات البهيمية ، فكيف يتصور بعد ذلك أن العقل أعلى من النقل بحجة أن العقل هو الأصل وإلا لم يرد النص ، فالنقل هو الموجه لمحل قابل للتوجيه وهو العقل ولم تأت العقول لتوجه النقول .

ذ- أن زعمهم أن الدلالة النقلية ظنية بينما الدلالة العقلية قطعية [790]كلام مخترع مبتدع ، فالسلف ومن بعدهم لا يعرفون هذه المسالك بل يعتبرونها من وساوس الشيطانين.

ر- أن زعمهم أن صدق الأنبياء يتوقف على العقل زعم باطل ولو كان هذا صحيحا لآمن قوم نوح وسائر أمم الأنبياء، إذ أن لهم عقولا ولما احتاجوا إلى سماع النقل منهم عن الله تعالى ، ثم إن دلائل صدق الأنبياء لا تتوقف على العقل فقط بل هي كثيرة جدا.

2- التأويل في مفاهيم الفرق المخالفة لأهل السنة:

يعدّ التأويل الآفة العظمى التي دخل من خلالها المبطلون لتحريف نصوص الشرع، فأخرجت الكثيرين عقيدتهم السليمة إلى عقائد ما أنزل الله بها من سلطا.

يقول ابن أبي العز الحنفي في شأن التأويل الباطل: "وهو الذي أفسد الدنيا والدين وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبلطون إلا سلوك سبيلهم... فهل قتل عثمان ﷺ إلا بالتأويل الفاسد؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل وصفين ومقتل الحسين الحرة، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفض الروافض وافترقت الملة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد"[791]

وفيما يلي نستعرض أهم مباحث التأويل بإيجاز:

أ- حقيقة التأويل:

يطلق التأويل في حقيقته على أمرين : وهما 1- ما تؤول إليه حقيقة الشيء ومصيره. 2-تفسير الشيء وبيانه.

---

[790]كلام الإيجي في المواقف ص40 في مقارنته بين قبول الأدلة العقلية والنقلية ، وتقديم الأدلة العقلية على الأدلة النقلية هو المشهور في اعتقادات أهل الكلام والبدع.

[791] شرح العقيدة الطحاوية ص144

وقد وردت كلمة التأويل في عدة آيات في القران الكريم منها قوله تعالى: {وأحسن تأويلا}سورة النساء آية 59وقوله: {هل ينظرون إلا تأويله}سورة الأعراف آية 53 وورد في السنة قول النبي لابن عباس ":"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" وهذه هي المعاني المعروفة عند السلف قبل ظهور الكلام وفلسفاته العقيمة.

ب– أنواع التأويل الباطل: للتأويل الباطل عدة أنواع كما يلي:

- ما لم يحتمله اللفظ بوضعه كتأويل قوله ﷺ: "حتى يضع رب العزة عليها رجل" بأن معنى الرجل جماعة من الناس.
- ما لم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع وإن احتمله مفردا كتأويل: {لما خلقت بيدي} ففسروا اليد بالقدرة.
- ما لم يحتمله سياقه وتركيبه، وإن احتمله في سياق آخر، كتأويل قوله تعالى: {أو يأتي بعض آيات ربك} بأن المراد أمره .
- مالم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن أُلف في اصطلاح الحادث ، وذكر أن هذا النوع لم يؤلف استعماله في لغة العرب وإن كان معهودا في اصطلاح المتأخرين، كتأويل الاستواء في قوله تعالى :{ ثم استوى على العرش} بأنه أقبل على العرش .
- ما ألف استعماله في ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد به النص كتأويل اليد بالنعمة.
- كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل ، كتأويل قوله ﷺ " أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل" بحمله على الأمة .

وقد كان السلف رحمهم الله يدركون الفرق بين التأويل بمعنى التفسير وفهم المراد، وبين التأويل بمعنى معرفة ما يؤول إليه المراد من الكلام كأخبار المغيبات ومعرفة صفات الله على كيفياتها فلم يعملوا فيها عقولهم في معرفة كيفيتها على حقيقتها.

وأما الخلف فأعملوا فيها عقولهم ولذلك عرّفوا التأويل بأنه "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك "[792] .

[792] انظر: شرح الطحاوية ص 172 والفتوى الحموية الكبرى ص40

فلم يجروا النصوص على ظاهرها وأولوها بما يوافق عقولهم ، وقد رفض السلف هذا المفهوم للتأويل لأنه تحريف للنصوص وإبعاد للمراد منها ،كتأويل الخلف لقوله سميع بصير بأنه سميع بلا سمع أو بصير بلا بصر واليد بمعنى النعمة وغير ذلك من التأويلات الباطلة التي تعطل معاني النصوص أو خوف التشبيه والتجسيم[793] .

وما ينبغي ملاحظته أن التأويل المذموم إنما وجد حين ظهرت الفرق من خوارج ومعتزلة وشيعة وجهمية وباطنية وصوفية، حيث أرادوا أن يوجدوا لأفكارهم غطاء مقبولا فلم يجدوا أفضل من التستر بالتأويل وإظهار أنه علم غزير توصلوا إليه، وهو في حقيقته غش وخداع للمسلمين وتعطيل لمعاني نصوص الشريعة بما أدخلوه من مصطلحات جوفاء ومعاني باطلة[794] .

3- جهل أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية بمعنى توحيد الألوهية:

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

وهي كانت معروفة بالبداهة عند السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان حتى ولو لم يصلوا إلى هذا التفصيل في وقتهم.

فقد كانوا يعرفون أن توحيد الألوهية هو ما يتعلق بإفراد الله بالعبادة والخضوع والانابة إليه.

ويعلمون أن توحيد الربوبية هو الاعتقاد بأن الله رب كل شيء ومليكه وهو خالق الخلق وأن هذا التوحيد داخل في مضمون توحيد الألوهية إلا عند الخلف المتكلمين.

ويعلمون أن توحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد بما أخبر الله به عن نفسه من صفات وأسماء أو أخبر عنه رسوله ﷺ وأن له ذاتا لاتشبه ذوات المخلوقين ولا صفاته تشبه صفاتهم.

والمتكلمون حينما يقررون الكلام في التوحيد يقسمونه إلى ثلاثة أقسام، فيقولون هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في أفعاله لا شريك له[795]،

---

[793] انظر مختصر الصواق المرسلة 48/1

[794] وبإمكان القاريء الكريم إذا أراد التوسع أن يطالع ماكتبه ابن القيم رحمه الله في موضوع التأويل في كتابه الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة بتحقيقد/ أحمد عطية ود/ علي ناصر، وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية.

[795] انظر: التحفة المهدية ص 340

و أشهر هذه الأنواع هو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحد، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب ويستدلون عليه بدليل التمانع، وهو يقوم على أنه لو كان للعالم صانعان أحدهما يريد أن يكون ذلك الجسم حيا والآخر يريده ميتا أو غير ذلك فإما أن تتحقق إرادتهما معا، وهو مستحيل، إذ لا يمكن الجمع بين النقيضين، أو لا تتحقق إرادتهما معا لعجز كل واحد عن قهر الآخر فتسقط ألوهيتهما ، فنتج عن هذا أن الله وحده خالق لكل شيء وأنه رب كل شيء.

ويفسرون معنى لا إله إلا الله معناها القدرة على الاختراع ، وهذا التفسير باطل من وجهين :

أ- أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة الغة .

ب-على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فهو ليس بإله حق.

وهكذا يجعلون توحيد الربوبية الذي لم يقع الخلاف فيه أصلا بين الأنبياء وأممهم هو أساس التوحيد، وقد أخبر القرآن عن إيمان كفار قريش بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم ينفعهم .

فدعوة الرسل كلهم كنت إلى توحيد الألوهية {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} وقال تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}سورة الأنبياء آية 25

فالإله هو الذي يستحق العبادة والخضوع له، وهذا هو التفسير الحق، وأما تفسير الإله بالقادر على الاختراع فهو تفسير باطل[796] .

4- تعطيل النصوص عن مدلولاتها:

لم تلتزم الطوائف المخالفة لأهل السنة بالمفاهيم الواضحة للنصوص بل كان حالهم حال من يفسر الواضح حتى يجعله غامضا ، فقد جاؤوا بمعان لم يهتد إليها الصحابة ولا حتى الرسول صلى الله عليه وسلم وإن لم يصرحوا بذلك فتستروا بمصطلحات لدس أفكارهم الضالة ، وكانوا أذكياء بحق في عرض شبهاتهم وتأويلاتهم فانخدع كثير من عوام المسلمين وطلاب العلم .

ثم إنهم سمّوا أهل السنة بأسماء منفرة وسموا أنفسهم بأحسن الأسماء كما يلي:

[796] انظر: شرح الطحاوية ص 19 وتيسير العزيز الحميد ص76 وص 81

أ- الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم: وهي أهل التوحيد، أهل العدل، الفرقة الناجية، أهل السنة ، محققين، حكماء، وغير ذلك من الألقاب.

ب- الأسماء التي أطلقوها على أهل السنة والجماعة: أهل التشبيه، أهل التجسيم،الحشوية،خوارج،نوابت، ولذلك يقول ابن القيم:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا في الوجود وفضلة في أمة الإنسان

فقد سمّوا أهل السنة نوابت وعبدة أوثان لقولهم إن الله فوق عرشه بذاته، والروافض سمّوا أهل السنة نواصب، والمعطلة سموا أهل السنة مشبهة ومجسمة.

فهذه الأسماء وغيرها كلها على إطلاقها ظلم وكذب وزور فهي أسماء لأهل الباطل، فأهل السنة يثبتون ما أثبته الله لنفسه وأن له كل الصفات الواردة في القرآن وأن لله المثل الأعلى وهم يؤمنون بكل ما جاء من صفات الله على التفصيل ويتوقفون عن الخوض في كيفياتها.

ومن المراجع المفيدة في دراسة أقوال علماء أهل الكلام

والرد عليهم:

1- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
2- القصيدة النونية للإمام ابن القيم مع شرحها للهراس.
3- الصواعق المنزلة لابن القيم مع تحقيقها للدكتور أحمد عطية الغامدي، والدكتور علي بن ناصر فقيهي.
4- بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
5- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة.
6- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار.
7- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم.
8- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم.
9- رد الإمام الدارمي على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي.
10- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز.

11- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين لأبي الحسن الأشعري.
12- الفرق بين الفرق للبغدادي
13- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.
14- الإبانة لأبي الحسن الأشعري.
15- الملل والنحل للشهرستاني.
16- كتاب الإيمان لابن منده تحقيق الدكتور علي بن ناصر.
17- المعتزلة عواد بن عبد الله المعتق.
18- تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة.
19- فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
20- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب.
21- الصفات الإلهية للدكتور مُحَمَّد أمان الجامي.
22- أبو الحسن الأشعري للشيخ حماد الأنصاري.
23- عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري للشيخ أحمد عصام الكاتب.
24- تاريخ الجهمية والمعتزلة للشيخ جمال الدين القاسمي.
25- العصريون معتزلة اليوم يوسف كمال.
26- المعتزلة بين الفكر والعمل علي الشابي / أبو لبابة حسين / عبد المجيد النجار.
27- خلق أفعال العباد للإمام البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل.
28- المواقف للعضد الإيجي.
29- الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
30- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي.
31- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية.
32- الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل للشيخ عثمان بن عبد الله آدم.

ومئات المراجع التي كتبها العلماء في دراستهم لهذه الفرق مما لا يخفي على طلاب العلم، وقد ذكرت فيما تقدم مراجع قديمة ومراجع عصرية.

وأرغب في نهاية دراسة هذه الفرق أن أتقدم بنصيحة إلى كل محب من طلاب العلم ألا يزهد عن كتابة المتأخرين، فإن فيها صفوة كثير من المعلومات لإطلاع هؤلاء على ما كتبه السابقون واستخلاص زبدة

أفكارهم ثم تدوينها في كتاباتهم.

وليس من الإنصاف الإعراض عنها بحجة أنهم عالة على ما كتبه القدامى فهذا خطأ يفوتك فوائد قد تجتنيها بدون عناء مع أنه لا يبعد عن الصدق في أن علماء هذا العصر عالة في كثير من الأمور على ما كتبه القدامى لمعايشتهم الأحداث وصفاء عقولهم وإخلاصهم في نفع الناس.

ولكن هذا لا يمنع أن توجد فوائد قد لا نجدها في بعض كتابات القدامى، ومن قال بخطأ هذا فقد زعم انحصار فضل الله عز وجل على عباده، فإن الله تعالى هو الوهاب وهو الفتاح العليم. غفر الله لعلمائنا من تقدم منهم ومن تأخر، ونسأله عز وجل أن يلحقنا بهم صالحين غير خزايا ولا مفتونين

aa.g.alawaji@gmail.com لتلقي الملاحظات والاقتراحات